المركز الديمقراطي العربي
للدراسات الاستراتيجية، الاقتصادية والسياسية
Democratic Arabic Center
for Strategic, Political & Economic Studies

مجلة اتجاهات سياسية

تحليلات سياسية

دورية علمية محكمة

ISSN 2569 - 7382

مجلة اتجاهات سياسية

المركز الديمقراطي العربي

Journal of Political trends

international scientific periodical journal

المركز الديمقراطي العربي
للدراسات الاستراتيجية، الاقتصادية والسياسية
Democratic Arabic Center
for Strategic, Political & Economic Studies

مجلة اتجاهات سياسية

تحليلات سياسية

دورية علمية محكمة

ISSN

الـنـاشــــر :

المركز الديمقراطي العربي

للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية

ألمانيا /برلين

Democratic Arabic Center
Berlin / Germany

جميع حقوق الطبع محفوظة

All rights reserved

لا يسمح بإعادة إصدار هذا العدد أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن مسبق خطي من الناشر.

No part of this magazine may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means, without the prior written permission of the publisher.

المركز الديمقراطي العربي

للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية " ألمانيا / برلين "

magazin@democraticac.de

المركز الديمقراطي العربي

للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية

ألمانيا /برلين

Democratic Arab Center For Strategic
Political & Economic Studies

مجلة إتجاهات سياسية

دورية علمية دولية محكمة

الرقم التسلسلي المعياري ISSN (ONLINE) 2569-7382

مجلة إتجاهات سياسية مجلة دورية علمية محكمة

تصدر عن المركز الديمقراطي العربي " ألمانيا / برلين "

وهي مجموعة من التقارير والتحليلات السياسية والقانونية والإعلامية التي تعني بكافة الشؤون الدولية والإقليمية ذات الصلة بالواقع العربي بصفة خاصة والدولي بصفة عامة.

وتعتمد سياسة مجلة "إتجاهات سياسية" على اسلوب تقصي الحقائق وتقديم التحليلات العلمية، عن طريق مساهمة نخبة من الكوادر في المتابعة والإشراف على ما يصل من تقارير وتحليلات، حيث يترأس أقسامها أساتذة من ذوي الخبرة في العلوم السياسية والإعلام والقانون، من مختلف الجامعات العربية.

Democratic Arab Center For Strategic

Political & Economic Studies

Journal Of Political Trends

International Standard Serial Number

ISSN (Online): 2569-7382

An Academic, periodic, and peer-reviewed Journal issued by The Democratic Arabic Center Germany-Berlin It is a collection of political, legal, and media reports. Its analysis deals with all international and regional affairs that are related to the Arab reality, in particular, and the international reality, in general.

المركز الديمقراطي العربي
للدراسات الاستراتيجية، الاقتصادية والسياسية
Democratic Arabic Center
for Strategic, Political & Economic Studies

مجلة اتجاهات سياسية

Journal of Political Trends

رئيس المركز الديمقراطي العربي: أ. عمار شرعان

رئيس التحرير: د. حمدى سيد محمد محمود

رئيس اللجنة العلمية: أ.د. ميرال صبري العشري

نائب رئيس التحرير: د. علي فرجاني

مديرة التحرير: د. فتحية رحالي

العدد: الثالث والثلاثون

كانون الأول– ديسمبر 2025

البريد الالكتروني للمجلة:

magazin@democraticac.de

International Standard Serial Number

ISSN (Online): 2569-7382

اللجنة العلمية:

–أ.د. نيرمين الأزرق	أستاذ الصحافة بكلية الإعلام	– جامعة القاهرة	– مصر
–د. علاء نزار العقاد	أستاذ العلوم السياسية	– جامعة غزة	– فلسطين
–د.عمر المبروك اسباقة	أستاذ مشارك في العلوم السياسية	– جامعة بني وليد	– ليبيا
–د. نبيلة عبد الفتاح قشطي	أستاذ النظم السياسية – جامعة المنوفية		– مصر
–د. سعيد مراح	أستاذ الإعلام – جامعة جيلالي لياي سيدي بلعباس		– الجزائر
–د. علي مصباح الوحيشي	أستاذ مشارك بالأكاديمية الليبية للدراسات العليا		– ليبيا
–د. عبير محمود مجاهد	أستاذ الاقتصاد –كلية التجارة	– جامعة الأزهر	– مصر
–د. طارق المنصوب	أستاذ الاقتصاد	– جامعة إب	– اليمن
–د. محمد مساهل	أستاذ علوم الاتصال –كلية الإعلام	جامعة قسنطينة	– الجزائر
–د. تامر عز الدين	باحث علوم سياسية – مدير مكتب فرنسا 24		– مصر
–د.حسين اللامي	أستاذ العلوم السياسية	– جامعة ميسان	– العراق
–د.جهاد ملكة	باحث ومحاضر لدى مركز التخطيط الفلسطيني		– فلسطين
–د.عصام عيروط	أستاذ العلوم السياسة		– فلسطين
–د. ميثم كاظم العميدي	أستاذ القانون الدستوري والنظم السياسية		– العراق
–د. محمد زروق	أستاذ العلوم السياسية	جامعة شندي	– السودان
–د. إقبال ناجي سعيد	أستاذ القانون	–كلية مزايا الجامعة	– العراق

تقدير موقف: مستقبل النفوذ العالمي في زمن التحولات الكبرى د. حمدي محمود/ رئيس التحرير/ مدير المركز الديمقراطي العربي بالقاهرة		
م	العنوان	ص
1	دوروسائل الاعلام والرأي العام التركي في سياسة تركياالشرق اوسطية أ.د. أحمد جاسم ابراهيم	10
2	اللاجئين الفلسطينيين في ظل حرب الابادة الجماعية على قطاع غزة"من اللجوء الى النزوح" أ. ساهر حسن المصري	22
3	نيلسون مانديلا: رمز عالمي للسلام والحرية - دراسة تحليلية في مسارات النضال والبناء المجتمعي ا. د حمدان رمضان محمد	36
4	تأثير دول البلطيق على الحرب الروسية الأوكرانية و انعكاساتها عليها أ. وسيم سالم عبد الله المزوغي	60
5	الإقناعية البلاغية في خطابات حسن نصرالله وعبد الملك الحوثي أ. أحلام عبد الله محمد العجمي	72
6	الأحوال الاقتصادية في بلاد اليمن القديم زهراء حمزة هادي - أ.د. قيس حاتم هاني الجنابي	90
7	موقف فرنسا من سكة حديد بغداد – برلين 1903م م.م. هبه محمد إبراهيم اليساري	106
8	البيوت العلمية في مدينة بلنسية في الاندلس م.م. رقية علي عبد الزهراء الرفيعي	118
9	العمل الدبلوماسي للبرلمان البريطاني والإسباني إعداد/ قطيفة القرقري - د. عبد الإله العبدي	134

تقدير موقف:

مستقبل النفوذ العالمي في زمن التحولات الكبرى

د. حمدي محمود – رئيس التحرير / مدير المركز الديمقراطي العربي بالقاهرة

المستخلص:

يقدّم هذا المقال قراءة تحليلية معمّقة في طبيعة التحولات الجيوسياسية والاقتصادية والتكنولوجية التي يشهدها العالم عام 2025، بوصفها تحولات بنيوية تتجاوز الظواهر الظرفية نحو إعادة تشكيل عميقة لهندسة النظام الدولي. يوضح المقال كيف تتداخل الضغوط الاقتصادية المتفاقمة، وأزمات الطاقة والمعادن النادرة، وتعثّر سلاسل الإمداد، مع صعود التكنولوجيا المتقدمة والذكاء الاصطناعي، لتعيد صياغة موازين القوة وتكسب الفاعلين غير التقليديين—مثل الشركات التقنية والكيانات المالية العابرة للحدود—دوراً متزايد التأثير في تحديد مسار السياسات العالمية. كما يناقش المقال أثر التحولات الديموغرافية والهجرات العابرة للحدود، وتداعيات التغير المناخي، وصعود الصراعات الإقليمية كعوامل مسرّعة لإعادة توزيع النفوذ الدولي. ويبرز كذلك أزمة الحوكمة العالمية وتراجع المؤسسات متعددة الأطراف أمام صعود التحالفات المرنة والثنائية، إضافة إلى التحديات القانونية والأخلاقية الجديدة المرتبطة بالفضاء السيبراني والأنظمة العسكرية الذكية. ويتوقف المقال عند البعد الثقافي والرمزي للقوة الناعمة في تشكيل التحالفات وصياغة النفوذ. ويخلص إلى أنّ عام 2025 يشكّل لحظة انتقالية باتجاه نظام دولي متعدد المراكز شديد التعقيد، يتطلب من الدول والمجتمع الدولي بناء مقاربات جديدة للحوكمة، قادرة على إدارة المنافسات وتخفيف الاحتكاكات بما يضمن قدراً من الاستقرار في عالم سريع التحول.

الكلمات المفتاحية: التحولات الجيوسياسية؛ النفوذ العالمي؛ الذكاء الاصطناعي؛ الحوكمة الدولية؛ الاقتصاد السياسي العالمي.

Abstract:

This article offers an in-depth analytical reading of the geopolitical, economic, and technological transformations shaping the world in 2025, viewing them as structural shifts that transcend temporary phenomena and signal a profound reconfiguration of the international system. It demonstrates how escalating economic pressures, energy and rare-mineral crises, and the disruption of global supply chains intersect with the rise of advanced technologies and artificial intelligence to reshape power dynamics, granting nontraditional actors—such as major technology firms and transnational financial entities—a growing influence over global policy trajectories. The article further examines the impact of demographic transitions, cross-border migration, climate-induced pressures, and the escalation of regional conflicts as accelerating factors in the redistribution of global influence. It also highlights the crisis of global governance and the declining effectiveness of multilateral institutions in the face of emerging flexible and bilateral alliances, alongside new legal and ethical challenges related to cyberspace and autonomous military systems. Additionally, it underscores the cultural and symbolic dimensions of soft power in shaping alliances and constructing spheres of influence. The article concludes that 2025 represents a transitional moment toward a highly complex, multi-centered international order—one that requires states and the international community to develop

new governance frameworks capable of managing intensifying competition and mitigating systemic frictions to preserve a minimum level of stability in an increasingly volatile world.

Keywords: Geopolitical transformations; global influence; artificial intelligence; global governance; international political economy.

العالم في عام 2025 لا يمر بتحولات سطحية عابرة فحسب، بل يعايش عملية إعادة تشكيل عميقة في هندسة السلطة الدولية وعلاقات القوة، عملية تتقاطع فيها ضغوط اقتصادية متزايدة مع تحولات تكنولوجية وجيوسياسية متسارعة، فتؤدّي إلى مشهد دولي أكثر تفتتاً وتعقيداً مما اعتدنا عليه خلال العقود الأخيرة. هذه التحولات لا تندرج في خانة أسباب منفصلة، بل هي عبارة عن منظومة أسباب متشابكة: تآكل قواعد عمل المؤسسات الدولية التقليدية، صعود أقطاب جديدة وغير تقليدية، تحوّل الموارد — خصوصاً الطاقة والمعادن النادرة والمعلومة الرقمية — إلى أدوات قوة، وانزياح أولويات السياسات الوطنية من التنافس التقليدي إلى صراع على مرونة السلاسل والإمداد وحيازة المعرفة. في هذا الإطار، علينا أن نفهم أن إعادة توزيع النفوذ ليست مجرد تنافس بين دول كبرى فقط، بل تتضمن إعادة تعريف أدوار الدول المتوسطة، وشركات التكنولوجيا العابرة للحدود، والأسواق المالية، والأنظمة القانونية، حتى أن الجماعات غير الحكومية وأطراف القطاع الخاص باتت تلعب أدواراً مؤثرة في صنع موازين القوة.

أولاً، علينا ملاحظة أن البنية الاقتصادية العالمية دخلت مرحلة جديدة من الصدمات البنيوية: تراكم الديون، تضاؤل العائد من سياسات التحفيز، اضطراب سلاسل التوريد بعد تجارب الجائحة، وتصاعد تكاليف التحول الطاقي. هذه العوامل تضيف إلى الحسابات الجيوسياسية عناصر قسرية؛ فالتحوّل إلى مصادر طاقة متجددة لا يخفف من الصراع على الموارد بل يعيد توجيهه نحو معادن نادرة وتكنولوجيا التصنيع المتقدّم، مما يجعل دولاً كانت هامشية لاعباً مركزياً في خريطة النفوذ. في الوقت نفسه، أضحى استعمال الأدوات المالية كأداة ضغط سياسي — من عقوبات مالية إلى عزل بنوك وأنظمة دفع — سمة ثابتة في العلاقات بين الدول، ما يجعل استقرار الأنظمة المالية العالمية جزءاً من الأمن القومي وليس مجرد مسألة اقتصادية.

ثانياً، التكنولوجيا تُعيد تشكيل موازين القوى بطريقة نوعية. التفوق العسكري التقليدي لم يعد كافياً إذا لم يترافق مع تفوق في السيطرة على البيانات، البُنى التحتية الرقمية، والقدرة على تشغيل الذكاء الاصطناعي لأغراض استخباراتية وصناعية. الشبكات الرقمية أصبحت ساحات اشتباك استراتيجية: الهجمات السيبرانية، الحرب المعلوماتية، والتأثير على بنيات الانتخابات والمؤسسات العامة جعلت من الأمن الرقمي خطاً أمامياً في السياسة الدولية. هنا أيضاً يظهر دور شركات التكنولوجيا الكبرى كقوى عابرة للحدود تمارس نفوذًا اقتصاديًا وسياسياً بدرجة قد تفوق بعض الدول المتوسطة، وتستطيع أن تشكّل تحالفات ناعمة مع حكومات أو أن تقاطع أسواقاً بحسب حسابات جيو–اقتصادية.

ثالثاً، التحولات الديموغرافية والهجرية تضع أولويات جديدة على طاولة السياسات. شيخوخة سكان دول متقدمة، وفرة شباب في بلدان نامية تعاني من بطالة وافتقار لفرص، وتزايد تدفق اللاجئين نتيجة للصراعات وتغيّر المناخ يجعل من إدارة الهجرة وأمن الحدود قضايا محورية تؤثر في

الاستقرار الداخلي للدول وفي علاقاتها الدولية. إضافة لذلك، يتسبّب التغير المناخي في الضغط على مصادر المياه والأراضي الصالحة للزراعة، ما يزيد من احتمالات صراعات محلية وإقليمية حول الموارد الأساسية ويجعل ملف المناخ جزءاً لا يتجزأ من الأمن القومي.

رابعاً، الصراعات الإقليمية المعاصرة لم تعد قضايا محلية فقط؛ فهي تعمل كمسرّعات للتحولات الكبرى. النزاعات في مناطق عدة من أفريقيا وآسيا والشرق الأوسط تؤثر في أسعار السلع الأساسية، في تدفقات اللاجئين، في مسارات التجارة، وفي احتمالات تدخل قوى خارجية لتحقيق مصالح استراتيجية. هذه النزاعات غالباً ما تتحول إلى ساحات تنافس بالوكالة بين قوى إقليمية وعالمية، حيث يتم توظيف عناصر مثل الأسلحة المتقدمة، الدعم المالي، والحروب الرقمية لكسب موطئ قدم، ما يعقّد جهود التسوية ويطيل عمر الأزمات.

خامساً، نشهد أيضاً تراجعاً في فعالية نظم الحوكمة الدولية وصعود منطق السياسات الثنائية والإقليمية. المؤسسات متعددة الأطراف تواجه أزمة شرعية وفاعلية، سواء بسبب غياب التمثيل عادل الأبعاد، أو بسبب عجزها عن فرض حلول سريعة في وجه تدهور الأزمات. في المقابل، تتشكّل شبكات تحالفية مرنة — شراكات تقنية، تجمعات تجارية إقليمية، تحالفات أمنية مؤقتة — تتداخل أحياناً مع تفاهمات جيو–اقتصادية لا تتقيد بقواعد الحلفاء التقليديين. هذا يطرح سؤالاً جوهرياً حول جدوى الشكل التقليدي للحكم العالمي وكيفية التكيّف مع هيكل متعدد الأقطاب لا يخضع لقواعد ثابتة.

سادساً، وأنى لنا أن نغفل البعد القانوني والأخلاقي: في عالم تتداخل فيه القوة الصلبة مع النفوذ الخوارزمي، تبرز حاجة ملحّة لإعادة صوغ قواعد الاشتباك الدولية حول الفضاء السيبراني والفضاء الخارجي والبحث الحيوي. غياب أطر قانونية ملزِمة يزيد من احتمالات سوء التقدير والتصعيد، ويجعل التفاوض على قواعد جديدة أحد أهم تحديات العقد الدولي القادم. كذلك تتراجع بعض معايير مراقبة الأسلحة التقليدية، بينما تظهر أسلحة جديدة — روبوتات قتالية، أنظمة مسيّرة متقدمة، أدوات التحكم في الذكاء الاصطناعي — تفرض تساؤلات أخلاقية واستراتيجية عميقة.

وأخيراً، ثمة عنصر لم يأخذ بعد حقه في التحليل: دور الثقافة والهوية في إعادة تشكيل التحالفات. القيم والأيديولوجيات ليست حاضرة فقط كأدوات تبرير، بل كقوى مكوّنة للسياسة، تؤثر في عمليات بناء الحلفاء وفي استجابة الجمهور لسياسات دولهم الخارجية. في بيئة تتصاعد فيها المنافسات، تصبح القدرة على ممارسة "القوة الناعمة" عبر الثقافة، الإعلام، والتعليم، وعن طريق تقديم نماذج اقتصادية واجتماعية مقنعة، مفتاحاً للاستدامة الدولية.

في ضوء ما سبق، لا يمكن النظر إلى عام 2025 كفترة عابرة، بل كبداية لعصر تتداخل فيه تقنيات جديدة مع هياكل قديمة، ويتشكل فيه عالم متغير على نحو قد يعيد رسم حدود السياسة والأمن والاقتصاد. التحدّي أمام الدول يتمثل في قدرتها على التكيّف: تكيّف استراتيجي يعيد ترتيب الأولويات الوطنية بحيث يوازن بين الحاجة إلى حماية المصالح قصيرة الأجل والاستثمارات الطويلة الأجل في المرونة والحوكمة، وبين بناء تحالفات مرنة وعدم الانغلاق في منطق القطبية الثنائية. أمّا التحدّي أمام المجتمع الدولي فهو بناء آليات قادرة على إدارة التنافس وتخفيف التوترات، عبر قواعد جديدة للحوكمة الرقمية والبيئية والاقتصادية قادرة على استيعاب تعددية المركز والفاعلين. بهذا المعنى، النجاح في إدارة هذه المرحلة لن يكون مجرد مهمة دبلوماسية أو عسكرية، بل مشروع حضاري يتطلب رؤية متكاملة تجمع بين العلم والسياسة والقانون والأخلاق، وإلا فإن الغلبة ستكون لمن يملك أدوات السرعة والموارد والقدرة على إعادة تشكيل قواعد اللعبة لمصلحته.

دوروسائل الاعلام والرأي العام التركي في سياسة تركياالشرق اوسطية.

أ.د. أحمد جاسم ابراهيم/ مركزبابل للدراسات الحضارية والتاريخية- جامعة بابل

المستخلص:

يؤثر الاعلام والرأي العام في السياسة الخارجية التركية في حالتين: الاولى حين يكون كلاهما مؤثرين بشكل ضاغط، اما الثانية فتتبلور من خلال توظيفهما من قبل النخب وجماعات الضغط والمصالح والاحزاب السياسية.. وعليه يعالج المبحث الموضوع في محورين، الاول عني بوسائل الاعلام وتأثيرها في سياسة تركيا الخارجية ازاء منطقة الشرق الاوسط، الثاني اختص بفاعلية الرأي في التأثير في السياسة الخارجية التركية ازاء منطقة الشرق الاوسط. وفيما يتعلق بالجانب الاول (دوره الداعم والمساند للسياسة الخارجية) فترد النقاط الاتية، لكونه وسيلة لدعم النظام السياسي في الداخل وزيادة كفاءته وفعاليته بوصفه نظاما ديمقراطيا.[1] ومن خلال دورها في العملية الاتصالية بين الافراد وصانعي القرار.[2] فتكتمل اهمية الاعلام داخليا والتي يمكنها التأثير في النظام السياسي وفعاليته فضلا عن الاعلام الخارجي الذي يرتبط ارتباطا عضويا بالجهود السياسية والدبلوماسية.

الكلمات المفتاحية: الإعلام التركي، السياسة الخارجية، الرأي العام، الشرق الأوسط، النخب وجماعات الضغط.

Abstract:

The media and public opinion influence Turkish foreign policy in two ways: first, when both exert significant pressure, and second, when they are manipulated by elites, pressure groups, special interest groups, and political parties. This study addresses the topic in two main areas: first, the media and its influence on Turkey's foreign policy towards the Middle East; and second, the effectiveness of public opinion in influencing Turkish foreign policy towards the Middle East. Regarding the first aspect (its supportive role in foreign policy), the following points are made: it serves as a means of supporting the political system domestically and enhancing its efficiency and effectiveness as a democratic system. Furthermore, it plays a role in the communication process between individuals and decision-makers. Thus, the importance of the media is complete both domestically, where it can influence the political system and its effectiveness, and internationally, where it is organically linked to political and diplomatic efforts.

Keywords: Turkish media, foreign policy, public opinion, Middle East, elites and lobby groups.

المحور الاول: - وسائل الاعلام التركية و آثارها في سياسة تركيا الشرق الاوسطية.

ان الاعلام التركي يؤثر عبر وسائل مختلفة، وتاتي في مقدمة هذه الوسائل الصحافة. فهي من ناحية تمثل قنوات اولى يستخدمها صانعو السياسة لتفسير مواقفهم وسياساتهم وتجميع التأييد لها. وهي من ناحية اخرى يمكن من خلالها ممارسة الضغط على

[1] علي الدين هلال، مدخل في النظم السياسية المقارنة، القاهرة، دار الطالب، 1976، ص5.

[2] اماني قنديل، نظام الاتصال وعملية التنمية السياسية في الدول النامية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، 1980، ص61-62.

صانعي السياسة عبر جماعات الضغط والمصالح المؤثرة فيها ومن خلال دورها في تشكيل الرأي العام ورأي صانعي السياسة في القضايا الخارجية.

وفيما يتعلق بالجانب الاول (دوره الداعم والمساند للسياسة الخارجية) فترد النقاط الاتية، لكونه وسيلة لدعم النظام السياسي في الداخل وزيادة كفاءته وفعاليته بوصفه نظاما ديمقراطيا.[1] ومن خلال دورها في العملية الاتصالية بين الافراد وصانعي القرار.[2] فتكتمل اهمية الاعلام داخليا والتي يمكنها التاثير في النظام السياسي وفعاليته فضلا عن الاعلام الخارجي الذي يرتبط ارتباطا عضويا بالجهود السياسية والدبلوماسية.

واذا كانت بدايات الاعلام التركي اعلاما رسميا خاضعا لتوجهات الدولة خلال مدة حكم نظام الحزب الواحد (1923-1950) فأن هذا الاعلام انقلب الى اعلام ليبرالي بأخذ بنظرية (المسؤولية الاجتماعية) بعد انتقال تركيا الى نظام تعدد الاحزاب اعتبارا من عام 1946، وبذلك اصبح الاعلام التركي عرضة للتيارات السياسية والاجتماعية والدينية المختلفة. كما توفرت بذلك امكانات استغلال وسائل الاعلام التركية – لاسيما الصحافة والسينما –من قبل الجماعات اليهودية في تركيا، فضلا عن الاطراف الخارجية الداعمة لها.[3] فاذا كان الامر كذلك، فكيف كانت وسائل الاعلام التركية تنظر الى الشرق الاوسط؟ وماذا كانت اثارها في توجهات السياسة الخارجية التركية الشرق اوسطية؟

ان أجوبة هذه الاسئلة يمكن تناولها اولا من خلال معرفة الصحافة التركية الرئيسة المؤثرة في السياسة الخارجية، ومن ثم ماهي اثارها الفعلية في هذا الصدد.

تتواجد في تركيا عدة صحف ومجلات وهي تمثل مختلف الميول والاتجاهات، معظمها يملكها القطاع الخاص، اذ تشرف عليها وتديرها شركات او مؤسسات تجارية صحفية. يعد الاعلان التجاري في تركيا هو المورد الرئيس لمعظم الصحف التركية ومن دونه لا تستطيع اية صحيفة من الاستمرار بالصدور وبذلك تكون الصحف تمثل وجهات نظر الجهة التي تمولها.

ان المصدر الرئيس لأخبار الصحف التركية هي بصورة رئيسية من وكالات الانباء والصحف الغربية. ونجد ان الصحيفة تكون دعاية للشركة المالكة لان معظم الصحف التركية كما أسلفنا تكون ملكيتها لمؤسسات وشركات تجارية. وتتراوح اتجاهات الصحف العامة التي تنبثق من انتماءاتها الحزبية وانتماءات مالك الصحيفة او المهيمنين على تحريرها بين التيار اليميني الذي يعبر عن مصالح الفئات التي تتحدث عن اهمية القطاع الخاص والاتجاه الاسلامي الاخذ في التصاعد وبين اليسار المعتدل فضلا عن النفوذ الاسرائيلي الذي يطغى على عدد منها وتصدر في تركيا صحف كثيرة منها(13) صحيفة رئيسية وباقي الصحف تاخذ الطابع الاقليمي او المحلي.[4]

وادناه مختصر لابرزها: -

اولا: صحيفة حرييت عقب قرار تقسيم Hurriyet : وهي اوسع الصحف التركية نفوذا وشهرة في السياسة الداخلية، وتأسست فلسطين، يهيمن عليها وقف سداد سيماوي .[5]

---

[1] علي الدين هلال، مدخل في النظم السياسية المقارنة، القاهرة، دار الطالب، 1976، ص5.

[2] اماني قنديل، نظام الاتصال وعملية التنمية السياسية في الدول النامية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، 1980، ص61-62.

[3] ابراهيم الداقوقي، نحو خطة جديدة للتحرك على المستوى الاعلامي، ص554.

[4] ابراهيم الداقوقي، فلسطين والصهيونية في وسائل الاعلام التركية، بغداد، 1987، ص42.

[5] سداد سيماوي: هو من يهود الدونمة ، لمزيد من التفاصيل ، ينظر: احمد نوري النعيمي ، يهود الدونمة ، دراسة في الاصول والعقائد والمواقف،

الذي يملك كبرى المؤسسات التجارية اليهودية في تركيا، وهي صحيفة يمينية محافظة. توزع يوميا مابين 80,000 ألف ومليون نسخة. وتأخذ مكانتها بين أكثر من عشرين صحيفة في العالم توزيعا.[1]

ثانيا. صحيفة جمهوريت: هي من الصحف الاكثر قربا من القضية الفلسطينية لتأييدها حركة التحرر في العالم تأسست عام 1923 ويمكن القول انها صحيفة النخبة المثقفة في تركيا، رغم ان مالكها (نادر نادي) ينتمي الى الماسونية. [2]

ثالثا. صحيفة ميلليت: صدرت عام 1949 وهي يمينية معتدلة الا انها تعارض تطور الاتجاه الاسلامي في تركيا. وهي من ناحية اخرى تمثل الوسط الاشتراكي التقدمي. وتعد من الصحف القريبة من خط الحكومة التركية.

رابعا. صحيفة تركيا: وهي صحيفة ذات ميول اسلامية تدعم الطريقة النقشبندية ومؤيده للقضية الفلسطينية. تأسست عام 1970 ولها مواقف مؤيده للحكومة التركية.[3]

خامسا. صحيفة ترجمان: وهي صحيفة يمينية الاتجاه تمثل الشريحة البرجوازية الرأسمالية صاحبها الماسوني الشهير ورجل الاعمال (كمال اولوجاك) وهي مؤيدة لطموح الرابطة الطورانية التي كان يدعو لها سليمان ديميريل " قبل ان يصبح رئيسا للجمهورية" وتأسست عام 1961.

سادسا. صحيفة صباح: وهي صحيفة سياسية اجتماعية واقتصادية تمثل مصالح الشركات التجارية وتم تأسيسها في 22 ايار 1985، ولها مواقف سلبية تجاه الاقطار العربية.

سابعا. صحيفة يني جون ايدن: وهي صحيفة سياسية اجتماعية تأسست عام 1968 وتهتم باخبار اللوبي الاسرائيلي الذي يهيمن عليها.[4]

ثامنا. صحيفة ميللي جازته: وهي صحيفة ذات توجه اسلامي وواسعة الانتشار في الاوساط الدينية ويملكها حزب الرفاه حاليا وهي لسان حال الحزب وتأسست عام 1973.

تاسعا. صحيفة يني دوشونجه: وهي صحيفة قومية يمينية تدعم التيار الطوراني بزعامة ألب اصلان توركيش، تأسست عام 1981.

عاشرا. صحيفة اورلهادوغو (الشرق الاوسط) : صدرت عام 1980 ثم توقفت عن الصدور عام 1990 وعاودت الصدور عام 1991 وتتبنى الدعوة للعرق التركي وتناصر حزب الطريق الصحيح.[5]

فضلا عن صحف اخرى مثل صحيفة الدايلي نيوز التركية وزمان.، ويني اسيا، ويني عصروكون ايدن وكونش، وصحف اقل انتشارا مثل اولوس ، وتان، وبوليفار فضلا عن المجلات كمجلة نقطة وايكيبن دوغرو وتمبو وغوروس وبارن بيلسيم وبوان وملليت سنت ديرجي ، اما فيما يخص فاعلية الصحافة التركية في السياسة الخارجية التركية فلابد من القول اولا ينبغي الاخذ بنظر الاعتبار وضع تركيا الاقليمي والدولي وعدم المبالغة بمسألة الخروج على الثوابت السياسية والاجتماعية والاقتصادية التركية والمتغيرات التي تتحكم في تطور المجتمع التركي من خلال علاقاته المتعددة الاطراف.[6]

---

[1] االمصدر نفسه.

[2] نادر نادي: هو ابن يونس نادي ، من يهود الدونمة . ولد يونس نادي في عام 1880 قام بتأسيس صحيفة جمهوريت . توفي عام 1945 وكان يلبس العمامة. بعد وفاة يونس تولى نادر يونس رئاسة تحرير جمهوريت . اظهر عداءا للاسلام مهاجما علماء الاتراك المسلمين متهما اياهم بالرجعية والتعصب .

[3] Turkiye de Milli Herekatler, Ankara, n.pb.,1962,p.45.

[4] Gumhuret,2/11/1989.

[5] William Hale, politics and Government in Turkey ,Berkeley and los Angles :Unversity of California press, 1992,p.33.

[6] التقارير الصحفية للسفارة العراقية بانقرة الصادرة في 12 آذار 1982وفي 4 فبراير 1986.

وادناه استعراض لبعض مواقف الصحف التركية في قضية فلسطين مع اهم العوامل المؤثرة على مواقف هذه الصحف، لعل من هذه المواقف، موقف حزب السلامة الوطني (المنحل) اذ حذر رئيس الكتلة البرلمانية لحزب السلامة الوطني – ذي الاتجاهات الاسلامية المعادية للامبريالية والصهيونية والشيوعية – من مخاطر التوسع الصهيوني في المنطقة في كلمة اثناء مناقشة وزارة الدفاع في المجلس الوطني التركي الكبير بتاريخ 23 فبراير 1979 قائلا(ان الكيان الصهيوني الذي قام على خرافة الوطن الموعود. يشكل خطرا على امن وسلامة اقطار المنطقة، ومن ضمنها جبال طوروس ومناطق اخرى).[1]

وكيف ان اسرائيل تمتلك العديد من وسائل التأثير الداخلية على تركيا فضلا عن الوسائل الاخرى الخارجية (عبر الغرب والولايات المتحدة) ومثال ذلك وما يخص الاعلام، هناك العديد من الصحف التركية المهمة يسيطر عليها اليهود الموالين لإسرائيل.[2] استطاعت البعثة " الاسرائيلية" الدبلوماسية عام 1949 ان توجه الصحافة التركية ومنها صحيفة حريت لصالحها بعد قيام اسرائيل واعتراف تركيا بها عام 1949.[3]

على الرغم من ذلك تمكنت صحف اخرى مثل (اليوم) وبني استانبول (استانبول الجديدة) من الوقوف بجانب العرب بعد حرب حزيران عام 1967 .، وعلى سبيل المثال اصدرت صحيفة اليوم هددا خاصا في حزيران عن القضية الفلسطينية شنت فيه حملة عنيفة على الصهيونية والكيان اوقعت ثقلها على الراي العام والاحزاب التركية لمساندة العرب في هذه الحرب.[4] فضلا عن ذلك مارست صحيفة جمهوريت الواسعة الانتشار دورها في التحول التركي تجاه العرب والقضايا الشرق اوسطية اواخر الستينات وحقبة السبعينات والثمانينات. اذ دعمت كل الخطط المصممة لاضعاف اعتماد تركيا على الغرب والتحالف معه، وطالبت بالتقارب مع العرب بعد حرب حزيران عام1967.[5]

والحقيقة تمارس الصحافة التركية دورها في السياسة الخارجية بشكل ضاغط معبرة في ذلك عن التوتر الداخلي والمشكلات ذات العلاقة بالسلوك السياسي الخارجي. فقد جاءت الازمة القبرصية لتشكل المنعطف الرئيسي في تحول الصحافة التركية الى الشرق الاوسط لاسيما الاقطار العربية. متاثرة بالانطباع الذي تولد لديها ولدى المواطنين الاتراك حول مدى السلبيه التي اتسم بها الموقف الغربي والامريكي ازاء تركيا وموقفها من قضية قبرص عام 1974، واثار الامر في تركيا موجة من السخط الشعبي حول جدوى انضمام تركيا الى نظام الامن الجماعي في اطار حلف شمال الاطلسي، وقلل من اندفاع تركيا في تأييد النهج الغربي وصدرت العديد من المقالات السياسية لكتاب اتراك تطالب الحكومة بوضع حد للقواعد العسكرية الامريكية على اراضي تركيا والقواعد الاخرى المشتركة بين تركيا والولايات المتحدة .[6]

كما تساءلت الصحف عن جدوى انتماء تركيا الى حلف شمال الاطلسي" الناتو"، اذ بدأ الكتاب اليساريون يبرهنون انه اذا كان الحلف فعلا قد خدم المصالح التركية في السابق فأنه لم يعد يخدم مصالحها في الوقت الحاضر.[7] وعموما تاخذ الصحافة التركية اهتمامات واتجاهات الحكومة التركية حتى وان كانت من الصحف المعارضة لها والا فتصبح غير مؤثرة سياسيا على المستويين

---

[1] ابراهيم الداقوقي، فلسطين والصهيونية، بغداد، 1987،ص91.

[2] Tachou, The Birth of Turkey ,op.cit.,p.58

[3] احمد نوري النعيمي، السياسة الخارجية التركية بعد الحرب العالمية الثانية، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد،ص93.

[4] Bugun, 27/6/1967,p.2.

[5] بكر، تركيا والصراع العربي الاسرائيلي، من منظور عربي،ص300.

[6] تاجو، "سياسة تركيا بين الشرق والغرب"، ص13.

[7] Gumhuriyet,8/9/1975.

الداخلي والخارجي. ذلك ان فحوى النظام السياسي التركي المشاركة كتعبير عن مضمون ديمقراطي. وتطرح الصحف التركية وجهات نظر اطراف القضية كي لاتصبح رتيبة ومملة ايمانا منها بحرية الرأي (رغم ان بعض هذه المواقف قد تتعارض مع منهجها ومبادئها) اي انها لاتاخذ قالبا واحدا. فضلا عن ذلك فأن المواقف السياسية الخارجية ومنها على سبيل المثال ازاء المنطقة العربية تنقسم الصحافة بصددها الى ثلاثة او اربعة مواقف، فتظهر الصحف المؤيدة لمواقف الحكومة التركية، والمواقف المعارضة والمواقف المعتدلة.وغالبا ماتكون القضايا المثيرة والحساسة في الشؤون الخارجية هي القضايا المهمة مثار جدل الصحافة واختلافها.[1] ومثال ذلك الصحف الداعمة لقرار الحكومة التركية في المؤتمر الاسلامي الذي عقد في جده عام 1975 حين صوتت الحكومة الى جانب اقتراح طرد اسرائيل من الامم المتحدة في المؤتمر.[2]

كما اثرت صحيفتا ميللي جازته وميلليت على الحكومة التركية باتخاذ موقف ايجابي من العراق اثناء اندلاع الحرب العراقية- الايرانية ومن المعروف ان هاتين الصحيفتين ذواتا ميول اسلامية حذرت من خلال افتتاحيتها ومقالاتها الحكومة التركية بردع اي نوايا ايرانية تعرض المصالح التركية للخطر او التهديد، وذلك حينما هددت ايران بضرب الخط الاستراتيجي لانبوب النفط العراقي المار عبر تركيا في اول الحرب. فسارعت هذه الصحف الى دفع الشخصيات الحزبية البارزة انذاك الى تنبيه الحكومة التركية الى هذه المسألة.[3]

واخيرا ان تغيير تركيا لمواقفها من الشرق الاوسط والعرب مسألة لم تكن مثار جدل صحافة فقط، وانما مختلف القوى المؤثرة في عملية صنع السياسة الخارجية التركية ناهيك عن دور القوى الخفية في المؤسسات التركية الحاكمة.، مع ذلك فأن التحول في المواقف الشرق اوسطية يرجع الى دور الاعلام بمختلف وسائله في التأثير في نخب صنع السياسة الخارجية التركية.

بيد اننا إذا ما اخذنا بنظر الاعتبار ان الصحافة فضلا عن دورها في التعبير عن الاراء ووجهات النظر المختلفة تعد قياسا لقوة او ضآلة الرأي العام التركي بصده مسألة او قضية معينة، قياسا لحاجة تركيا الفعلية، تلك الحاجة التي تعكس امكاناتها الفعلية الانية والمستقبلية.

فمثلا الصحافة لايمكنها لوحدها تقرير وضع المقتربات مع العرب بخصوص الصراع مع اسرائيل دون الاعتبارات الاخرى الاتية: -

1-الرأي العام التركي، اذ ان مشاعر غالبية الشعب التركي مؤيده للحق الفلسطيني.

2-حاجة تركيا للامكانيات الاقتصادية العربية لاسيما الدول المنتجة للنفط والضغوط العربية من اجل اتخاذ موقف واضح من القضية الفلسطينية.

3-حاجة تركيا الى التعاون مع الدول الاسلامية والموقف من قضية القدس.

4-ارتباط القضية الفلسطينية في برامج الاحزاب التركية المؤثرة في السلوك السياسي الداخلي ولاسيما ذات الاتجاهات الاسلامية كحزب الرفاه التركي.[4]

المحور الثاني: الرأي العام التركي و أثاره في سياسة تركيا الشرق اوسطية.

---

[1] فعلى سبيل المثال اثار مشروع ايزنهاور ، والذي اصبح يعرف بعد بمبدأ ايزنهاور، عام 1957 الخاص بملء الفراغ، في منطقة الشرق الاوسط والصحافة التركية، فمنها ماوقف الى جانب الحكومة التركية منتقدة الدول العربية الرافضة للمشروع كصحيفتي ميلليت وحريبت. بينما انتقدت الصحف الاخرى المعارضة المعتدلة واليمينية قرار الحكومة بالمباركة على المشروع الامريكي. ينظر:-BUGUN, 12/3/1983

[2] عيسى محمد،" الموقف التركي في الشرق الاوسط"، ص114-118.

[3] Milliyet,17/9/1984.

[4] Myron F. Walter, the Foreign policy of Turkey ,middle East Economic Digest, lodon, no.3,30 August,1992.p.39.

الرأي العام ظاهرة من الظواهر المجتمعية[1] ذات الجوانب المتعددة، وهي على وضوح أثرها في موقف معين لاتلبث ان تتخذ مسارات وامورا اخرى، لأنها خلاصة اراء مجتمعة نابعة من اصول مختلفة. لذلك انقسم الباحثون بصدد تعريفه بدلالات مجتمعية، من خلال تأثيره في عامة المجتمع ومنهم الباحثون الاجتماعيون ومنهم من عرفه من خلال علاقته بالسياسة الخارجية والداخلية للدولة وكانوا من المختصين في العلوم السياسية.[2] وآخرون أضفوا عليه حالة من التخصص باهتمام جماعة من المجتمع بقضايا محددة.[3] ، او من خلال وظيفته الاتصالية بين الافراد والمجتمع.[4]

وانطلاقا من ان الاعلام هو الموجه الرئيس لبلورة الرأي العام بتأثر الرأي العام عموما في اتجاهاته المختلفة بوسائل الاعلام التركية. وذلك عبر وسائل مختلفة لتعبئته باتجاه مضاد للحكومة والسياسة الخارجية، من خلال تضخيم المواقف السياسية ومظاهر التعبير عنها في اتجاهات الرأي العام.[5] او من خلال استطلاع الرأي، التي تسهم في الوصول الى غايتها عبر اساليب ملتوية احيانا.[6]

وبالنسبة لعلاقة الرأي العام بالسياسة الخارجية، ومن البديهي ان اية حكومة تركية تسعى للحصول على تأييد وقبول الرأي العام لها رغم ان العلاقة بين الرأي العام والسياسة الخارجية معقدة للأسباب التالية: -

1-ان صانعي القرارات قد لا يكترثون دائما لأهمية الرأي العام في كل قراراتهم.

2-ان عموم الرأي العام غير مهتم بالأمور السياسية، وربما يبدو ان نسبة قليلة جدا هي المهمة والمؤثرة في السياسة الخارجية.

3-ان الرأي العام يمكن توظيفه سياسا لافتقاره للمعلومات ولاسيما في النظم غير الديمقراطية والنامية.

4-انه من الصعوبة بسبب تطور ضغط الرأي العام على السياسة الخارجية، واختلاف قوته من ظرف لأخر حسب متغيرات داخلية وخارجيه، فرز مراحل تأثيره في السياسة الخارجية.

5-ان الرأي العام عموما في الدول غير المتقدمة (وتركيا منها) هو رأي غير ثابت وغير مستقر مما يقلل من فاعليته.[7]

الا انه على الرغم من ذلك فأن الرأي العام مؤثر في السياسة الخارجية التركية، وهو بطبيعته قومي يشمل كل تركيا أكثر مما هو محدد بمنطقة معينة، وذلك ان طبيعة وسائل الاعلام التركية ذات النطاق القومي أكثر شيوعا من الصحف ذات النطاق المحدود بمدينة معينة من تركيا. وبذلك يتكون الرأي العام حول السياسة الخارجية تكونا قوميا لا محليا.[8]

أن الرأي العام التركي شديد المساس بالشؤون الداخلية، ولاسيما الارتباط بقضايا خارجية.[9] وعلى الرغم من استناد تركيا على المبادئ الكمالية منذ اعلان الجمهورية، التي بطبيعتها تحتم عليها ميلا اوسع باتجاه الغرب. لم تؤثر تلك المبادئ في نفوس الاتراك من

---

[1] هناك من يعرف الرأي العام بأنه ظاهرة حركية تتسم بكونها ظاهرة نفسية واجتماعية وسياسية واتصالية في آن واحد. ينظر: حميدة سميسم، نظرية الرأي العام، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، بغداد، 1992، ص9.

[2] محمد علي سعد، الرأي العام، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ص181.

[3] ومنهم جيمس برايس القائل(الرأي العام ومجموعة الاراء التي يدين بها الناس ازاء القضايا والموضوعات التي تهم الجماعة وتأثر فيها. ينظر:
Daniel Katz ,p.Cartwright ,S.Eldersveld and A. Mcclung,public opinion and propaganda,4th ed.,n.y.,Holt-Rinehart Winston,1984,p.50-51.
كذلك ينظر: محمد عبد القادر حاتم، الرأي العام، مكتبة لبنان، بيروت، 1973، صص46.

[4] باعتباره نوعا من التعبير عن موقف ازاء نقطة متنازع عليها قابلة للجدلن واخذ وجهة نظر واحدة من بين وجهات نظر معارضة لها، في حين ان كل منها تصلح لان يتقبلها العقل الرشيد بوصفها وجهة النظر الوحيدة الصادقة، ينظر: محمد عبد القادر حاتم، الرأي العام، مكتبة الانكلو مصرية، القاهرة، 1972، ص50.

[5] حامد ربيع، فلسفة الدعاية الاسرائيلية، مركز الابحاث، بيروت، 1960، ص118.

[6] Bernard C.Cohen,the Relaationship Between public opinion and foreign policy maker, in public opinion and Historians ,ed.,Melvin Small, Detriot:Wayne State University press,1970,p.70.

[7] Haper Metin , Public opinion in Turkey,the middle East Jorurnal, Vol,36,no.4,Winter 1981,p.19.

[8] احمد نوري النعيمي، السياسة الخارجية التركية بعد الحرب العالمية الثانية، ص92.

[9] Ferenc A.Vali, Bridge across the Bosporus,op.,cit,.p.360.

العرب، اذ لم تؤثر الانماط السلبية عن العرب التي حاولت خلقها النخب المؤيدة للتحديث والتقريب في اوساط الرأي العام التركي الى الحد الذي تشكل فيه عداء مستحكما للعرب او نبذآ لهم ولأفكارهم، او عدم مبالاة بمشكلاتهم وقضاياهم العامة، لان جزءا كبيرا من شرائح المجتمع التركي يؤيد القضايا العربية ولاسيما قضية فلسطين.[1]

اما فيما يخص الشرق الاوسط اسهم بشكل ايجابي اثر مساندته الحكومة التركية (حكومة عدنان مندريس) في الخمسينات بالاضطلاع بأدوار استراتيجية مختلفة في الشرق الاوسط، اذ ايد الرأي العام التركي حكومته خوفا من التهديدات السوفيتية المتزايدة بعد نهاية الحرب العالمية الثانية وكمنفذ يقرب تركيا اكثر من الغرب والولايات المتحدة ويضمن سلامتها الوطنية والاقليمية.[2] وفي ضوء ذلك لم يبد الرأي العام التركي اية ردود فعل سلبية ال اقدام تركيا على المشاركة في المشاريع الغربية للدفاع عن منطقة الشرق الاوسط بشكل مباشر او غير مباشر، وابتداء بمشروع الدفاع عن الشرق الأوسط عام 1950.ومشروع الدفاع عن البحر المتوسط عام 1951 ومن ثم في حلف شمال الاطلسي 1952 وحلف بغداد 1955 ومشروع أيزنهاور عام 1957.

مقابل ذلك لم يظهر الرأي العام التركي تماسكا مع الحكومات التركية وسياسات الدول الغربية والولايات المتحدة حيال المنطقة العربية في جميع الاوقات، لذلك اظهر نقده الكبير للعدوان الثلاثي على مصر وطالب الحكومة التركية باتخاذ الموقف المطلوب منه. الا ان الحكومة التركية لم تظهر النقد الرسمي لدول العدوان فرنسا وبريطانيا كما اظهرت ذلك باتجاه " اسرائيل" وذلك لعضوية بريطانيا في حلف بغداد. اذ اظهر أحد الكتاب الاتراك ذلك النقد بقوله (خلقت اسرائيل بهذا العدوان وضعا خطيرا في الشرق الاوسط، ولم تكتف بذلك بل أدت الى نسيان ما فقده الروس في احداث المجر من اعتبار، وهكذا اساءت للعالم الحر).[3]

وبسبب عدوانية اسرائيل ضد العرب وتعاطف الراي العام التركي مع العرب ادى الى تخفيض تركيا علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل الى مستوى القائم بالأعمال.[4] وفي اوائل الستينات أصبح لتركيا دستورها الليبرالي في عام 1961 والذي فسح المجال للكثيرين في دخول العملية السياسية. فأصبحت الطبقتان الدنيا والمتوسطة تشاركان في الشؤون السياسية والاقتصادية وبالتالي بدأ الرأي العام يمارس تأثيرات على الحكومة باتجاه الشرق الاوسط. ويعود السبب في ذلك الى بروز قوى جديدة في الساحة الداخلية التركية فضلا عن مشاركة الطبقتين الدنيا والمتوسطة في الشؤون السياسية والمد الاسلامي المتزايد للجماعات الاسلامية وتأثيرها الجديد في السياسات التركية هي تحويل هذه السياسات الى شرق اوسطيه والى الاهتمام اكثر بدور تركيا الذي يجب ان تقوم به في منطقة الشرق الاوسط.[5]

ونتيجة تغير الاوضاع الدولية والاقليمية في العالم، اثر التقارب بين الدول العربية واوربا الغربية والولايات المتحدة، وتضاؤل الاعتماد العربي على الاتحاد السوفيتي، لاسيما بعد قرار السادات عام 1972 بطرد المستشارين السوفيت من مصر، وكنتيجة

---

[1] ابراهيم الداقوقي، نحو خطة جديدة للتحرك على المستوى الاعلامي والتربوي، ص562.

[2] فاخر ارما اوغلي، تركيا والصراع العربي- الاسرائيلي، ص259-260.

[3] المصدر نفسه.

[4] فاخر اما اوغلي، " تركيا والصراع العربي- الاسرائيلي"، ص259.

[5] Turkish Daily News,28/4/1988,p.1.

للتحولات السياسة التي شهدتها تركيا في التيارات السياسية الحزبية شهدت حقبة مابعد منتصف السبعينات مزيدا من التقارب التركي مع دول الشرق الاوسط[1]

وعلى الرغم من ذلك فقد بلورت متغيرات سياسية بين تركيا والولايات المتحدة ردود فعل عنيفة للرأي العام التركي، ألقت بضلالها على السياسة الخارجية التركية حيال الولايات المتحدة. فعلى سبيل المثال ولدت الرسالة التي بعث بها الرئيس الامريكي جونسون لرئيس الوزراء التركي عصمت اينونو استياء الرأي العام التركي حول جدوى الاتفاقيات الثنائية التي وقعتها تركيا مع الولايات المتحدة.[2] واستمرارية ولائها لحلف شمال الاطلسي" الناتو" .[3] وزاد من هذا الاستياء شكوك الاتجاه اليساري لدى المثقفين الذين استفادوا من

بعض المواد الليبرالية في الدستور والتي سمحت لهم بالتعبير عن افكارهم الجديدة في الصحافة.[4]

وعلى الرغم من ان كلا الحكومتين الامريكية والتركية حاولتا تخفيف الجوانب السلبية للخلاف بشأن قبرص، ناهيك عن ان النتيجة النهائية للخلاف التركي اليوناني خلال الستينات كانت متعادلة فيها، اذ لم يستطع لا الاتراك ولا اليونانيون تحقيق اهدافهم، الا ان الاحساس بالخيبة والاحباط في الجانب التركي، لاسيما لدى الرأي العام كان واسعا وعميقا.[5]

ففي آب 1964 حدث اول شيء مما سيصبح كثير الحدوث ويزداد خطورة وهو التظاهرات المعادية للولايات المتحدة التي اندلعت في انقرة. وكان واضحا على مستوى الحكومة ايضا ان اختلاف المصالح قد أصبح واضحا بين تركيا والولايات المتحدة وكان من شان هذا ان يؤثر في طبيعة العلاقة بينهما وكما لاحظ أحد المراقبين هذه الاعتبارات جعلت الاتراك يبدؤون بإعادة تقييم الحلف بشكل واسع، مما زادهم قلقا على أمن تركيا، ففضلوا الاهتمام بجوارهم وهو تحسين العلاقات مع دول الشرق الاوسط والاتحاد السوفيتي.[6]

أدرك الاتراك جيدا ان خططهم للدفاع ضد التغلغل الشيوعي لايكون فقط بالقوة العسكرية وانما بالأحرى بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية القوية. ففي حالة غياب هذه التنمية او في حالة انخفاضها بشكل خطير ستصبح تركيا ضعيفة في مواجهة الشيوعية. مما ينبغي ان تتحول تركيا نحو الشرق الاوسط ليس بسبب موقعها الجغرافي بل الجذور العميقة والروابط التاريخية مع الشعوب الاسلامية في تلك المنطقة.[7]

وقبل مدة الانتخابات التركية في تشرين الاول 1965، وعلى ضوء ما حصل من صراع بين الاحزاب السياسية ومن خلال الحملة الانتخابية السابقة للانتخابات النيابية، سيطرت على اهتمام اوساط الرأي العام التركي قضايا عديدة، كان اكثرها يرتبط بالعلاقة

---

[1] Ibid.

[2] سيزائي اوركنت، العلاقات العسكرية التركية-الامريكية، ترجمة مركز البحوث والمعلومات، بغداد، 1985، ص178.

[3] كان ولاء تركيا لحلف شمال الاطلسي ضمانا لتركيا من عدة جوانب، فقد كان الاتراك ينظرون اليه على انه ضمان بالحصول على المساعدات العسكرية والامريكية في حالة تعرض تركيا لهجوم ، وثانيا . عدوه اعترافا ضمنيا لعضوية تركيا المتكافئة في عائلة الدول الاوروبية الغربية، وثالثا . اعتقدوا انه يضمن استمرار المساعدة الاقتصادية الامريكية بكميات ستدعم نجاح طموحات الحكومة في تحقيق خطط التنمية، واخيرا كانوا يرون ذلك كرمز للتشابه التام في المصالح بين الولايات المتحدة . وباختصار فأن فرصة الحصول على الامن العسكري والرخاء وتحقيق الهوية الوطنية في ضربة واحدة اغرى الفرد التركي المتشكك بان يرمي نفسه في احضان صديقه وحليفه الجديد والغني، الولايات المتحدة . ينظر:- Harris,1972,p.45.;Ferenc A.Vali,The Turkish Strais and nato, Stantard,Calif:Hoover Institution press,1972,p.116.

[4] Ulman and dekmejian,1967,p.782.

[5] Vali,1972,p.310.

[6] Harris,1972,p.115.

[7] Studies On Turkish-Arab Relations,Annual,no.2,1986,p.159.

مع دول الشرق الاوسط، كقضية الاصلاح الزراعي والسياسة الخارجية، والنفط ورأس المال الاجنبي والتجارة الخارجية[1].كما تسبب ضغط الرأي العام التركي على الحكومة التركية باعادة النظر في تفاصيل الاتفاقيات الثنائية الموقعة مع الولايات المتحدة.[2] ونتيجة ذلك الضغط راجعت الحكومة التركية التي كان يتزعمها حزب العدالة نفسها واخبرت حينها الولايات المتحدة بضرورة اعادة النظر بمفردات هذه الاتفاقيات مجددا.

وتأسيسا على ذلك بدأت المشاورات والمحادثات بين مؤيدي البلدين حول تفاصيل كل ذلك اعتبارا من شهر كانون الثاني 1967، وكان من حصيلة هذه المشاورات والمحادثات التوصل الى اتفاق مشترك للتعاون الدفاعي بين البلدين وقع في شهر تموز 1969.[3]

وحينما بدأت العمليات العسكرية الحربية العدوانية ضد العرب في حرب حزيران 1967، حتى انحاز الرأي العام التركي مع العرب وطرحت الحكومة جانبا حيادها المتشدد بتبني مواقف متعاطفة مع الموقف العربي(برغم اصرار حزب الشعب الجمهوري على ضرورة ان تحتفظ الحكومة بحيادها التام في هذا النزاع كما فعلت في السابق)[4]. كما زاد الرأي العام [5] ضغطه على الحكومة التركية أبان حادثة حرق المسجد الاقصى من قبل اليهود اواخر عام 1969. وكان لهذا الضغط اثاره في بلورة القرار التركي الذي تمثل بمشاركة تركيا في مؤتمر القمة الاسلامي عام 1969 وتصويتها الى جانب قراراته المنددة بالأعمال الوحشية واللا انسانية لإسرائيل.[6]

جاءت الاحداث الاخرى الدولية والاقليمية لتلقي بثقلها على السياسة الخارجية باتجاه الشرق الاوسط، ابتداءا بسقوط نظام الشاه اوائل شباط 1979 والتدخل السوفيتي في افغانستان في اواخر كانون الاول 1979، واندلاع الحرب العراقية- الايرانية في 4 ايلول 1980، ناهيك عن احداث اخرى كمسألة رفع الحظر عن الاسلحة عن تركيا من قبل الولايات المتحدة عام 1978. وقبلها مسألة الحظر النفطي الذي فرضه العرب ضد الغرب والولايات المتحدة عام 1973، وتفاعل الازمة في قبرص لاسيما بعد الاعلان عن الجمهورية التركية الجديدة في شمال قبرص عام 1983 واعتراف تركيا بها فقط. لقد جلبت هذه الاحداث الانظار الدولية لدور تركيا في الشرق الاوسط لابل ثمنت دورها كجسر استراتيجي مهم بين المهددين الشرق اوسطيين، ودولة وحيدة تعتنق الاسلام في حلف شمال الاطلسي.[7]

---

[1] كمال حيدري،ص39.

[2] ففي 1954/6/23 ، وقعت كلا من تركيا والولايات المتحدة على اتفاقية مشتركة لتسهيلات عسكرية بين البلدين وتلتها التوقيع على ما يقارب (91) ، اتفاقية ثنائيةمشتركة. ينظر:- Fahir Armaoglu,1914-1980,p.822.

[3] A.g.e,s.824.

[4] عبد الوهاب بكر ،" تركيا والصراع العربيالاسرائيلي" ، ص300.

[5] وعلى الرغم مما تقدم فأن الرأي العام غير مؤثر في الاحوال والظروف والمسائل كافة. ولاسيما المسائل التي قد تفضي الى تعقيدات سياسية واقتصادية تؤثر في مصالح تركيا الحيوية فعلى سبيل المثال ومنه يمكن القياس على قضايا مماثلة، أفلح ضغط ادارتي جونسون ونيكسون على الحكومة التركية في التخلي عن زراعة الافيون رغم جدواه الاقتصادية لتركيا. اذ يدر مبالغ عالية وكان الرأي العام التركي مع زراعته للاغراض الطبية. كما رفض غالبية الفلاحين الطلب الامريكي.لكن مع ذلك استجابت حكومة بولند اجاويد في حزيران 1974 الى تنفيذ المنع . عندما تسائل الراي العام التركي(هل القرارات التي قد اثرت على حياة معيشة المزارعين الاتراك قد تمت صياغتها في واشنطن ام في انقرة؟).ينظر:- Tachou,Turkey,the polities of Authority Democracy and Development,p.192-195.

[6] اوغلي، " تركيا والصراع العربي- الاسرائيلي"، ص280-281.

[7] Richard N.Hass,Managing natos Weakest flank:the United States , Creece and Turkey,orois,,vol.30,no.3.fall,1986.

الخاتمة والاستنتاجات

أن الرأي العام التركي شديد المساس بالشؤون الداخلية، ولاسيما الارتباط بقضايا خارجية.[1] وعلى الرغم من استناد تركيا على المبادئ الكمالية منذ اعلان الجمهورية ، التي بطبيعتها تحتم عليها ميلا اوسع باتجاه الغرب. لم تؤثر تلك المبادئ في نفوس الاتراك من العرب، اذ لم تؤثر الانماط السلبية عن العرب التي حاولت خلقها النخب المؤيدة للتحديث والتقريب في اوساط الرأي العام التركي الى الحد الذي تشكل فيه عداء مستحكما للعرب او نبذآ لهم ولافكارهم. لم يظهر الرأي العام التركي تماسكا مع الحكومات التركية وسياسات الدول الغربية والولايات المتحدة حيال المنطقة العربية في جميع الاوقات، لذلك اظهر نقده الكبير للعدوان الثلاثي على مصر وطالب الحكومة التركية باتخاذ الموقف المطلوب منه.الا ان الحكومة التركية لم تظهر النقد الرسمي لدول العدوان فرنسا وبريطانيا كما اظهرت ذلك باتجاه " اسرائيل" وذلك لعضوية بريطانيا في حلف بغداد.

واخيرا ان تغيير تركيا لمواقفها من الشرق الاوسط والعرب مسألة لم تكن مثار جدل صحافة فقط، وانما مختلف القوى المؤثرة في عملية صنع السياسة الخارجية التركية ناهيك عن دور القوى الخفية في المؤسسات التركية الحاكمة.، مع ذلك فأن التحول في المواقف الشرق اوسطية يرجع الى دور الاعلام بمختلف وسائله في التأثير في نخب صنع السياسة الخارجية التركية.

بيد اننا اذا ما اخذنا بنظر الاعتبار ان الصحافة فضلا عن دورها في التعبير عن الاراء ووجهات النظر المختلفة تعد قياسا لقوة او ضآلة الرأي العام التركي بصده مسألة او قضية معينة، قياسا لحاجة تركيا الفعلية، تلك الحاجة التي تعكس امكاناتها الفعلية الانية والمستقبلية.

[1] Ferenc A.Vali, Bridge across the Bosporus,op.,cit,.p.360.

قائمة المصادر.

أولًا: المراجع العربية

1. إبراهيم الداقوقي. (1987). فلسطين والصهيونية في وسائل الإعلام التركية. بغداد.

2. إبراهيم الداقوقي. (1995). نحو خطة جديدة للتحرك على المستوى الإعلامي والتربوي في تغيير صورة العرب في الكتب المدرسية ووسائل الإعلام التركية. في: العلاقات العربية .التركية، حوار مستقبلي. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

3. أماني قنديل. (1980). نظام الاتصال وعملية التنمية السياسية في الدول النامية. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة.

4. تاجو. (دون تاريخ). سياسة تركيا بين الشرق والغرب.

5. حميدة سميسم. (1992). نظرية الرأي العام. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.

6. حامد ربيع. (1960). فلسفة الدعاية الإسرائيلية. بيروت: مركز الأبحاث.

7. سيز ائي أوركنت. (1972). العلاقات العسكرية التركية–الأمريكية. ترجمة مركز البحوث والمعلومات، بغداد.

8. عبد الوهاب بكر. (1991). تركيا والصراع العربي–الإسرائيلي. في: العلاقات العربية–التركية من منظور عربي (الجزء الأول). القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية.

9. عيسى محمد. (1969). "الموقف التركي وأزمة الشرق الأوسط". مجلة السياسة الدولية، العدد 17.

10. فاخر أرما أوغلي. (1991). تركيا والصراع العربي–الإسرائيلي. في: العلاقات العربية–التركية من منظور عربي، الجزء الأول. القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية.

11. محمد علي سعد. (1981). الرأي العام. بيروت: دار النهضة العربية.

12. محمد عبد القادر حاتم. (1972). الرأي العام. القاهرة: مكتبة الأنكلو المصرية.

13. محمد عبد القادر حاتم. (1973). الرأي العام. بيروت: مكتبة لبنان.

14. نبيل حيدري. (1986). تركيا: دراسة في السياسة الخارجية منذ عام 1945. دمشق: صبرا للطباعة والنشر.

15. أحمد نوري النعيمي. (1975). السياسة الخارجية التركية بعد الحرب العالمية الثانية. بغداد: دار الحرية للطباعة والنشر.

16. أحمد نوري النعيمي. (دون تاريخ). يهود الدونمة: دراسة في الأصول والعقائد والمواقف.

ثانيًا: المراجع الأجنبية

1. Armaoglu, F. (1993). 20. yüzyıl siyasi tarihi (1914–1980) (Vol. 1). Ankara: Türkiye İş Bankası Kültür Yayınları.

2. Bugün. (1967, June 27), p. 2.

3. Cohen, B. C. (1970). The relationship between public opinion and foreign policy maker. In M. Small (Ed.), Public Opinion and Historians. Detroit: Wayne State University Press.

4. Cumhuriyet. (1975, September 8).

5. Cumhuriyet. (1989, November 2).

6. Daily News (Turkish Daily News). (1988, April 28).

7. Hale, W. (1992). Politics and Government in Turkey. Berkeley & Los Angeles: University of California Press.

8. Harris, G. (1972). [Work cited in text], p. 45.

9. Katz, D., Cartwright, P., Eldersveld, S., & McClung, A. (1984). Public Opinion and Propaganda (4th ed.). New York: Holt, Rinehart & Winston.

10. Milliyet. (1984, September 17).

11. Myron F. Walter. (1992, August 30). The Foreign Policy of Turkey. Middle East Economic Digest, No. 3.

12. Studies on Turkish–Arab Relations. (1986). Annual, No. 2.

13. Tachou. Turkey: The Politics of Authority, Democracy and Development, pp. 192–195.

14. Ulman & Dekmejian. (1967). [Work cited in text].

15. Vali, F. A. (1972). The Turkish Straits and NATO. Stanford, CA: Hoover Institution Press.

16. Vali, F. A. (1972). Bridge Across the Bosporus.

17. Haper Metin. (1981). Public opinion in Turkey. The Middle East Journal, 36(4).

ثالثًا: مواد أرشيفية وصحفية عر اقية

1.التقارير الصحفية للسفارة العراقية بأنقرة. (12 آذار 1982؛ 4 فبراير 1986).

اللاجئين الفلسطينيين في ظل حرب الابادة الجماعية على قطاع غزة"من اللجوء الى النزوح"

إعداد الباحث: أ. ساهر حسن المصري

المستخلص:

يبحث هذا العمل في تحوّل قضية اللاجئين الفلسطينيين من لجوء تاريخي بدأ مع نكبة 1948 إلى نزوح قسري جديد نتيجة حرب الإبادة الجماعية على غزة منذ 2023. يوضح البحث أن تعريف "اللاجئ" في القانون الدولي متباين، وأن تعريف الأونروا للاجئ الفلسطيني محدود ويستثني فئات واسعة من الفلسطينيين المهجّرين.

يعرض البحث ضعف الحماية الدولية للاجئين الفلسطينيين بسبب الثغرات القانونية، خصوصًا استثناءهم من اتفاقية 1951 ما داموا تحت ولاية الأونروا. كما يبين كيف تستغل إسرائيل الحرب على غزة لإنتاج موجة جديدة من التهجير القسري عبر التدمير الشامل، والحصار، وتجريد السكان من مقومات الحياة.

ويؤكد أن الفلسطينيين يواجهون اليوم محاولة إعادة إنتاج نكبة جديدة، وأن قضيتهم ليست قضية إنسانية فقط، بل قضية سياسية وحقوقية أساسها حق العودة وتقرير المصير. ويخلص البحث إلى أن حماية الوجود الفلسطيني تتطلب مواجهة مخططات التهجير بسياسات قانونية ووطنية تعيد صياغة ملف اللاجئين ضمن مشروع تحرري شامل.

الكلمات المفتاحية: اللاجئون الفلسطينيون، التهجير القسري، حرب غزة 2023، حق العودة، الإبادة الجماعية.

Abstract:

This study examines the transformation of the Palestinian refugee issue from a historical displacement that began with the Nakba of 1948 to a new wave of forced displacement resulting from the ongoing genocide in Gaza since 2023. The study highlights the contradictions in international legal definitions of "refugee," noting that UNRWA's definition of a Palestinian refugee is limited and excludes large segments of forcibly displaced Palestinians.

The research underscores the weakness of international protection mechanisms due to legal loopholes, particularly the exclusion of Palestinians from the 1951 Refugee Convention as long as they fall under UNRWA's mandate. It also illustrates how Israel is exploiting the war on Gaza to generate a renewed wave of forced displacement through widespread destruction, a blockade, and the deprivation of basic necessities.

The study concludes that Palestinians today are facing an attempt to reproduce a new Nakba, and that their plight is not merely humanitarian, but fundamentally political and legal, rooted in the right of return and the right to self-determination. The book argues that preserving the Palestinian presence requires confronting displacement plans through legal, political and national strategies that reformulate the refugee issue within a comprehensive liberation project.

Keywords: Palestinian refugees, forced displacement, Gaza War 2023, right of return, genocide.

مقدمة:

يشكّل الشعب الفلسطيني الحالة الأبرز في التاريخ الحديث للاجئين الممتدّين عبر أجيال. فمنذ نكبة عام 1948، وجد مئات الآلاف من الفلسطينيين أنفسهم مشرّدين خارج ديارهم الأصلية، لتنشأ أكبر قضية لجوء ممتدة في العالم، واليوم مع حرب الإبادة الجماعية التي تُشن على قطاع غزة، يتحوّل هذا اللجوء التاريخي إلى نزوح شامل يهدّد بتحويل القطاع بأكمله إلى منطقة مهجّرة قسرًا.

المبحث الاول/ تعريف اللجوء وأنواعه

في الواقع لا يوجد تعريف جامع مانع لمفهوم اللاجئ في الاتفاقيات الدولية، حيث تميزت كل منها بمفهوم خاص للاجئ يختلف عما سواها من الاتفاقيات الدولية الاخرى وذلك بحسب الظروف التي أبرمت ومكان ابرامها والاطراف المتعاقدة، فيضيق مفهوم اللاجئ في بعضها بينما يتسع في اخرى، كما ان المُمارسة الدولية هي الأخرى لم تساهم في وضع تعريف محدد لمفهوم اللاجئ يمكن ان يطلق عليه التعريف القانوني للاجئ في القانون الدولي.

وقد عرف جانب من الفقه اللجوء بأنه" لجوء شخص الى سفارة اجنبية او حكومة اجنبية او سفينة حرب اجنبية للاستفادة من حماية تلك الدولة هربا من عدو احتل بلده، او من ملاحقة حكومته، بحيث تتعرض حريته او سلامته او حياته للخطر"[(1)].

ويعرف القانون الدولي اللاجئين بأنهم "الأشخاص الذين يجبرون على ترك بيوتهم خوفا من الاضطهاد، أفرادا أو جماعات، لأسباب سياسية أو دينية أو عسكرية أو لأسباب أخرى". ويختلف تعريف اللاجئ اعتمادا على الوقت والمكان، ووسّعت معاهدة اللاجئين عام 1951 تعريف اللاجئ بأنه "من خرج بسبب مخاوف حقيقية من اضطهاد بسبب عرقه ودينه وجنسيته وانتمائه إلى طائفة اجتماعية معينة أو ذات رأي سياسي، وتواجد خارج البلد الذي يحمل جنسيته، ويكون غير قادر أو بسبب هذه المخاوف غير راغب في الاعتماد على حماية دولته أو العودة لبلده بسبب المخاوف السابقة"، وهو التعريف الذي تعتمده المنظمات الدولية [(2)].

ويعد التعريف المذكور اللجوء حق يمنح للاجئ و يتمثل بالحماية التي تمنحها الدولة للاجئ المتواجد فوق اراضيها او فوق مكان تابع لسلطاتها وبناءً على طلب يقدم من اللاجئ الى السلطات المختصة الا انه وسع من مفهومه بحيث اشتمل على اعطاء الحق في اللجوء لكل من يتواجد فوق اراضي دولة الملجأ او فوق مكان تابع لسلطتها، بهدف انقاذ حياة الاشخاص وحرياتهم ممن يعتبرون مهددين في بلادهم [(3)].

وبناء على ما ذكر يمكننا تعريف اللجوء على انه حق يتمتع به اللاجئ ويتمثل بالحماية الممنوحة له من قبل دولة الملجأ التي يتواجد على أراضيها او في مكان تابع لسلطاتها بناءً على طلب مقدم من اللاجئ الى السلطات المختصة على ان يكون هناك خطر او خوف من خطر يحدق باللاجئ في وطنه ويدفعه لطلب اللجوء.

1.1.2 تعريف اللاجئ الفلسطيني:

[1] - سموحي فوق العادة، **معجم الدبلوماسية والشؤون الدولية**، مكتبة لبنان، بيروت،1974م، ص356.

2- الجزيرة نت، **الهجرة واللجوء والنزوح.. أوجه التشابه والاختلاف**، تاريخ المقال 2023/12/2، تاريخ المشاهدة 2025/1/29، الرابط:
https://www.aljazeera.net/encyclopedia/2023/12/2/%D8%A7%D9%84%D9%8

[3] - حوراء قاسم غانم، **النظام القانوني للجوء في القانون الدولي العام**، كلية الحقوق، 2013، ص5.

تعرف الأونروا اللاجئ الفلسطيني بأنه"أي شخص كانت فلسطين مكان إقامته الطبيعي خلال المرحلة الممتدة من حزيران/يونيو 1946 م إلى 15 أيار/مايو 1948 ([1])، وفقد مسكنه وسبل عيشه نتيجة نزاع سنة 1948، ولجأ في عام 1948 إلى واحد من البلدان التي تقدم فيها الأونروا خدماتها، وأن يكون مسجلاً في نطاق عملياتها ومحتاجا"([2])، ويلاحظ أن هذا التعريف يستثني الكثيرين ممن هم خارج مسؤولية الأونروا وتعريفها، وهم لاجئون فلسطينيون نتيجة حرب 1948 أصبحوا في أماكن لا تقع ضمن دائرة عمليات الأونروا([3])، كما في مصر وشمال أفريقيا والعراق والخليج .والنازحون الفلسطينيون داخليا، الذين بقوا في المساحة التي أصبحت ضمن المحتل" إسرائيل "وكانوا أساسا تحت مسؤولية الأونروا لكنهم استثنوا لاحقًا على افتراض أن" إسرائيل" تعالج وضعهم، سكان من غزة والضفة الغربية بما في ذلك شرقي القدس والمنحدرون منهم الذين نزحوا أول مرة في حرب 1967، وأفراد رحّلتهم سلطات الاحتلال الإسرائيلية عن الضفة الغربية وغزة بعد عام 1967، ومن أُطلق عليهم صفة" القادمون المتأخرون "أي أولئك الذين غادروا الأراضي المحتلة بغرض الدراسة، أو زيارة أقربائهم، أو العمل أو الزواج...إلخ، وانتهى مفعول إقامتهم التي رخصت السلطات الإسرائيلية بها ومنعتهم لاحقًا من العودة إلى ديارهم.

والفلسطينيون الذين كانوا خارج فلسطين الواقعة آنذاك تحت الانتداب البريطاني حين اندلعت حرب 1948، أو كانوا خارج المناطق مع نشوب حرب 1967 ومنعتهم سلطات الاحتلال من العودة، وفلسطينيون ميسورون لجأوا سنة 1948، لكن كبرياءهم حال دون تسجيل أنفسهم لدى الأونروا ([4]).

1.1.3 أنواع اللجوء:

تختلف أنواع اللجوء باختلاف الأسباب التي دفعت إليه، فبعضها يرجع لأسباب انسانية أو سياسية أو دينية أو اقليمية أو اقتصادية أو دبلوماسية أو دستورية أو حربية، بينما يرجع البعض الاخر منها للتطور التاريخي الذي شهده اللجوء وعلى مختلف الحقب التاريخية مما أدى لاندثار بعض انواعه وولادة أنواع أخرى، وهذا ما يلي:

أولاً/ اللجوء الانساني: يعد اللجوء الانساني أحد الأنواع الرئيسية للجوء ويسمى أيضاً باللجوء البيئي أو اللجوء المناخي أو الهجرة المدفوعة بأسباب التغيرات المناخية [(5)]، ويرتبط وجوده في الواقع بأسباب قهرية لا علاقة لها بالأمور السياسية، كالجوع والكوارث الطبيعية من الفيضانات او البراكين او التصحر أو الجفاف والهزات الأرضية والأعاصير كإعصار ساندي وتسونامي... الخ.

هذا وقد عرف برنامج الامم المتحدة البيئية (UNEP)، لاجئو البيئة بأنهم" الذين أجبروا على مغادرة مكان عيشهم مؤقتاً، أو بصفة دائمة، بسبب انقطاع بيئي عرض وجودهم للخطر، أو أضر بشروط حياتهم جدياً"[(6)].

1- عريف، عبدالرحمن - محمد، **توثيق الروايات الشفوية في التأريخ لنكبة فلسطين**، الحياة الللندنية، 9/أيلول/2017سبتمبر.

2 - موقع الأونروا ، الرابط: http://www.un.org/unrwa/arabic.

3- إيليا زريق، **اللاجئون الفلسطينيون والعملية السلمية**، ص13-14.

4- محمد عبدالرحمن عريف، **توثيق الروايات الشفوية في التأريخ لنكبة فلسطين**، المرجع السابق.

5- أوليفيا دون وفرانسوا جيمين، **نشرة الهجرة القسرية**، العدد 31، ص10.

6 - El-Hinnawi, **Environmental refugees , PNUD** , 1985 , Nairobi , p.41.

ثانياً/ اللجوء السياسي: ويكون الدافع وراء هذا النوع من اللجوء مجموعة من الأسباب السياسية، كان يكون هناك اختلاف في وجهات النظر والآراء السياسية مع السلطات الحاكمة أو الانتماء لبعض الجمعيات والأحزاب المعارضة لسياسة الحكومة، وغالبا ما يحصل هذا النوع من اللجوء في الدول ذات الانظمة الدكتاتورية والقمعية التي لا تقبل الرأي والرأي الأخر [1].

وقد كفت كافة التشريعات الدولية اللجوء السياسي ودافعت عنه قواعد القانون الدولي طبقاً لاتفاقية جنيف لعام 1951م بروتوكولها لعام 1967م، وغيرها من الاتفاقيات الدولية والاقليمية، وهو حق واجب احترامه من كافة الدول حتى وان لم تكن طرفاً في المعاهدات الدولية الخاصة به، وللجوء السياسي أثار متعددة منها التجنس بجنس بلد اللجوء، ويستثنى من ذلك حالات الضرورة والحاجة الملحة، كما أن من آثاره الدخول في الخدمة العسكرية، ويمنح القانون الدولي اللاجئ السياسي المقيم في بلد أجنبي بعض الحصانات بحيث لا يجوز تسليمه إلى سلطات بلده مهما ألحت في طلبه بشرط ألا يقوم بأي نشاط سياسي، مالم تسمح له السلطات المحلية بذلك[2].

ثالثاً/ اللجوء الديني: وهو من أقدم أنواع اللجوء نشوءا، حيث كان الأشخاص يلجئون إلى الأماكن المقدسة طلباً للحماية، هذا النوع من اللجوء تقلص نتيجة لتقلص سبب وجوده المتمثل الاضطهاد الديني الا أنه من الجدير بالذكر ان هذا النوع من الاضطهاد لا يزال قائما في بعض الدول بصورة غير معلنة أو قد تكون معلنة كما يحدث لإخواننا المسلمين من اضطهاد على ايدي البوذيين في بورما، وما أكد ذلك اصدار قانون الجنسية لبورما عام 1982م والذي صنف المسلمين على أساس انهم اجانب دخلوا بورما بوصفهم لاجئين أثناء الاحتلال البريطاني مما أدى إلى تجريدهم من الجنسية وبالتالي من المواطنة وامكانية ترحيلهم في أي وقت[3].

ولكن اللاجئ الفلسطيني ليس مجرد مهاجر أو باحث عن حياة أفضل، بل هو صاحب حق أصيل في العودة إلى أرضه وبيته الذي أُجبر على تركه، وهو حق قانوني وسياسي لم يسقط بمرور الزمن.

المبحث الثاني/ اللاجئين الفلسطينيون في القانون الدولي

تعرض الشعب الفلسطيني إلى سلسلة من سياسات التهجير الممنهجة والهادفة إلى تشريد واقتلاع الشعب الفلسطيني من أرضه، كان أبرزها في نكبة عام 1948 والتي أدت إلى تشريد غالبية الشعب الفلسطيني، لم تتوقف إسرائيل عن تهجير الفلسطينيين سواء نفذت ذلك من خلال القوة العسكرية المباشرة أو من خلال سياسات وقوانين عنصرية تفرضها على الفلسطينيين يومياً بهدف تهجيرهم والسيطرة على أكبر مساحة من الأرض بأقل عدد من الفلسطينيين، وبالرغم من أن قضية اللاجئين الفلسطينيين تتصدر قضايا اللجوء في العالم كونها تحتوي على أكبر عدد من اللاجئين في العالم وأطول فترة لجوء، إلا أنه وحتى حينه لم يتم إيجاد آلية واضحه للتعامل مع اللاجئين الفلسطينيين.

---

[1]- علي عبد الرزاق صالح، **اللاجئون في القانون العام**، اطروحة دكتوراه، غير منشورة، كلية الحقوق، جامعة النهرين، 2007، ص 48 ومابعدها.

[2]- علي حميد العبيدي، **مفهوم فكرة اللجوء في القانون الدولي وتطبيقاتها على اللجوء الانساني**، مجلة الحقوق، العددان 8 و 9 المجلد الثالث، بغداد 2010. ص194.

[3]- بورما مأساة تتجدد، بحث منشور على الموقع الالكتروني لفلسطين للحوار، 2012، ص11، http://www.google.iq/ur

فاللاجئون الفلسطينيون هم الفلسطينيون الذين طردتهم إسرائيل من ديارهم ووطنهم أثناء وبعد إنشاء الدولة في عام 1948، بموجب القانون الدولي، يحق لجميع اللاجئين العودة إلى المناطق التي فروا منها أو أُجبروا على تركها، والحصول على تعويضات عن الأضرار، واستعادة ممتلكاتهم أو الحصول على تعويضات ودعم لإعادة توطينهم طوعاً.

ولا تقتصر قضية اللاجئين الفلسطينيين على موضوع التهجير القسري المستمر، وإنما هناك فجوات أخرى تكمن في تمثيل قضيتهم ومشاركتهم في صنع القرارات المتعلقة بمصيرهم، إضافة إلى، موضوع الحماية الدولية التي من المفترض توفيرها للاجئين والتي تظهر بشكل أو بآخر مشّوهة أو منقوصة.

يعاني اللاجئون الفلسطينيون بشكل خاص، العديد من الفجوات التي تحجب عنهم الحماية الدولية الواجب توفيرها للاجئين، وسيتطرق الباحث في هذا المبحث إلى مناقشة قضية حماية اللاجئين الفلسطينيين في القانون الدولي، القانون الدولي الإنساني وقانون حقوق الإنسان.

بالرغم من أن صفة اللاجئين لم تحضر بشكل صريح في تعريف المدنيين في اتفاقية جنيف الرابعة المتعلقة بحماية الأشخاص المدنيين خلال وقت الحرب، إلا أنهم مشمولون ضمناً في التعريف الذي يوضح أن المدنيين هم "الأشخاص الذين يجدون أنفسهم في لحظة ما وبأي شكل كان، في حالة قيام نزاع أو احتلال، تحت سلطة طرف في النزاع ليسوا من رعاياه أو دولة احتلال ليسوا من رعاياها."

1. اللاجئ الفلسطيني في القانون الدولي:

جاء القانون الدولي بشكل أساسي ليعني بتنظيم العلاقات الدولية وتوفير الحماية للأفراد والجماعات التي تضم فئة اللاجئين وعديمي الجنسية، إلا أن قضية اللجوء الفلسطينية تظهر خالية من مظاهر الحماية الدولية، أحد أسباب فجوات الحماية يعود إلى عدم إدراج اللاجئين الفلسطينيين في تفويض المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، حيث قرر المجتمع الدولي عوضاً عن ذلك إنشاء منظمة خاصة تكون تابعة بدورها للأمم المتحدة تقوم على رعاية اللاجئين الفلسطينيين، وفي العام 1949 تم إنشاء وكالة الأمم المتحدة لغوث اللاجئين الفلسطينيين وتشغيلهم، وكانت المشكلة بخصوص وكالة الأونروا أنها أُنشئت لأهداف معينه تقوم بالأساس على غوث وتقديم المساعدات الانسانية للاجئين، ولا تقوم بتوفير أي حماية قانونية للاجئين وهنا يتعارض هدف وجودها مع الهدف الأسمى للقانون الدولي الذي يقوم بالأساس على توفير الحماية للأفراد واللاجئين، بما في ذلك توفير الحلول الدائمة لقضاياهم([1]).

بالإضافة إلى ذلك، يقتصر دور وكالة الغوث والتشغيل القائم على توفير المساعدات والخدمات الإنسانية الضرورية للاجئين الفلسطينيين المسجلين لديها، وهم يتواجدون في مناطق(الأردن، سوريا، لبنان، قطاع غزة والضفة الغربية)، ويكمن تعقيد وخصوصية القضية الفلسطينية في التعامل مع اللاجئين المسجلين لدى وكالة الغوث كفئة استثنائية لا تشملهم اتفاقية اللاجئين لعام 1951 والحماية المقدمة لهم، في الوقت ذاته يتم التعامل مع الفلسطينيين الذين نزحوا من الضفة الغربية وقطاع غزة إبان

[1]- رانية ماضي، **فجوات الحماية الدولية وسبل تجاوزها**، موقع بديل المركز الفلسطيني، تاريخ المشاهدة 2025/4/12، الرابط: https://badil.org/ar/publications/haq-al-awda/issues/items/3291.html

حرب عام 1967 من قبل الاونروا كمهجرين لا يحملون صفة لاجئ وبالتالي لا يتمتعون بالحماية الدولية الشاملة، حيث يتم تقديم المساعدة الانسانية كحالة طارئة.

1.2 قضية اللاجئين الفلسطينيين والقانون الدولي بين المفهوم والحق:

تعتبر قضية اللاجئين الفلسطينيين من أصعب قضايا اللجوء أمام المجتمع الدولي وأكثرها تعقيدا، باعتبارها قضية شعب تم طرده من أرضه بالقوة ونفيه، وتم إحلال سكان آخرون جاءوا من أماكن شتى في العالم يجمع بينهم فقط انتماؤهم للديانة اليهودية، وفق مقولة كاذبة طالما ترددت من مغتصبي حق الشعب الفلسطيني" أرض بلا شعب"، والمشكلة الحقيقة التي يواجهها اللاجئون الفلسطينيون منذ اقتلاعهم من أراضيهم عام1948، ليس في كونهم لاجئين طردوا من وطنهم، ولكنها تكمن في تحديد مصطلح" من هو اللاجئ؟ "لأن تحديد من هو اللاجئ الفلسطيني تتوقّف عليه آليات وسبل حل قضية الشعب الفلسطيني الوطنية برمتها في صراعه التاريخي مع الاحتلال الصهيوني [1].

فعلى الصعيد الفلسطيني فإن تعريف مصطلح اللاجئين الفلسطينيين بأنهم" شعب آمن طرد من وطنه وأرضه وديارة بقوة البطش والسلاح، واضطروا بسبب ذلك إلى اللجوء في المنافي والشتات، وبالتالي من حقهم النضال بكل الوسائل من أجل العودة إلى ديارهم، وهذا التعريف لا يرضي المجتمع الدولي وقانونه، من حيث خضوع هذا المجتمع، لاعتبارات سياسية وخاصة فيما يتعلق بقضية اللاجئين الفلسطينيين مرتبطة بقيام دولة إسرائيل.

وقضية اللاجئين الفلسطينيين في القانون الدولي تتجاوز كونها مسألة إنسانية، فهي قضية حق غير قابل للتصرف، يرتبط بالهوية الوطنية الفلسطينية وبالعدالة الدولية، أي حل عادل وشامل للقضية الفلسطينية لا يمكن أن يتم دون ضمان العودة والتعويض كما نصت القرارات الدولية.

المبحث الثالث/ اللاجئين الفلسطينيين في ظل الإبادة الجماعية في قطاع غزة

بدأت الحرب في7 تشرين الأول/أكتوبر 2023م، بعد هجوم مفاجئ شنَّته حركة حماس على إسرائيل والذي أسمته بعملية طوفان الأقصى، حيث شهدت الساعة 6:25 صباحا انطلاق آلاف الصواريخ من قطاع غزة باتجاه المواقع والبلدات الإسرائيلية داخل الخط الأخضر دفعةً واحدةً ودون مقدمات، ليتبين بعد أقل من نصف ساعة على بدء العملية أن إطلاق هذا الكم من الصواريخ والقذائف لم يكن أكثر من تغطيةٍ على عملية اجتياحٍ واسعةٍ لمقاتلي المقاومة الفلسطينية داخل الخط الأخضر، لتسقط مواقع ومستوطنات إسرائيلية عديدة في أيدي المقاتلين بشكل درامي غير مسبوق في عمليةٍ أطلق عليها (طوفان الأقصى)، وبالمقابل تعلن إسرائيل حالة الحرب لأول مرة منذ إعلان حالة الحرب صباح يوم السبت السادس من أكتوبر عام 1973، أي منذ نصف قرنٍ بالضبط .

كما أن توقيت العملية بحد ذاته شكل إذلالا لإسرائيل، فقد أتى في اليوم الأخير من موسم عيد العُرش، أي في خضم استنفارٍ عالٍ لدى قوات الجيش والشرطة الإسرائيلية استمر 22 يوما لتأمين موسم رأس العام العبري والغفران والعُرش، وتزامن مع تصعيد عال في الضفة الغربية والقدس تحسبا من أي عملياتٍ، وكان يفترض أن عملية الاستنفار والإغلاق مستمرة حتى يوم الأحد الثامن من

[1]- زينب الغنيمي، قضية **اللاجئين الفلسطينيين والقانون الدولي بين المفهوم والحق**، عمان- الأردن، 2019، ص2.

شهر أكتوبر، وكان التركيز الإسرائيلي في هذا الاستنفار متعلقا بالضفة والقدس ومتراخيا مع الجبهة الجنوبية في غزة، وذلك كرد فعلٍ على تصعيد المقاومة المسلحة في الضفة([1]).

فأول ما لفت الأنظار في هذا اليوم على جميع المستويات هو حجم المفاجأة التي لم تتمكن إسرائيل من إخفائها، وكان غياب المعلومات والتقديرات عن حكومة الاحتلال وأجهزتها الأمنية دلالة فشل استخباري غير مسبوق، وبدا ذلك واضحا في غياب أي رد فعلٍ إسرائيلي على الاجتياح الفلسطيني لمدة 4 ساعات كاملة فصلت بين بداية العملية وأولِ طلعةٍ جويةٍ إسرائيلية ضد قطاع غزة ردا على الهجوم الفلسطيني.

كما أن وقوع عدد كبير من الأسرى الإسرائيليين الأحياء في قبضة المقاومة لابد منطقيا أن يستخدم لإطلاق سراح الأسرى الفلسطينيين في صفقات محتملة تختلف تماما عما سبقها. وهذا ما يفسر حرص المقاومة على نشر صور الأسرى وهم أحياء باستمرار في هذه المرحلة، بحيث تمنع إسرائيل من تجاهلهم كما فعلت مع الأسرى الموجودين لدى المقاومة منذ سنوات. وبالإضافة إلى ذلك، فإن هذه العملية تعتبر فرصة ذهبية لإجبار إسرائيل على فك الحصار عن غزة خوفا من اضطرار إسرائيل للدخول في حرب مفتوحة لا يمكنها تحملها.

1.1 الابادة الجماعية في قطاع غزة 7 أكتوبر 2023:

بعد 7 تشرين الأول/ أكتوبر اجتاحت المجتمع الإسرائيلي موجة غير مسبوقة من الرغبة في الانتقام والثأر ([2])، كانت المحرّك والدافع لآلة الحرب العملاقة إلى القيام بعمليات إبادة جماعية ودمار شامل ضد أهالي قطاع غزة. ولم تخرج سوى بعض الأصوات على هامش الهامش، تعارض هذه الجرائم، وإنما ساد عملياً إجماع داعم ومساند ومشجّع على المذبحة الكبرى وعلى مزيد منها.

من الواضح أن القيادتين الأمنية والسياسية في إسرائيل أرادتا إرواء تعطّش الشارع الإسرائيلي إلى الانتقام، علاوة على التعويض عن فشلهما في 7 تشرين الأول / أكتوبر، إلاّ إن الهدف الكبير كان التهجير وجعل القطاع منطقة غير صالحة للحياة البشرية كي يندفع الناس اضطراراً إلى "هجرة طوعية" نحو سيناء، وجرت محاولات إسرائيلية وأميركية حثيثة لإقناع مصر بفتح أبواب التهجير، لكن مصر عارضت ذلك بشدة، وبعد 7 تشرين الأول/ أكتوبر، عاد التهجير إلى المركز، بعد أعوام طويلة من بقائه على هامش السياسة الإسرائيلية ([3]).

لقد قامت الدولة"اليهودية الديمقراطية" على أساس التهجير، ولولاه لما كانت يهودية ولما كانت ديمقراطية، لأن هناك أغلبية عربية في فلسطين التاريخية. وبعد تهجيرَي 1948 و1967، بقي مشروع التهجير مجمّداً وساد خطاب في إسرائيل فحواه أن هذا المشروع غير قابل للتنفيذ، ولعل من أهم التغييرات التي جاءت بها هذه الحرب هي عودة التهجير إلى مركز السياسة الإسرائيلية، مترافقاً مع نشر عدد كبير من المقالات والدراسات والندوات عن الموضوع.

---

[1]- عبدالله معروف، **السابع من أكتوبر.. يوم الاجتياح الفلسطيني**، تاريخ المقال: 2023/10/8، تاريخ المشاهدة 2025/7/3، الرابط:
https://www.aljazeera.net/opinions/2023/10/8/%D8%A7%D9%84%D8%B3%D8%A7%D8%A8%D8%B9-%D9%85%D9%86-%D8%A3%D9%83%D8%AA%D9%88%D8%A8%D8%B1-%D9%8A%D9%88%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%AC%D8%AA%D9%8A%D8%A7%D8%AD

[2]- هشام نفّاع، **"الخطاب والرواية الإسرائيليان لأحداث 7 أكتوبر"**، مجلة "قضايا إسرائيلية" الصادرة عن المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية / مدار، العدد 93 (ربيع 2024)، ص 73 – 85، في الرابط الإلكتروني.

[3]- إيتمار آيخنر، **"مقترح إسرائيلي جديد: مصر تستوعب لاجئين ويُشطب دينها للبنك الدولي"**، الموقع الإلكتروني لـ "يديعوت أحرونوت" ("واينت"، بالعبرية)، 31 / 10 / 2023، في الرابط الإلكتروني.

وفي محاولة لإعطاء تفسير لحملة الإبادة الجماعية ومساعي التهجير في الحرب على غزة، أحال جون ميرشايمر، الأستاذ في جامعة شيكاغو وأهم منظّري المدرسة الواقعية في العلاقات الدولية، الموضوع إلى الهوس الديموغرافي، إذ وصل عدد اليهود والعرب في فلسطين 7,3 مليون لكل منهما، فإسرائيل لا تريد حل الدولتين، كما أن دولة الأبارتهايد غير مستقرة وستنهار عاجلاً أم آجلاً، وهكذا أصبح الحل الإسرائيلي هو التطهير العرقي وارتكاب مجازر إبادة جماعية لدفع الناس إلى الرحيل ([1]).

استغلت إسرائيل عملية طوفان الأقصى التي قامت بها حركة المقاومة الاسلامية "حماس" في السابع من تشرين الأول/ أكتوبر 2023، لشنّ حرب إبادة ضد الشعب الفلسطيني في قطاع غزة. وأعلنت أن هدفها من الحرب القضاء على حكم حماس وعلى قوتها العسكرية في القطاع. بيد أنها سعت في الوقت نفسه لتحقيق هدف آخر هو تهجير الفلسطينيين أو معظمهم من قطاع غزة إلى سيناء المصرية وإلى دول أخرى في المنطقة والعالم. وفي هذا السياق، قام الجيش الإسرائيلي بعملية تدمير شاملة للمدن والمخيمات والبلدات الفلسطينية في القطاع، أتت على المباني السكنية ومختلف البنى التحتية التي تزود الخدمات الضرورية لحياة المواطنين المدنيين مثل الكهرباء والماء، وكذلك مختلف المؤسسات بما في ذلك المدارس والجامعات والمستشفيات والمساجد والكنائس والمؤسسات التابعة للأمم المتحدة والمنشآت الاقتصادية والصناعية وطرق المواصلات والحقول الزراعية ... إلخ. وحتى منتصف آذار/ مارس 2024، استشهد أكثر من 31500 فلسطيني، معظمهم من النساء والأطفال، إضافة إلى نحو 7000 مفقود، وجرح أكثر من 72000 معظمهم من النساء والأطفال، ولم تأتِ جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية التي ارتكبها الجيش الإسرائيلي ضد الفلسطينيين في القطاع لتحقيق أهداف عسكرية أو لإشباع غريزة الانتقام فحسب، وإنما أيضًا، وأساسًا، لتحويل القطاع إلى منطقة غير صالحة للعيش فيها، لدفع الفلسطينيين إلى الهجرة منه([2]).

1.2 الابادة الجماعية الممنهجة بحق الشعب الفلسطيني في قطاع غزة:

لم تبدأ الحرب في 7 تشرين أول/أكتوبر 2023، بل هي حرب تطهير عرقي مستمرة منذ ثمانية عقود يشنها الصهاينة وحلفائهم على الشعب الفلسطيني مستخدمين كل أدوات القتل والتهجير والتدمير والحصار، أما العدوان الأخير على قطاع غزة، والذي وصل إلى إبادة جماعية، فهو فصل آخر من حرب التطهير العرقي لكنه أكثر كثافة وهمجية ووحشية مقارنة بكل حروب القرن الواحد والعشرين([3]).

لم تتوقف الجرائم والمجازر الإسرائيلية بحق أبناء الشعب الفلسطيني حتى تستأنف من جديد، على نحو أكثر ترويعاً، وأشد تقتيلاً، باستهداف الأطفال والنساء والشيوخ، فما أن يتوقف القصف الوحشي للاحتلال الإسرائيلي على قطاع غزة؛ حتى يتجدد بشكل متسارع بصورة أشد فتكاً وإرهاباً، وهذا في ظل وجود حالة إرهاب دولة منظم، لا تؤمن سوى بعقيدة القتل، والحرق، والإبادة الجماعية؛ التي طالما جاهر بها من يتولون الحكم في إسرائيل، فهذا العدوان هو واحد من سلسلة طويلة من فصول الفتك والقتل والترويع بحق الفلسطينيين العزل القابضين على جمر وثرى وطنهم مهما عصفت بهم الأزمان، فما يُحدث في غزة هو ترجمة فعلية

---

[1]- عبدالله معروف، **السابع من أكتوبر.. يوم الاجتياح الفلسطيني**، مرجع سابق.

[2]- محمود محارب، **الحرب وتهجير الفلسطينيين من قطاع غزة**، تاريخ المقال 2024/3/20، تاريخ المشاهدة 2025/7/1، الرابط:
https://www.arab48.com/%D8%A5%D8%B3%D8%B1%D8%A7%D8%A6%D9

[3]- مركز دراسات الوحدة العربية، **حرب الابادة الجماعية في غزة**، الرابط: https://caus.org.lb/%D8%AD%D8%B1%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8
/

للهمجية الاحتلالية القائمة منذ النكبة عام 1948 وحتى يومنا هذا، وجزء لا يتجزأ من العدوان المتواصل على المدن، والبلدات، والقرى، والمخيمات، في الضفة الغربية، والقدس المحتلة وفي الشتات.

فإسرائيل تريد تكريس صورة أن قتل الحجر والبشر واستباحة قطاع غزة بشكل دوري واجتثاث كل ما يُمكن اجتثاثه هو أمر طبيعي وليس مستهجن، وهذا في ظل حالة إمعان واضح بتكثيف البطش تجاه كل ما هو فلسطيني، في ظل وجود بنك أهداف إسرائيلي قائم على قصف الأبراج والعمارات السكنية، والمشافي، والمدارس، والمساجد، والأسواق، واستهداف الأطفال الآمنين العُزل، فهذا هو بنك أهدافهم وهذه هي لغتهم، وما يُحدث في غزة من فتك وتدمير ومجازر هو حقيقة ماثلة لمن يريد أن يرى، فاليوم يتم إعادة إنتاج النكبة من جديد على نحو شديد الإرهاب والفظاعة وكأن هيروشيما قد بُعثت مرة أخرى لكن هذه المرة كانت في قطاع غزة([1]).

وفي خضم البطش الإسرائيلي حيال البشر والحجر في غزة، يطالب أعضاء حكومة الاحتلال الإسرائيلي بشكل علني وصارخ بارتكاب المزيد من جرائم الحرب في غزة، فقطعوا الماء والغذاء والدواء والكهرباء والوقود، ومنعوا كلياً إدخال أية مساعدات إنسانية إلى غزة، في رسالة مفادها الرغبة والإصرار على إحداث إبادة جماعية للسكان هناك وقتل أكبر عدد منهم، وهذا في خرق واضح وصارخ لاتفاقية "منع جريمة الإبادة الجماعية والمعاقبة عليها" المُتفق عليها عام 1948، وتُشير الاتفاقية: "بأن الإبادة الجماعية جريمة بمقتضى القانون الدولي، تتعارض مع روح الأمم المتحدة وأهدافها ويدينها العالم المتمدن، وتصادق الأطراف المتعاقدة على أن الإبادة الجماعية، سواء ارتكبت في أيام السلم أو أثناء الحرب، هي جريمة بمقتضى القانون الدولي، وتتعهد بمنعها والمعاقبة عليها"([2]).

كما وتم استخدام الفوسفور الأبيض ضد سكان القطاع، وإلقاءه على شكل قنابل، وما هو جدير بالذكر بأن اتفاقية جنيف تُحرّم استخدام الفوسفور الأبيض ضد السكان المدنيين أو حتى ضد الأعداء في المناطق التي يقطن فيها مدنيون، وتعتبر استخدامه جريمة حرب، وتعرّف الاتفاقية الأسلحة الحارقة بأنها كل سلاح أو ذخيرة تُشعل النار في الأشياء أو تحدث لهباً أو انبعاثاً حرارياً يسببان حروقاً للأشخاص، وهذا ما حرمه القانون الدولي بشكل قاطع. وبشكل فظ وعلني تضرب إسرائيل بكل القرارات الدولية بعرض الحائط، وتخرق القانون الدولي دون أن يرف لها رمش، وتنتهك القرارات والمواثيق الدولية والأممية بكل عنجهية وغطرسة وفجاجة، ومن هذا المنطلق يصدح الكل الفلسطيني دائماً وأبداً بضرورة تحميل إسرائيل كامل المسؤولية عما ترتكبه من جرائم وفظائع، مطالبين المجتمع الدولي بتوحيد المعايير، ومحاسبة إسرائيل على جرائمها المروعة وانتهاكاتها المستمرة ضد أبناء شعبنا، وعدم السماح لهم بالإفلات من العقاب، فإسرائيل تنتهج نهج العقوبات الجماعية تجاه الفلسطينيين ولا سيما الإبادة التي ترتكبها في غزة وهذا ما يعتبر انتهاكاً صارخاً لحقوق الانسان، ولاتفاقية جنيف الرابعة ولمضامين القانون الدولي الإنساني برُمته.

وفي سياق العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة عام 2023 المنافِ كلياً للقانون الدولي والاعراف والمواثيق الدولية والإنسانية، أعلنت إسرائيل قطع الإمدادات الأساسية من كهرباء وماء ووقود ومواد غذائية عن غزة، وأعلن وزير جيش الاحتلال الإسرائيلي يوآف غالانت الإجراءات العقابية قائلاً: "لا كهرباء ولا طعام ولا ماء ولا وقود، كل شيء مغلق"، مضيفاً بكل همجية ممكنة: "نحن نحارب

[1]- مركز المعلومات الوطني الفلسطيني وفا، **العدوان الاسرائيلي على قطاع غزة 2023-2025 والقانون الدولي**، الرابط: https://info.wafa.ps/pages/details/34230

[2]- مركز المعلومات الوطني الفلسطيني وفا، **العدوان الاسرائيلي على قطاع غزة 2023-2025 والقانون الدولي**، مرجع سابق.

حيوانات بشرية ونتصرف وفقاً لذلك". وأمر وزير البنية التحتية الإسرائيلي بالقطع الفوري لإمدادات المياه عن قطاع غزة الذي يبلغ عدد سكانه حوالي 2.2 مليون نسمة.

وتقول منظمة الأمم المتحدة: "بأن حرمان السكان في أراضٍ محتلة من الغذاء والكهرباء يشكل عقاباً جماعياً وهو جريمة حرب، مثله مثل استخدام التجويع سلاحاً". وأضافت: "على المحكمة الجنائية الدولية أخذ العلم بهذه الدعوة إلى ارتكاب جريمة حرب".

وبحسب المادة 33 من اتفاقية جنيف الرابعة بشأن المدنيين الصادرة في العام 1949، تحت بند "المسؤولية الفردية والعقوبات الجماعية والنهب والانتقام"، "لا يجوز معاقبة أي شخص محمي على جريمة لم يرتكبها هو شخصياً. وتحظر العقوبات الجماعية، وكذلك جميع تدابير الترهيب والإرهاب. وتُحظر الأعمال الانتقامية ضد الأشخاص المحميين وممتلكاتهم"([1]).

وقالت الأمم المتحدة إن نحو نصف مليون شخص في غزة نزحوا داخلياً منذ بداية الهجوم الإسرائيلي، معظمهم "بسبب الخوف ومخاوف الحماية وتدمير منازلهم".

وفي هذا السياق تقول الأونروا: "بأن غزة تشهد كارثة إنسانية غير مسبوقة، فَلم يُسمح بدخول قطرة ماء واحدة، ولا حبة قمح واحدة، ولا لتر من الوقود إلى قطاع غزة خلال الأيام الماضية" فيما قالت منظمة الصحة العالمية: " بأن غزة تشهد كارثة صحية، فهناك إبادة لأسر بكامل أفرادها، كما وتضطر طواقم الاسعاف في غزة لأخذ قرارات رهيبة بشأن من يساعدوه ومن يتركوه وراءهم"([2]).

كما ويشير المقررين الخاصين لمجلس حقوق الإنسان في الأراضي الفلسطينية بأن اسرائيل تنتهج نهج العقوبات الجماعية تجاه الفلسطينيين وهذا ما يعتبر انتهاكاً صارخاً لحقوق الانسان، كما ويتم التأكيد على ضرورة المساءلة لإسرائيل لأن الإفلات من العقاب سيجعلها تتغطرس أكثر فأكثر، وهذا ما يقابله التزام فلسطيني كلي بمبادئ وأهداف ميثاق الأمم المتحدة والإعلان العالمي لحقوق الإنسان، والعهدين الدوليين الخاصين بحقوق الإنسان، وحق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير وعدم جواز الاستيلاء على الأراضي بالقوة، كما وتؤكد اتفاقية جنيف الرابعة 1949 على حماية المدنيين في الدول الواقع عليها الاحتلال، وضمان عدم إحداث أية تغيير عليهم من قبل سلطات الاحتلال.

كما يؤكد المقررين الخاصين لمجلس حقوق الإنسان في الأراضي الفلسطينية بأن إسرائيل تسير وفق مسالك دولة الفصل العنصري، وهذا محظور في القانون الدولي لحقوق الانسان، ووفق قرارات الأمم المتحدة، ووفق اتفاقية جنيف الرابعة، فإسرائيل تمارس الحرمان من الحق في الحرية والحياة تجاه الفلسطينيين، وتُمأسس لسطوة مجموعة عرقية على أخرى، وتقود عملية احلال واحباط ديمغرافي، وتساهم في الحرمان من المشاركة الكاملة في جميع مميزات المجتمع، وتنفذ اعتقالات دورية، وتقصف المنازل على رؤوس ساكنيها، فهو نظام احتلال وإحلال يسير نحو نظام الفصل العنصري.

[1] - المادة 33 من اتفاقية جنيف الرابعة بشأن المدنيين.

[2] - الموقع الرسمي للأونروا، https://www.unrwa.org/ar

المبحث الرابع/ اللاجئ الفلسطيني من اللجوء الى النزوح

شكلت قضية اللاجئين منذ نشوئها محور القضية الفلسطينية، وأصبحت النكبة التي أحدثتها العصابات الصهيونية بحق شعبنا الشاهد الرئيس على إحدى أكبر عمليات التطهير العرقي في القرن العشرين، وأكبر مأساة سياسية وانسانية متواصلة منذ العام 1948 حتى يومنا هذا في الوطن والمنافي ومخيمات اللجوء.

واللاجئ الفلسطيني هو أي فلسطيني اضطر لمغادرة أرضه أو طُرد منها نتيجة أحداث النكبة عام 1948، أو لاحقًا النكسة عام 1967، وما تبعهما من صراعات، هؤلاء اللاجئون يشكّلون واحدة من أكبر وأطول قضايا اللجوء في التاريخ الحديث.

ويعتبر 70 بالمائة من الشعب الفلسطيني في العالم من اللاجئين، حيث يعدّ واحد من كل ثلاثة لاجئين في العالم لاجئاً فلسطينياً، ولا يحمل نصف اللاجئين الفلسطينيين الجنسية، بل وحرمتهم اسرائيل "السلطة القائمة بالاحتلال" لعقود طويلة من حقهم في العودة إلى وطنهم في انتهاك صارخ للقرار الأممي رقم 194 الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة، في الوقت الذي سهّلت فيه من هجرة اليهود إلى إسرائيل دون قيد أو شرط ([1])

يفتقر اللاجئون الفلسطينيون إلى أبسط الحقوق الإنسانية، ويعانون من انعدام الحماية والمساعدة الدولية الملائمة، كما أنهم يتحملون وطأة الاحتلال وممارسته الاحتلالية، ولذلك ينبغي التوصل إلى حل عادل لقضية اللاجئين الفلسطينيين، حل يعترف بحق اللاجئ الفلسطيني في العودة إلى وطنهم ويوفر لهم مجموعة من الخيارات المعقولة، بغية تعزيز إمكانية إيجاد حل ناجع ودائم.

شكل (1) صورة من النزوح عام 1948-1967

[1]- وزارة الخارجية والمغتربين.، https://www.mofa.pna.ps/ar-jo/%D9%82%D8%B6%D8%A7%D9%8A%D8%A7%D8%A7%D8%B3%D8%A7%D8%B3%D9%8A%D8%A9/%D8%A7%D9%84%D9%84%D8%A7%D8%AC%D9%8A%D9%8A%D9%86

شكل (2) صورة من النزوح عام 2023

تحولت رحلة اللاجئ الفلسطيني من مرحلة اللجوء الأولي عام 1948 إلى نزوح متكرر في حرب 1967 وما بعدها، حيث طردت إسرائيل من القدس والضفة الغربية وغزة مئات الآلاف من الفلسطينيين ليصبحوا "نازحين"هؤلاء النازحون، إلى جانب اللاجئين الأصليين، واجهوا ظروفًا قاسية في مخيمات اللاجئين، غالبًا ما افتقرت للبنية التحتية وظروف معيشية صعبة، وتسببت الأعمال الإسرائيلية من طرد جماعي ودمار للقرى في تفاقم وضعهم، مما أدى إلى هجرات متكررة ونزوح مستمر، حيث منع اللاجئون من العودة إلى ديارهم.

وتتسلسل قضية اللاجئين من اللجوء الى النزوح في الآتي:

<u>أولاً: من اللجوء إلى النزوح:</u>

- **اللجوء (1948–1967):** مئات الآلاف من الفلسطينيين هُجّروا من قراهم ومدنهم إلى قطاع غزة والضفة الغربية إلى دول الجوار (الأردن، لبنان، سوريا، مصر)، وأُنشئت لهم مخيمات تحت إشراف الأونروا.

- **النزوح (منذ 1967):** الاحتلال الإسرائيلي للضفة وغزة أدخل موجة جديدة من النزوح الداخلي والتهجير الخارجي.

- **الحصار (2007–2023):** قطاع غزة تحوّل إلى سجن كبير، حيث يعيش أكثر من 2.3 مليون إنسان في ظروف إنسانية قاسية.

- **الإبادة الحالية (2023–2024):** القصف والتدمير الممنهج للمنازل والمستشفيات والبنية التحتية أدّى إلى نزوح أكثر من مليون ونصف شخص داخليًا، وهو ما يهدّد بتحويل القطاع إلى "مخيم لجوء جماعي".

- **النزوح بعد نكسة 1967:** نزوح عدد من الفلسطينيين من قراهم ومخيماتهم قسراً جراء الهجمات الاسرائيلية.

<u>ثانياً: النزوح كأداة إبادة:</u>

سياسة التهجير القسري: تهدف إلى تفريغ غزة من سكانها، أو دفعهم إلى الحدود المصرية.

استهداف المدنيين والبنية التحتية: يضاعف من معاناة اللاجئين التاريخيين الذين وجدوا أنفسهم مشردين مرة أخرى.

المأساة الإنسانية: أغلب النازحين والمهجرين واللاجئين هم أحفاد لاجئي 1948، ويعيشون المأساة ذاتها بعد أكثر من سبعة عقود.

ثالثاً: التداعيات الإقليمية والدولية:

- **الدول المضيفة:** أي موجة نزوح جديدة ستشكّل ضغطًا غير مسبوق على مصر والدول المجاورة.

- **الهوية الوطنية الفلسطينية:** خطر "التذويب" أو اقتلاع الفلسطينيين نهائيًا من أرضهم.

- **القانون الدولي:** استمرار عجز المجتمع الدولي في فرض حماية حقيقية للاجئين يضعف منظومة حقوق الإنسان برمّتها.

وأخيراً تتحوّل مأساة اللجوء الفلسطيني اليوم إلى نزوح شامل قد يعيد صياغة القضية الفلسطينية برمّتها، وإن ما يجري في غزة ليس مجرد حرب، بل محاولة لإعادة إنتاج النكبة، مع فارق أن العالم يشهدها مباشرة بالصوت والصورة.

من هنا، تبرز الحاجة الملحّة لموقف عربي ودولي صلب يوقف نزيف التهجير ويحمي حق الفلسطينيين في البقاء على أرضهم، وعلى الرغم من مرور الوقت منذ النكبة، فقد حافظ اللاجئون على تمسكهم بحق العودة، وطوّروا علاقات اجتماعية تعكس هذا التوق الطبيعي، ووسائل نضالية تعبر عن التزامهم بهذا الحق.

ويبقى اللاجئ الفلسطيني سفيرا يحمل كل قضاياه اينما ارتحل، ليكون سفيرا متنقل في كل ارجاء المعمورة.

المراجع:

1- أوليفيا دون وفرانسوا جيمين، **نشرة الهجرة القسرية**، العدد 31، ص10.

2- إيتمار آيخنر، **"مقترح إسرائيلي جديد: مصر تستوعب لاجئين ويُشطب دينها للبنك الدولي"**، الموقع الإلكتروني لـ "يديعوت أحرونوت" ("واينت"، بالعبرية)، 31 / 10 / 2023، في الرابط الإلكتروني.

3- إيليا زريق، **اللاجئون الفلسطينيون والعملية السلمية**، ص13-14.

4- بورما مأساة تتجدد، بحث منشور على الموقع الالكتروني لفلسطين للحوار، 2012، ص11، http://www.google.iq/ur

5- الجزيرة نت، **الهجرة واللجوء والنزوح.. أوجه التشابه والاختلاف**، تاريخ المقال 2023/12/2، تاريخ المشاهدة 2025/1/29، الرابط:

https://www.aljazeera.net/encyclopedia/2023/12/2/%D8%A7%D9%84%D9%87%D8%AC%D8%B1%D8%A9

-

6- حوراء قاسم غانم، **النظام القانوني للجوء في القانون الدولي العام**، كلية الحقوق، 2013، ص5.

7- رانية ماضي، **فجوات الحماية الدولية وسبل تجاوزها**، موقع بديل المركز الفلسطيني، تاريخ المشاهدة 2025/4/12، الرابط: https://badil.org/ar/publications/haq-al-awda/issues/items/3291.html

8- زينب الغنيمي، قضية **اللاجئين الفلسطينيين والقانون الدولي بين المفهوم والحق**، عمان- الأردن ، 2019، ص2.

9- سموحي فوق العادة، **معجم الدبلوماسية والشؤون الدولية**، مكتبة لبنان، بيروت،1974م، ص356.

10- عبدالله معروف، **السابع من أكتوبر.. يوم الاجتياح الفلسطيني**، تاريخ المقال: 2023/10/8، تاريخ المشاهدة 2025/7/3، الرابط:
https://www.aljazeera.net/opinions/2023/10/8/%D8%A7%D9%84%D8%B3%D8%A7%D8%A8%D8%B9-%D9%85%D9%86-

11- علي حميد العبيدي، **مفهوم فكرة اللجوء في القانون الدولي وتطبيقاتها على اللجوء الانساني**، مجلة الحقوق، العددان 8 و 9 المجلد الثالث، بغداد 2010. ص194.

12- علي عبد الرزاق صالح، **اللاجئون في القانون العام**، اطروحة دكتوراه، غير منشورة، كلية الحقوق، جامعة النهرين، 2007، ص 48 ومابعدها.

13- المادة 33 من اتفاقية جنيف الرابعة بشأن المدنيين.

14- محمد عبدالرحمن عريف، **توثيق الروايات الشفوية في التأريخ لنكبة فلسطين**، الحياة اللندنية، ٩ أيلول /سبتمبر 2017.

15- ممحمود محارب، **الحرب وتهجير الفلسطينيين من قطاع غزة**، تاريخ المقال 2024/3/20، تاريخ المشاهدة 2025/7/1، الرابط:
https://www.arab48.com/%D8%A5%D8%B3%D8%B1%D8%A7%D8%A6%D9%8A%D9%84%D9%8A%D8%A7%D8%AA/%D8%AF%D8%B1%D8%A7%D8%B3%D8%A7%D8%AA-

16- مركز المعلومات الوطني الفلسطيني وفا، **العدوان الاسرائيلي على قطاع غزة 2023-2025 والقانون الدولي**، الرابط: https://info.wafa.ps/pages/details/34230

17- مركز دراسات الوحدة العربية، **حرب الابادة الجماعية في غزة**، الرابط: https://caus.org.lb/%D8%AD%D8%B1%D8%A8-/%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%A8%D8%A7%D8%AF%D8%A9-

18- موقع الأونروا ، الرابط: http://www.un.org/unrwa/arabic.

19- هشام نفّاع، **"الخطاب والرواية الإسرائيليان لأحداث 7 أكتوبر"**، مجلة "قضايا إسرائيلية" الصادرة عن المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية / مدار، العدد 93 (ربيع 2024)، ص 73 – 85، في الرابط الإلكتروني.

20- وزارة الخارجية والمغتربين.،https://www.mofa.pna.ps/ar-jo/%D9%82%D8%B6%D8%A7%D9%8A%D8%A7%D8%A7%D8%B3%D8%A7%D8%B3%D9%8A%D8%A9/%D8%A7%D9%84%D9%84%D8%A7%D8%AC%D9%8A%D9%8A%D9%86

- المراجع الاجنبية:

El-Hinnawi, **Environmental refugees , PNUD** , 1985 , Nairobi , p.41. -1

نيلسون مانديلا: رمز عالمي للسلام والحرية
دراسة تحليلية في مسارات النضال والبناء المجتمعي

ا. د حمدان رمضان محمد

جامعة الموصل/ كلية الآداب/ قسم علم الاجتماع

المستخلص:

يتناول هذا البحث سيرة ونضال الزعيم الإفريقي نيلسون مانديلا بوصفه رمزًا عالميًا للسلام والحرية، منطلقًا من إشكالية مركزية مفادها: كيف استطاع مانديلا أن يحوّل معاناته الشخصية وتجربته الكفاحية إلى مشروع عالمي لبناء السلام والمصالحة.

فضلا عن ذلك، يهدف البحث إلى إبراز دور مانديلا في إنهاء نظام الفصل العنصري، وترسيخ العدالة الانتقالية، وإلهام الشعوب في مقاومة الظلم، و تتجلى أهمية البحث في كونه يسلّط الضوء على شخصية ألهمت العالم في مفاهيم المقاومة السلمية والتسامح، بالاضافة الى ذلك، اعتمد البحث المنهج التاريخي التحليلي لفهم سيرة مانديلا ضمن سياقاتها السياسية والاجتماعية، وقد توصل البحث الى استنتاج بأن مانديلا مثّل نموذجًا حيًّا للقائد الأخلاقي القادر على تجاوز الكراهية وتحقيق المصالحة الوطنية، مما جعله مرجعًا في تجارب بناء السلام العالمي.

الكلمات المفتاحية: مانديلا، السلام، الحرية، النضال، الرمز.

Abstract.

This research examines the life and struggle of African leader Nelson Mandela as a global symbol of peace and freedom. It begins with a central question: How was Mandela able to transform his personal suffering and struggle into a global project for peacebuilding and reconciliation?

Furthermore, the research aims to highlight Mandela's role in ending apartheid, establishing transitional justice, and inspiring people to resist injustice. The importance of the research lies in its shedding light on a figure who inspired the world with concepts of peaceful resistance and tolerance. Furthermore, the research adopted an analytical historical approach to understand Mandela's life within its political and social contexts. The research concluded that Mandela represented a living model of a moral leader capable of transcending hatred and achieving national reconciliation, making him a reference in global peacebuilding experiences.

Keywords: Mandela, peace, freedom, struggle, symbol.

المقدمة.

يُعد نيلسون مانديلا واحدًا من أبرز الرموز الإنسانية التي تركت أثرًا بالغًا في تاريخ النضال العالمي ضد الظلم والعنصرية والاستبداد، لقد جسّد مانديلا نموذجًا للقائد الذي شكّلته التجربة القاسية، وصقلته سنوات السجن الطويلة، ليخرج بعدها أكثر عمقًا في رؤيته السياسية، وأكثر قدرة على توظيف الألم والمعاناة في صناعة مشروع وطني قائم على المصالحة والسلام، ومن خلال مسيرته الممتدة لعدة عقود، تحوّلت شخصية مانديلا إلى رمز عالمي للتسامح والحرية والعدالة الانتقالية، ومصدر إلهام للحركات التحررية والإنسانية في مختلف أنحاء العالم، وفي ظل ما يشهده العالم المعاصر من صراعات وهويات متنافسة وتوترات عرقية

وسياسية، تبرز تجربة مانديلا بوصفها نموذجًا فريدًا لإمكانية بناء السلام المستدام من قلب الصراع، عبر قيادة أخلاقية شجاعة ورؤية استراتيجية تتجاوز منطق الانتقام نحو منطق المصالحة.

وعلى الرغم من كثرة الكتابات التي تناولت مانديلا من جوانب سياسية وتاريخية، فإن الحاجة ما تزال قائمة لقراءة منهجية موسّعة تربط بين سيرته النضالية والقيادية وبين نظريات القيادة المعاصرة، والتحول السياسي، والمصالحة الوطنية، والعدالة الانتقالية، والدبلوماسية الأخلاقية، كما يسعى هذا البحث إلى مقاربة تجربة مانديلا من منظور مقارن، لفهم سبب تحوله إلى رمز عالمي وليس مجرد قائد محلي، واستكشاف كيف أثّرت شخصيته وحركته السياسية في مسارات بناء السلام العالمي وتطوير نظريات القيادة الحديثة، فقد استطاع، من خلال تجربته النضالية الطويلة التي امتدت من العمل السياسي المباشر إلى السجن لمدة 27 عامًا، أن يحوّل معاناته إلى مشروع إنساني شامل قائم على السلام والمصالحة والعدالة الانتقالية(Mandela, 1994) .

بالإضافة اى ذلك، فقد جاء صعود مانديلا في سياق تاريخي اتسم بسيطرة نظام الأبارتهايد العنصري، الذي فرض تمييزًا ممنهجًا على الأغلبية السوداء في جنوب أفريقيا، مما جعل نضاله محورًا للتحولات السياسية والاجتماعية في البلاد(Thompson, 2001) ، وتبرز أهمية دراسة شخصية مانديلا في كونها تقدم نموذجًا مركبًا يجمع بين القيادة التحولية(Bass, 1999) ، والقيادة الأخلاقية (Ciulla, 2004)، والدبلوماسية الإنسانية، إضافة إلى دوره المحوري في تأسيس واحدة من أشهر التجارب الحديثة في العدالة الانتقالية عبر لجنة الحقيقة والمصالحة(Tutu, 1999) ، كما أهّلته رؤيته السياسية القائمة على نبذ الانتقام وتبني التسامح لأن يصبح رمزًا عالميًا لثقافة السلام المستدام، ومثالًا يُحتذى في إدارة التحولات السياسية في المجتمعات الخارجة من النزاع (Gibson, 2004).

فضلا عن ذلك، ومن خلال نضاله الطويل في جنوب أفريقيا، أصبح مانديلا أيقونة للكفاح السلمي والتحول الديمقراطي في مواجهة أنظمة القهر والتمييز، لذا يسعى هذا البحث إلى تحليل حياة وإنجازات مانديلا من منظور أكاديمي شامل، وتبيان أثره في تشكيل ثقافة السلام في العالم، وعلية قسمنا البحث الى عدة محاور، منها:

اولا: الإطار العام للبحث.

وتضمن هذا المحور عدة عناصر منها:

1- إشكالية البحث.

تنطلق إشكالية هذا البحث من عدة تساؤلات محورية ومركزية بنت عليه فكرة البحث، وهو على النحو التالي:

كيف استطاع نيلسون مانديلا أن يحوّل نضاله السياسي وتجربته في السجن ونظام الأبارتهايد إلى مشروع عالمي للسلام والمصالحة؟ وما العوامل القيادية والفكرية والسياسية التي جعلت منه رمزًا عالميًا؟ كيف ساهمت تجربته النضالية والسياسية في ترسيخ قيم الحرية والسلام على المستويين المحلي والدولي؟ كيف تمكّن نيلسون مانديلا من تحويل تجربته النضالية من مستوى محلي مقاوم لنظام عنصري إلى مستوى عالمي مؤثر في نظريات القيادة والتحول السياسي وبناء السلام؟

ولتفكيك هذه الإشكالية، يعتمد البحث على التساؤلات الفرعية الآتية: ما الظروف التاريخية والسياسية التي شكّلت شخصية مانديلا ومسار نضاله؟ كيف انعكست تجربة السجن الطويلة على رؤيته للسلام والمصالحة؟ ما دور حزب المؤتمر الوطني الأفريقي في تكوين البنية الفكرية لمانديلا؟ ما محددات القيادة الأخلاقية في تجربة مانديلا؟ كيف تعامل مانديلا مع التحديات العرقية والسياسية بعد سقوط نظام الأبارتهايد؟. كيف أسهمت دبلوماسيته الأخلاقية في ترسيخ مكانته العالمية؟ ما أثره في تجارب العدالة الانتقالية حول العالم؟ ما النموذج القيادي الذي يمكن استخلاصه من شخصيته؟

2- أهمية البحث.

تبرز أهمية هذا البحث في تناوله سيرة مانديلا كنموذج للقيادة الإنسانية التي جسّدت قيم التسامح والعدالة والمصالحة، والتي لا تزال تمثل مرجعية أخلاقية في زمن تتزايد فيه التوترات العرقية والسياسية في العالم، كما تنبع أهمية هذا البحث من كونه يتناول موضوعًا يمسّ أحد أكثر القضايا حضورًا في بنية المجتمع المعاصر، لما يمثّله من تأثير مباشر في تشكيل الوعي الجمعي وتوجيه السلوك العام، وفضلا عن ذلك، يكتسب البحث كذلك أهميته من عدة مرتكزات أساسية:

اولهما: الأهمية العلمية حيث يوفر البحث إطارًا نظريًا وتحليليًا يُسهم في سدّ فجوة معرفية في الأدبيات ذات الصلة، من خلال مقاربة الموضوع بمنهج يجمع بين البعد السوسيولوجي والبعد السياسي، مما يعزز إمكانات التفسير ويُعمّق فهم الظاهرة محل الدراسة، وثانيهما: الأهمية العملية بحيث يساعد البحث صانعي السياسات والمؤسسات المعنية على فهم العوامل المؤثرة في الظاهرة، بما يمكّنهم من تطوير برامج واستراتيجيات أكثر فاعلية في التدخل والمعالجة، وثالثهما : الأهمية المجتمعية حيث يضيء البحث على انعكاسات الظاهرة على الاستقرار الاجتماعي والسلم الأهلي، ويقدّم مؤشرات يمكن البناء عليها لتطوير برامج توعية وتثقيف تستهدف شرائح المجتمع المختلفة ورابعهما: الأهمية المستقبلية حيث يسهم البحث في فتح آفاق جديدة للدراسات اللاحقة من خلال طرح إشكاليات وأسئلة بحثية قابلة للتوسع، كما يقدّم أساسًا يمكن الاعتماد عليه في تطوير نظريات أو نماذج تفسيرية مستقبلية. واخيرا خامسهما: أهمية المنهج والرؤية بحيث يعتمد البحث مقاربة تفسيرية نقدية تستند إلى تحليل السياقات التاريخية والثقافية والاجتماعية، مما يمنحه قدرة على تقديم قراءة أكثر شمولية وتكاملاً، وبذلك يشكّل البحث إضافة نوعية في مجاله، سواء على المستوى النظري أو التطبيقي، ويُعد خطوة مهمة نحو تعزيز الفهم العلمي الرصين للموضوع ضمن حقول العلوم الاجتماعية.

3- أهداف البحث.

يسعى هذا البحث الى تحقيق عدة اهداف رئيسة، منها:

1- تحليل وتوثيق أبرز محطات حياة وسيرة نيلسون مانديلا السياسية والنضالية ضمن سياقها التاريخي والاجتماعي.

2- تفسير عناصر القيادة التي ميّزت شخصية مانديلا وممارساته السياسية، من خلال بيان أثره على الحركات التحررية العالمية.

3- إبراز إسهاماته في نشر ثقافة السلام، ودوره في عملية المصالحة الوطنية وإنهاء نظام الفصل العنصري.

4- دراسة دوره في إدارة التحول السياسي بعد سقوط نظام الأبارتهايد، وتحليل تأثيره العالمي في تجربته القيادية في العدالة الانتقالية وخطابته ونظريات القيادة المعاصرة وبناء السلام وخاصة القيادة التحولية والرمزية ودوره في تأسيس لجنة الحقيقة والمصالحة.

5- تحديد ملامح الدبلوماسية الأخلاقية التي مارسها وتأثيرها على العلاقات الدولية، عبر توضيح رمزيته العالمية بوصفه نموذجًا للقائد الأخلاقي الذي يعلي قيم الحرية والعدالة.

6- ربط تجربته بسياقات قيادية عالمية أخرى باستخدام المنهج المقارن لإبراز الفروق بين تجربته وتجارب قادة آخرين مثل غاندي ولوثر كينغ.

4- منهجية البحث.

اعتمد البحث على مزيج من المناهج العلمية، وذلك لضمان مقاربة شاملة: فالمنهج التاريخي–الوصفي لتتبع جذور الصراع في جنوب أفريقيا، وتطور شخصية مانديلا ضمن سياق تاريخي ممتد، والمنهج التحليلي لتحليل مواقف مانديلا السياسية وانعكاسها على بناء

الدولة والمصالحة، والمنهج المقارن لمقارنة تجربة مانديلا بتجارب قادة عالميين آخرين وتأثيره على نظريات القيادة الحديثة، والمنهج النقدي لاستجلاء نقاط القوة والضعف في التجربة المانديلية وتأثيرها العالمي، و منهج تحليل الخطاب لفهم خطاب مانديلا السياسي والأخلاقي، وتأثيره في الجماهير وصناعة الرأي العام، واخيرا المنهج السياسي–القيادي لربط تجربته بنظريات القيادة التحولية والرمزية والقيادة الأخلاقية.

5- المفاهيم الرئيسة في البحث.

يتعامل البحث مع مجموعة من المفاهيم الرئيسة، منها:

أ- القيادة التحولية.

تشير إلى نمط قيادي يُحدث تغييرًا عميقًا في أفراد المجتمع من خلال الإلهام والتحفيز والرؤية الأخلاقية بعيدة المدى(غاردنر،2005) ، لذا يُعد مانديلا من أبرز الأمثلة العالمية ونموذجًا أصيلًا للقائد التحويلي إذ استطاع إلهام الجماهير عبر رؤيته السياسية والأخلاقية، وتغيير بنية النظام السياسي، وتغيير وعي المجتمع، وتوجيهه نحو أهداف عليا تتجاوز الانقسامات العرقية، بحيث جسّد مانديلا عناصر القيادة التحولية الأربعة: التأثير المثالي، التحفيز الإلهامي، الاستثارة الفكرية، والاعتبار الفردي (Bass, 1999)، وقد مكّنته هذه الخصائص من إحداث تحول جذري في النظام السياسي والاجتماعي، ونقله من الاستبداد العنصري إلى الديمقراطية التوافقية(Ciulla, 2004) .

ب- القيادة الأخلاقية.

تركّز على التزام القائد بالقيم العليا مثل العدالة والشفافية والمسؤولية، وهو ما تجلّى بوضوح في مواقف مانديلا بعد خروجه من السجن وتبنيه لنهج المصالحة ونبذ الانتقام(Ciulla, 2004) .

ت- العدالة الانتقالية.

إطار شامل من الآليات القانونية والسياسية والاجتماعية لمعالجة إرث الانتهاكات في المجتمعات الخارجة من النزاع أو الأنظمة الاستبدادية او هي منظومة الإجراءات السياسية والقانونية لتحقيق العدالة بعد فترات النزاع أوالقمع (Teitel, 2000) ، وقد لعب مانديلا دورًا محوريًا في ترسيخها عبر لجنة الحقيقة والمصالحة التي قادها ديزموند توتو (Tutu, 1999) .

ث- المصالحة الوطنية.

عملية تهدف إلى إزالة آثار الانقسام والصراع بين المجموعات وتحقيق تعايش مستدام. لذا اعتمد مانديلا هذا المفهوم لمداواة جراح جنوب أفريقيا(Gibson, 2004) ، اوهي عملية إعادة بناء العلاقات بين المكونات المنقسمة بعد مرحلة من الصراع العرقي أو السياسي.

ج- الدبلوماسية الأخلاقية.

وهي توظيف المبادئ الأخلاقية في بناء العلاقات الدولية وحل النزاعات. وقد شكّل مانديلا نموذجًا عالميًا لهذا المفهوم من خلال مواقفه الداعية إلى السلم وحقوق الشعوب(Lynch, 2008) .

ح- السلام المستدام.

سلام يقوم على التحول السياسي والعدالة الاجتماعية وإزالة أسباب الصراع، وليس مجرد وقف للاشتباكات. وقد جسدت قيادة مانديلا هذا المفهوم في مرحلة بناء الدولة الجديدة(Jeong, 2005) ، أي السلام الذي يستند إلى إصلاحات سياسية وعدالة اجتماعية وليس مجرد وقف للعنف.

خ- لنيلسون مانديلا.

نيلسون مانديلا (1918–2013) هو زعيم جنوب أفريقي قاد النضال ضد نظام الفصل العنصري، وأصبح أول رئيس ديمقراطي لجنوب أفريقيا، ورمزًا عالميًا للسلام والحرية (Mandela, 1994)، وُلد في مفيزو عام 1918، وانخرط مبكرًا في النضال ضد نظام الأبارتهايد عبر حزب المؤتمر الوطني الأفريقي، وقاد لاحقًا الجناح المسلّح للحركة قبل سجنه لمدة 27 عامًا، وبعد الإفراج عنه عام 1990، قاد الانتقال التاريخي نحو دولة ديمقراطية متعددة الأعراق، مرتكزًا على فلسفة المصالحة والعدالة الانتقالية، الأمر الذي جعله رمزًا عالميًا في أدبيات القيادة والسلام وبناء الدولة.(Thompson, 2001; Tutu, 1999)

اما تعريفنا الاجرائي لمانديلا: بعد رمزا عالميًا بوصفه قائدًا أخلاقيًا وروحًا إنسانية سامية جمعت بين الحكمة السياسية ورؤية السلام الشامل، مما جعله شخصية محورية في الأدبيات المعاصرة حول القيادة التحولية، والدبلوماسية الأخلاقية، وبناء السلام العالمي، وقد حاز جائزة نوبل للسلام عام 1993 تقديرًا لدوره في إنهاء نظام الأبارتهايد، وإرساء أسس الدولة الديمقراطية في جنوب أفريقيا.

ثانيا: نماذج من الجهود المعرفة السابقة.

حظيت شخصية نيلسون مانديلا باهتمام واسع في الأدبيات السياسية والاجتماعية حول العدالة الانتقالية، وبناء السلام، والنضال ضد العنصرية، وتنوّعت الدراسات ما بين السير الذاتية، والتحليلات التاريخية، والدراسات السياسية المقارنة، يسعى هذا المحور إلى عرض أبرز هذه الدراسات، عربيًا وأجنبيًا، وتحليل منهجياتها ومضامينها، وبيان مدى الإفادة منها في البحث الحالي، وفيما يلي عرض ليعض من الدراسات السابقة، وعلى النحو الاتي:

أ- **الدراسات العربية.**

1- دراسة الضامن (2020)، الموسومة" نيلسون مانديلا: زعيم التغيير".

قدّم "الضامن" دراسة تحليلية معمّقة حول شخصية نيلسون مانديلا بوصفه نموذجًا استثنائيًا في التحول السياسي والقيادة الأخلاقية، ركزت الدراسة على قدرة مانديلا على الجمع بين الصرامة الثورية والمرونة السياسية أثناء مفاوضاته مع نظام الفصل العنصري، واستخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي مع تتبّع تاريخي لمسيرة مانديلا السياسية، مؤكدًا أن سر قوة شخصية مانديلا يكمن في قدرته على بناء خطاب موحّد يعزز المصالحة بين الأعراق في جنوب إفريقيا، وخلصت الدراسة إلى أن مانديلا كان قادرًا على تفكيك خطاب الكراهية وتحويل الصراع إلى فرصة لإعادة تأسيس الدولة على أسس جديدة، تُسهم الدراسة في دعم تحليل خصائص القيادة السياسية والأخلاقية لدى مانديلا.

2- دراسة إبراهيم (2015)، الموسومة" مانديلا ومسيرة الحرية".

تناولت" إبراهيم" السيرة الذاتية لمانديلا بمنهج تاريخي سردي، مركّزة على مراحل النشأة، التكوين الثقافي، وتطور الوعي السياسي في سياق مجتمع "الخوسا"، أبرزت الدراسة دور التعليم التبشيري في نشوء الوعي المبكر لدى مانديلا بالتمييز العنصري، كما تناولت تأثير البيئة الاجتماعية التقليدية على تكوين شخصيته المقاومة، من أهم نتائج الدراسة أن مرحلة السجن التي امتدت 27 عامًا كانت نقطة التحول الأكبر في صياغة رؤيته المستقبلية للحرية والسلام، تُغني الدراسة بالجانب المتعلق بالسيرة الإنسانية والتشكّل النفسي والسياسي للزعيم.

3- **دراسة النعيمي (2017)، الموسومة" دروس** مانديلا في النضال والمصالحة ".

تحلل دراسة "النعيمي" فلسفة النضال عند مانديلا من خلال مقارنة بين العمل السلمي والكفاح المسلح. عرضت الدراسة المراحل المختلفة لمسيرة مانديلا داخل حزب المؤتمر الوطني الإفريقي، مع التركيز على تأسيس "رمح الأمة" كجناح مقاوم في مواجهة العنف

الممنهج للأبارتايد، كما تطرقت إلى تجربة لجنة الحقيقة والمصالحة كأحد أهم إنجازات العدالة الانتقالية، وتوصلت الدراسة إلى أن استراتيجية مانديلا اعتمدت على التوازن بين القوة الرمزية والقوة السياسية لتحقيق الأهداف الوطنية، تعزّز البحث محور المصالحة الوطنية والعدالة الانتقالية وتفسير التحول الفكري لدى مانديلا.

3- دراسة موسى (2019)، الموسومة" العدالة الانتقالية والمصالحة في جنوب إفريقيا ".

تناولت "موسى" تجربة العدالة الانتقالية في جنوب إفريقيا من منظور قانوني وسياسي، مسلطة الضوء على آليات لجنة الحقيقة والمصالحة وفلسفتها في تجاوز الماضي، وتميّزت الدراسة بدقة منهجها القانوني الذي يربط بين العدالة والمساءلة والمصالحة، وخلصت الدراسة إلى أن جنوب إفريقيا نجحت في تطبيق نموذج عالمي فريد يعتمد على الاعتراف لا الانتقام، وهو ما أسسه مانديلا وتوتو، وتُثري البحث تحليل جوانب العدالة الانتقالية وأثرها في بناء السلام المستدام.

ب- الدراسات الأجنبية.

1. Mandela (1995) – Long Walk to Freedom.

يمثل هذا العمل السيرة الذاتية الرسمية لنيلسون مانديلا، وهو مصدر لا غنى عنه لفهم تطور شخصيته، ويقدّم) مانديلا) سردًا تفصيليًا لمسيرته منذ الطفولة مرورًا بالتعليم الجامعي والنشاط السياسي والسجن والمفاوضات وصولًا إلى الرئاسة، ويكشف الكتاب عن رؤيته للحرية، ودور السجن في بلورة فلسفته القائمة على المصالحة بدل الانتقام، يعدّ البحث مرجعًا أساسيًا في الجانب التاريخي والإنساني والفكري لشخصية مانديلا.

2. Sampson (2011) – Mandela: The Authorized Biography.

يعتبر (Sampson) واحدًا من أهم الأعمال الأكاديمية التي قدّمت سيرة موثقة اعتمادًا على وثائق رسمية ومقابلات مع مانديلا وشخصيات عالمية. تناول المؤلف القيادة السياسية لمانديلا، وعلاقته بالأحزاب، وقراراته الاستراتيجية خلال فترة الانتقال الديمقراطي، وأظهر الكتاب التحديات التي واجهها مانديلا في إدارة دولة منقسمة عرقيًا، يثري البحث الجانب التحليلي في فهم القيادة السياسية والتحول التاريخي.

3. Tutu (1999) – No Future Without Forgiveness.

استعرض (توتو)، رئيس لجنة الحقيقة والمصالحة، الأسس الأخلاقية والروحية للمصالحة الوطنية، وقدّم الكاتب تحليلاً عميقًا لفكرة التسامح باعتبارها ضرورة تاريخية لإنقاذ المجتمع من دائرة الانتقام، كما عرض تفاصيل تطبيق نموذج العدالة الانتقالية في جنوب إفريقيا، ويدعم البحث محور المصالحة وفلسفتها الأخلاقية في فكر مانديلا.

4. United Nations (2018) – Nelson Mandela International Day.

وفرت الأمم المتحدة رصدًا لتأثير مانديلا العالمي وأدواره في نشر ثقافة السلام، وأكدت المنظمة الدولية أن مانديلا أصبح رمزًا عالميًا للحرية والمساواة، وتم الاعتراف به كقائد ملهم لقضايا الإنسانية، والبحث يعزز محور الرمزية العالمية والأثر الدولي للفكر المانديلاني.

ت- التحليل المقارن للدراسات.

التوجه العام، نرى بصورة عامة ركزت الدراسات العربية على سرد السيرة وإبراز الدلالات الإنسانية للزعيم، بينما ركزت الدراسات الأجنبية على التحليل السياسي العميق والسياق العالمي، اما المنهجيات المستخدمة، ففي الدراسات العربية: غالبًا منهج وصفي تاريخي، في حين الدراسات الأجنبية: منهج تحليلي، مع توظيف المناهج المقارنة والنقدية، بينما الثغرات التي لاحظها الباحث نقص

الدراسات العربية التي تعالج تجربة مانديلا من منظور العدالة الانتقالية المعاصرة، وغياب دراسات تربط بين تجربة مانديلا وواقع بناء السلام في العالم العربي، ومحدودية المقاربات السوسيولوجية في تفسير دوره التاريخي.

ث- موقع البحث الحالي بين الدراسات.

يختلف هذا البحث عن الدراسات السابقة في كونه: يجمع بين المنظور السوسيولوجي والسياسي في تحليل شخصية مانديلا، ويدمج بين سيرة مانديلا التاريخية وتجربته في العدالة الانتقالية وبناء السلام، كذلك يقدم معالجة عربية موسعة حول تأثير مانديلا في الوعي العربي، واخيرا يركز على الإرث العالمي للزعيم ضمن إطار مقارن مع رموز الحرية عبر العالم.

ج- أبرز نقاط الإفادة للبحث.

الاعتماد على المصادر الأجنبية لتأمين دقة السرد التاريخي، والاستفادة من الدراسات العربية في التحليل الثقافي ورؤية الشعوب العربية لشخصية مانديلا، وتوظيف التحليلات القانونية والسياسية لفهم تجربة المصالحة الوطنية، واستخلاص عناصر القيادة الأخلاقية التي تشكل جوهر شخصية مانديلا.

ثالثا: الاتجاهات النظرية المفسرة للقيادة والتحول السياسي.

ينطلق هذا البحث من فرضية أن فهم تجربة نيلسون مانديلا في النضال والتحرر وبناء السلام لا يمكن أن يتحقق دون الاعتماد على منظور نظري يدمج بين نظريات القيادة السياسية ونظريات التحول السياسي التي تفسّر كيفية انتقال المجتمعات من الصراع إلى السلام، ويوفر هذا الإطار النظري تفسيرًا علميًا لسلوك مانديلا وخياراته السياسية ودوره القيادي، وللتحولات البنيوية في جنوب إفريقيا خلال مرحلة ما بعد الأبارتايد، وعلى النحو الاتي:

أ- نظريات القيادة السياسية.

1. نظرية القيادة التحويلية.

تعتبر القيادة التحويلية من أهم النظريات التي يمكن تطبيقها على شخصية مانديلا، طرح(Bass, (1985 أن القائد التحويلي قادر على إلهام أتباعه وتحفيزهم وتغيير وعيهم عبر الرؤية الأخلاقية والقدرة على تجاوز مصالحه الشخصية نحو المصلحة العامة(عبد العزيز،2016).

ينسجم هذا مع سلوك مانديلا الذي استطاع من خلال رؤيته للمصالحة أن يحوّل مجتمعًا ممزقًا عنصريًا إلى مجتمع يسعى لتجاوز الماضي، وتظهر مقومات القيادة التحويلية لديه في: الإلهام الأخلاقي خلال خطابات ما بعد السجن (Mandela, 1995)، الحسّ الإنساني في التعامل مع الخصوم السياسيين، الرؤية بعيدة المدى لبناء دولة جديدة تتجاوز الأبارتايد (Sampson, 2011).

2. نظرية القيادة الخدمية.

قدّم (Greenleaf ,1977) هذا المفهوم لتوضيح القيادة القائمة على خدمة الآخرين قبل خدمة السلطة. وتطبيق هذه النظرية على مانديلا يبرز طابعه الإنساني، إذ كانت ممارساته السياسية تركّز على خدمة المجتمع ورفع الظلم وتعزيز المساواة، لا على الاستحواذ على السلطة، وتتجلى القيادة الخدمية عند مانديلا في: قبوله مصالحة خصومه دون انتقام، وتركه منصب الرئاسة بعد دورة واحدة تعزيزًا للديمقراطية، وتوفير نموذج عالمي للقيادة الأخلاقية.

3. نظرية القيادة الكاريزمية.

يرى(Weber,1947) أن القيادة الكاريزمية تعتمد على الجاذبية الشخصية للقائد وقدرته على التأثير العاطفي، تبرز كاريزما مانديلا من خلال قدرته على مخاطبة الجماهير، وبناء الثقة، وتوظيف الرمزية الأخلاقية للنضال، وتدلّ العديد من المواقف التاريخية على قدرته الاستثنائية في جمع المتناقضات، وتحويل شخصيته إلى "رأسمال رمزي" للمقاومة (United Nations, 2018).

ب- نظريات التحول السياسي.

1. نظرية الانتقال الديمقراطي.

تؤكد هذه النظرية التي طوّرها(O'Donnell & Schmitter, 1986) أن الانتقال من الأنظمة السلطوية إلى الديمقراطية يتطلب توافقًا سياسيًا بين القوى المتصارعة، إضافة إلى وجود شخصية قيادية قادرة على بناء الثقة، يُطبّق هذا النموذج بدقة على تجربة جنوب إفريقيا حيث كان مانديلا هو القائد المفصلي الذي أرسى أسس الانتقال عبر: المفاوضات مع نظام الأبارتايد، وإدارة التوازن بين القوى السياسية، والقبول بالديمقراطية التعددية(موسكا،1939).

2. نظرية التحول البنيوي.

تركّز هذه النظرية كما قدّمها(Giddens ,1993) على التحولات العميقة في البنى الاجتماعية والسياسية، ومن منظور هذه النظرية، لعب مانديلا دورًا جوهريًا في تفكيك البنية العنصرية للدولة وإعادة إنتاج مؤسسات جديدة تقوم على المواطنة بدل العرق، وتظهر آثار التحول البنيوي في: إعادة صياغة الدستور الجديد (1996)، وإعادة تشكيل مؤسسات الأمن والقضاء والتعليم، وترسيخ القيم الديمقراطية كثقافة لا مجرد نظام سياسي.

3. نظرية العدالة الانتقالية.

ترى (Teitel ,2000) أن العدالة الانتقالية هي إطار شامل للتعامل مع الماضي المؤلم بآليات الاعتراف والمحاسبة والمصالحة، وقد جسّد مانديلا هذا النموذج عبر دعمه القوي لتأسيس لجنة الحقيقة والمصالحة التي أصبحت نموذجًا عالميًا في بناء السلام (Tutu, 1999)، ساهمت هذه النظرية في تفسير قدرة المجتمع الجنوب إفريقي على الخروج من إرث العنف دون حرب أهلية.

بناء على ما سبق، يساعد هذا الإطار النظري في تفسير شخصية مانديلا كقائد تحويلي وكاريزمي وخدمي، وتحديد آليات التحول السياسي والديمقراطي في جنوب إفريقيا، ودوره في بناء العدالة الانتقالية والمصالحة الوطنية، وكيفية تحوله إلى رمز عالمي للسلام والأخلاق السياسية، وبالتالي يتيح الإطار النظري فهمًا شاملًا لتجربة مانديلا انطلاقًا من الأسس العلمية المعاصرة للقيادة والتحولات السياسية.

بالإضافة الى ذلك، فان دلالات نظرية في تجربة مانديلا تمثل تطبيقًا حيًا لعدد من هذه النظريات، كالنظرية القيادة التحويلية عبر إعادة بناء القيم والوعي الجمعي، ونظرية التحوّل الديمقراطي من خلال نقل المجتمع من نظام قمعي إلى نظام تشاركي، ونظرية بناء السلام بتأسيس لجنة الحقيقة والمصالحة كآلية للتعافي الجماعي، ونظرية القوة الناعمة: إذ أصبح مانديلا رمزًا عالميًا للسلام.

رابعا: التأثير العالمي لنيلسون مانديلا في ضوء منهجية القيادة والتحوّل السياسي المعاصرة.

يعدّ "نيلسون مانديلا" أحد أبرز الرموز العالمية التي أعادت تعريف القيادة السياسية والأخلاقية في القرن العشرين، حيث تجاوز دوره حدود جنوب أفريقيا ليصبح نموذجًا إنسانيًا في الإلهام، والمصالحة، وصناعة السلام، وقد أثّر مشروعه السياسي والأخلاقي في تطور نظريات القيادة الحديثة، خصوصًا القيادة التحويلية، والقيادة الأخلاقية، وقيادة الخدمة، والقيادة الكاريزمية. ويُعدّ تحليل أثر مانديلا في هذه النظريات مدخلًا مهمًا لفهم كيفية تداخل التجربة الإنسانية مع التأطير النظري العلمي.

كما يُعدّ (Nelson Mandela) ، نموذجًا فريدًا في التاريخ المعاصر لزعيم جمع بين القيادة الأخلاقية والقيادة التحويلية والقدرة على إدارة الصراع السياسي في مجتمع شديد الانقسام، وقد اتّسمت تجربته بقدرة استثنائية على تحويل معاناة جماعية امتدت لعقود من الحكم العنصري إلى مشروع سياسي يقوم على المصالحة، ما جعل تجربته محورًا لدراسات القيادة والسياسة المعاصرة(Bass, Burns, 1978؛1999).

كما يمثّل نيلسون مانديلا أحد أبرز النماذج التاريخية للقيادة التحويلية في القرن العشرين، إذ استطاع الانتقال بجنوب أفريقيا من نظام الفصل العنصري (الأبارتايد) إلى دولة ديمقراطية تقوم على المصالحة والسلم الأهلي، هذا التحوّل لم يكن مجرد انتقال سياسي، بل كان عملية اجتماعية وثقافية عميقة تعتمد على إعادة تشكيل الوعي الجمعي وتوسيع المشاركة السياسية، وهو ما يتوافق مع منظور القيادة التحويلية التي ترى أن القائد لا يدير الواقع بل يعيد بناءه(Bass, 1999) .

لذا يهدف هذا المحور إلى تحليل تجربة مانديلا من منظور علم القيادة والتحوّل السياسي، عبر تسليط الضوء على أدواته القيادية، وآليات إدارة الصراع، ونموذجه في السلم الأهلي والتحوّل الديمقراطي، وعلى النحو الاتي:

1- القيادة التحويلية في فكر وتجربة مانديلا.

تُعرَّف القيادة التحويلية بأنها القدرة على إعادة صياغة الواقع وتوجيه جماعاتٍ بأكملها نحو قيم جديدة(Bass, 1999) ، وقد شكّلت هذه القيادة جوهر أسلوب مانديلا، حيث انتقل بالشعب من مرحلة القهر إلى مرحلة البناء.

اما خصائص القيادة التحويلية عند مانديلا يتمثل، بما يلي:

أ- **الرؤية المستقبلية الواضحة:** سعى مانديلا إلى بناء دولة متعددة الأعراق تقوم على المواطنة، وليس على ثنائية "الأبيض–الأسود"، وهي رؤية ظهرت في خطابه يوم الإفراج عنه عام 1990.(Gibson, 2004)

ب- **القدرة على الإلهام وتحفيز الجماهير**: اعتمد مانديلا على خطاب تعبوي يقوم على الأمل، مؤكدًا أن "الحرية لا تتحقق بالانتقام، بل بالمصالحة"، وهو ما يجسّد مفهوم الإلهام التحفيزي في القيادة التحويلية(Burns, 1978) .

ت- **اعتناق المبادئ الأخلاقية في صنع القرار**: مثّل مانديلا نموذجًا للقيادة الأخلاقية التي تقوم على النزاهة والإنصاف واحترام الخصوم، وهو ما يتفق مع طرح غاردنر (Gardner, 2005) حول "القائد الأخلاقي."

ث- **تحويل الألم إلى قوة سياسية**: حول مانديلا تجربة السجن التي امتدت 27 عامًا إلى رأس مال رمزي وسياسي منح جماهير السود الثقة في مشروع التحرر (ياس،1999 ;Bass.B 1999).

. فضلا عن ذلك، تقوم القيادة التحويلية على قدرة القائد في إلهام التغيير العميق، وتحفيز الأتباع لإعادة صياغة أهدافهم والرقي بمستوى التزامهم تجاه القيم العليا(Bass, 1999) ، وقد جسّد مانديلا هذا النموذج حين قاد التحول من نظام الفصل العنصري إلى دولة ديمقراطية تقوم على المساواة.

اما ملامح القيادة التحويلية لدى مانديلا فنحده في رؤيته السياسية طويلة المدى، وتمكّن مانديلا من صياغة رؤية واضحة لمجتمع جنوب أفريقي يقوم على اللاعنصرية والعدالة، وهي رؤية تتوافق مع مبادئ القيادة التحويلية التي تعتمد على بناء رؤية مُلهِمة(بيرنز، Burns, 2003; 1978)، تحفيز الجماعات المختلفة، وعمل مانديلا على تحفيز السود والبيض معًا لبناء مجتمع جديد، وهو ما يعكس قدرة القائد التحويلي على خلق الالتزام الجماعي(Bass & Riggio, 2006) ،تجسيد القيم التي يدعو إليها، كان مانديلا يعيش ما يدعو إليه من تسامح وسلام ومصالحة، وهذا «التوافق الأخلاقي» يعد حجرًا جوهريًا في القيادة التحويلية.

بالإضافة الى ذلك، تبرز تجربة مانديلا كأحد أوضح تطبيقات القيادة التحويلية؛ فقد اعتمد على إلهام الجماهير وتحفيزهم على تبني رؤية جديدة تتجاوز حدود الصراع العرقي نحو بناء مستقبل مشترك، ويشير بيرنز (Burns, 1978) إلى أن القيادة التحويلية تقوم على "تحويل الاهتمامات الفردية إلى مصلحة جمعية"، وهو ما طبقه مانديلا بوضوح حين دعا الأغلبية السوداء إلى تجنّب الانتقام، وإلى التفكير في بناء أمة واحدة، وتظهر الدراسات أن خطاب مانديلا كان يقوم على المزج بين الحزم الأخلاقي والمرونة السياسية، ما جعله قادرًا على توجيه السلوك الجماعي دون قسر، وهو ما يتفق مع نظرية القيادة الأخلاقية.(Gardner, 2005)

2- مانديلا والقيادة الأخلاقية.

تتناول القيادة الأخلاقية التزام القائد بقيم العدالة والإنصاف والشفافية والمسؤولية الأخلاقية (Brown & Treviño, 2006) وقد مثّل مانديلا نموذجًا أخلاقيًا عالميًا، ليس فقط في خطاباته، بل في سلوكه اليومي وفي إصراره على المصالحة بدل الانتقام، تجليات القيادة الأخلاقية في تجربة مانديلا، التسامح بدل الانتقام لابعد خروجه من السجن، دعا مانديلا إلى المصالحة الوطنية رغم معاناته الطويلة، متجاوزًا «أخلاق الثأر» إلى "أخلاق البناء" (Mandela, 1994) ، ونموذج النزاهة الشخصية عُرف مانديلا بالانضباط الأخلاقي، والبعد عن الفساد والشهرة الشخصية، مما عزز موقعه كقائد أخلاقي عالمي، واحترام التنوع والاختلاف إصراره على إشراك البيض في العملية السياسية يؤكد التزامه بمبادئ العدالة والإنصاف(جابر،2019).

3- مانديلا وقيادة الخدمة.

تقوم قيادة الخدمة على فكرة أن القائد موجود لخدمة الآخرين قبل خدمة ذاته (Greenleaf, 2002) ، وقد كان "مانديلا" يرى نفسه «خادمًا لشعبه»، كما يظهر في خطابه الشهير أثناء تنصيبه رئيسًا:" أنا لست سوى خادم متواضع لشعب جنوب إفريقيا"، كما ان تجليات قيادة الخدمة عند مانديلا، تقديم المصلحة العامة على المكاسب الشخصية اعتزال مانديلا الحياة السياسية بعد فترة رئاسية واحدة يعكس مفهوم خدمة الشعب وعدم التشبث بالسلطة، وإعلاء كرامة الإنسان ركّز مانديلا على تحرير الإنسان نفسيًا وسياسيًا، مما يجسد مبدأ «تمكين الآخرين» في قيادة الخدمة.

4- مانديلا والقيادة الكاريزمية.

تعتمد القيادة الكاريزمية على التأثير الاستثنائي، والسحر الشخصي، والقدرة على الإلهام(Weber, 1968) ، وقد امتلك مانديلا حضورًا كاريزميًا عالميًا ظهر في خطبه، قدرته على التأثير العاطفي، وسلوكه الهادئ والحازم في آنٍ واحد، سمات الكاريزما لدى مانديلا: قوة الإقناع الهادئ، الجاذبية الإنسانية المبنية على التضحية، والحضور الرمزي العابر للقوميات.

5- التأثير العالمي لمانديلا في مدارس القيادة المعاصرة.

يتضمن التأثير على الشكل الاتي:

أ- **إعادة تعريف القيادة كفعل أخلاقي:** أصبح مانديلا نموذجًا مرجعيًا في تدريس القيادة الأخلاقية في الجامعات العالمية (Dorasamy, 2010).

ب- **تعزيز نموذج القيادة التو افقية:** أسهمت تجربته في دعم فكرة القيادة القائمة على الحوار والمصالحة، خاصة في مجتمع متعدد الأعراق.

ت- **دمج البعد الإنساني في الفكر القيادي:** أدخل مانديلا بُعد «الإنسانية» في تحليلات القيادة السياسية المعاصرة، مما دفع دعاة القيادة الحديثة للقول بأن القيادة ليست مجرد سلطة، بل علاقة أخلاقية مع المجتمع.

ث- **أثره في مناهج بناء السلام:** تُدرج أمثلة مانديلا اليوم ضمن مناهج بناء السلام والمصالحة في الأمم المتحدة ومنظمات التعليم العالمية(United Nations, 2010) .

6- التحوّل السياسي وإعادة هندسة السلطة.

وفقًا لأطروحة "هنتنغتون" (1991)، فإن التحوّل السياسي الناجح يتطلب "نخبًا قادرة على إعادة توزيع السلطة بطريقة سلميّة"، وقد لعب مانديلا هذا الدور عبر تحويل المؤتمر الوطني الأفريقي من حركة مقاومة إلى مؤسسة سياسية قادرة على إدارة الدولة، وقد أظهرت بيانات الفترة الانتقالية في جنوب أفريقيا أنّ قدرة مانديلا على استيعاب النخب البيضاء ومؤسساتها الأمنية والاقتصادية كانت شرطًا أساسيًا لنجاح التحوّل السياسي، إذ تجنّب ما يسمى بـ"الانتقال القسري" الذي أدى إلى فشل العديد من التجارب في دول أخرى، كما يرى "هنتنغتون" أن التحوّل السياسي الناجح يتطلّب "قادة إصلاحيين قادرين على تفكيك البنى السلطوية القديمة دون تدمير مؤسسات الدولة"، وقد طبق مانديلا هذه الرؤية بصورة واضحة، فآليات مانديلا في إعادة هندسة السلطة، هي:

أ- تحويل المؤتمر الوطني الأفريقي إلى مؤسسة سياسية بعد أن كان حركة مقاومة، أعاد مانديلا بناءه كمؤسسة قادرة على ممارسة الحكم الديمقراطي.

ب- دمج النخب البيضاء في النظام الجديد تجنب مانديلا سياسة الإقصاء التي تتّبعها معظم الثورات، وفضّل الاحتواء السياسي لتجنب العنف والانهيار الاقتصادي.

ت- التفاوض بدل الصراع المسلح رغم قدرته على تعبئة السود، اختار مانديلا طريق التفاوض مع حكومة الأبارتايد، مجسدًا مفهوم البراغماتية السياسية.

ث- الانتقال السلمي للسلطة شكّل تولّيه الرئاسة عام 1994 ثم تسليمه السلطة طواعية عام 1999 تطبيقًا راقيًا لمبدأ التداول السلمي للسلطة.

7- إدارة الصراع من خلال بناء السردية الموحدة.

اعتمد مانديلا على بناء سردية وطنية جامعة قائمة على التسامح، واستبدال مفردات "الغالب والمغلوب" بمفردات "المواطنة والمشاركة"، وتؤكد الأدبيات أن بناء سردية مشتركة هو عنصر حاسم في معالجة الصراعات طويلة الأمد، إذ يوقف إعادة إنتاج الضغائن التاريخية(Gibson, 2004) ، وقد ظهر منهج نيلسون مانديلا بوضوح في تأسيس لجنة الحقيقة والمصالحة، التي مثلت جسراً بين الماضي والمستقبل، واعتمدت على كشف الانتهاكات لا بهدف الانتقام، وإنما بهدف بناء الوعي الجمعي على قاعدة الاعتراف والتعلّم(North,2009).

8- القوة الناعمة وتجديد الشرعية السياسية.

اعتمد مانديلا بشكل كبير على القوة الناعمة عبر بناء صورة "القائد الأخلاقي" الذي يرفض العنف ويقبل الحوار، ما منحه شرعية داخل الدولة وخارجه، وتشير دراسات القوة الناعمة إلى أن "الشرعية الأخلاقية" تُعد قوة سياسية تعادل أحيانًا قوة السلاح (Nye, 2004)، لقد أعطت هذه الشرعية مانديلا قدرة كبيرة على التأثير في مسار التحوّل وفي تهدئة المكوّنات المتصارعة، خصوصًا في المرحلة التي أعقبت الإفراج عنه عام 1990، حيث كان بإمكانه أن يدفع نحو صدام شامل لكنه اختار طريق التفاوض.

9- القوة الناعمة والشرعية الأخلاقية.

يؤكد "جوزيف ناي" (Nye, 2004) أن القوة الناعمة تعتمد على الجاذبية الأخلاقية والثقافية. وقد امتلك مانديلا هذا النوع من القوة عبر: تواضعه الشخصي وتجنّبه الثأر، وخطابه السلمي القائم على التسامح، وقبوله الحوار مع خصومه، وصورته كزعيم عالمي يكرّس قيم الحري، و لقد أنتجت هذه القوة شرعية سياسية عابرة للحدود جعلته أكثر القادة تأثيرًا في القرن العشرين.

10- **المصالحة باعتبارها مشروعًا لبناء السلم المستدام.**

تشير الأدبيات الحديثة لبناء السلام إلى أن السلم المستدام لا ينتج من غياب الصراع فحسب، بل من إعادة بناء العلاقات الاجتماعية المعطوبة، وقد طبّق مانديلا هذا المفهوم عمليًا حين ربط بين التحوّل السياسي والإصلاح الاجتماعي. ولذلك أصبحت تجربة مانديلا نموذجًا عالميًا في كيفية تحويل العدالة الانتقالية إلى رافعة للمصالحة وليس مجرد آلية لمعاقبة الجناة، ولقد اعتمد مانديلا في إدارة الصراع وفق نموذج المصالحة الوطنية وعلى دمج العدالة مع التسامح من خلال تأسيس لجنة الحقيقة والمصالحة التي عدّها" ليدراخ " (Lederach, 1997) نموذجًا رائدًا لبناء السلم المستدام." لذا فان مبادئ مانديلا في إدارة الصراع، هي:

أ- إعادة بناء الثقة بين المكوّنات الاجتماعية اعتمد على رمزية جسدية وعاطفية؛ مثل مشاركته في مباريات الرغبي مع البيض عام 1995.

ب- تحويل السردية الوطنية من الماضي إلى المستقبل أكد أن "الأمم تُبنى بالنسيان الواعي لا بالتناسي المزيف".

ت- تعزيز قيم مشتركة تتجاوز الهويات المغلقة مثل المساواة، الديمقراطية، والعدالة.

ث- عدم السماح بترسيخ ذاكرة الانتقام وهو ما شكّل نقطة فارقة في نجاح المصالحة.

11- تأثير مانديلا في إعادة صياغة الهوية الوطنية.

أحد أهم أدوار مانديلا القيادية هو إعادة تعريف الهوية الجنوبية الأفريقية بعيدًا عن ثنائية "الأسود–الأبيض"، وهي خطوة ضرورية لنجاح أي تحوّل سياسي؛ فالهوية الموحدة تُعدّ قاعدة للانتقال الديمقراطي(Fukuyama, 2014) ، لقد استطاع مانديلا نقل المجتمع من هوية صراعية إلى هوية تشاركية، وهو ما انعكس على الاستقرار السياسي لجنوب أفريقيا بعد عام 1994، ويرى" فوكوياما fukuyama" (2014) أن استقرار الدولة يرتبط بقدرتها على خلق هوية جامعة، وقد أعاد مانديلا صياغة الهوية الوطنية عبر: توسيع مفهوم المواطنة ليشمل الجميع، وإلغاء الرموز العنصرية مع الحفاظ على الرموز الجامعة، وتأكيد أن مستقبل البلاد مبني على شراكة لا غالب فيها ولا مغلوب، وبذلك حوّل مانديلا "الهوية العرقية" إلى هوية مدنية سياسية تسهم في بناء الدولة الديمقراطية الحديثة.

بناء على ما سبق، يمكن القول إن نيلسون مانديلا قدّم نموذجًا فريدًا لزعيم يمتلك رؤية تحوّلية استطاعت نقل مجتمع من الانقسام العرقي إلى السلم المدني، ومن العنف إلى المصالحة، ومن الثأر إلى العدالة، وتؤكد تجربته أن القيادة السياسية الناجحة ليست نتاج السلطة فقط، بل نتاج الإرادة الأخلاقية، والقدرة على مخاطبة الوجدان الجمعي، وإعادة بناء المجتمع على أسس جديدة.

خامسا: المسيرة الحياتية لمانديلا.

تضمن هذا المحور عدة الجوانب يتعلق بحياته، منها:

1- النشأة والتعليم: وُلد نيلسون مانديلا عام 1918 في قرية مفيزو، وقد نشأ في بيئة قبلية تقليدية، ثم التحق بجامعة فورت هير(Sampson, 1999) ، تأثرت شخصيته المبكرة بالثقافة القبلية وبالقصص البطولية لأسلافه من محاربي الكوسا.

2- **النشاط السياسي المبكر:** انخرط في النضال ضد الفصل العنصري مبكرًا، وكان من مؤسسي رابطة شباب المؤتمر الوطني الأفريقي عام 1944(Mandela, 1994) ، وقد ساهمت فلسفة المهاتما غاندي في تبنيه لأسلوب المقاومة السلمية.

3- **ظروف الاعتقال:** تحوّل السجن إلى مدرسة للنضال السياسي، وبرز مانديلا كقائد أخلاقي بين رفاقه .(Lodge, 2006) وقد استمر في التثقيف الذاتي وقيادة زملائه رغم القسوة والحرمان.

4- **المحاكمة والسجن:** في عام 1964، حكم عليه بالسجن مدى الحياة بعد محاكمة " ريفونيا" الشهيرة، حيث واجه القضاة ببيان تاريخي قال فيه: "إنني أقاتل من أجل مجتمع ديمقراطي حر، وهو هدف أنا مستعد لأن أموت من أجله(Meredith, 2010) ".

5- **مراسلات السجن ورفض المساومات (نضال صامت وصمود أخلاقي.).**

رفض مانديلا عروض الإفراج المشروط مقابل التنازل عن مبادئه، وأصرّ على التفاوض من موقع الندية، مما رفع من مكانته القيادية بين أبناء شعبه(Mandela, 1994) .

6- **من السجن إلى قيادة الأمة (مانديلا رئيسًا).**

يتضمن هذا الفقرة عدة جوانب، منها:

أ- **الإفراج والتحول التاريخي:** أُفرج عنه عام 1990 بعد 27 عامًا من السجن، في لحظة مفصلية بتاريخ جنوب أفريقيا، ليبدأ مرحلة جديدة من قيادة البلاد نحو الديمقراطية(Sparks, 1995) .

ب- **مفاوضات الانتقال السلمي:** قاد مفاوضات مع حكومة دي كليرك لإنهاء نظام الأبارتايد وتأسيس نظام ديمقراطي قائم على مشاركة الجميع(Meiring, 2007)

ت- **انتخابه رئيسًا عام 1994:** أصبح أول رئيس أسود لجنوب أفريقيا، وأسس لحقبة جديدة من المصالحة الوطنية، وتميزت رئاسته بالعمل على توحيد صفوف الأمة.

سادسًا: قراءة مقارنة بين تجربة مانديلا ونماذج قيادية عالمية.

يتناول هذا المحور بعض الشخصيات لهم دور متشابهة و بارزة مع مانديلا في تعزيز السلام العالمي، ومنهم خاصية (مانديلا غاندي مارتن لوثر كينغ) النهج الاعنف زائدا مصالحات الاعنف مقاومة سلمية الهدف إنهاء الفصل العنصري الاستقلال الحقوق المدنية النموذج القيادي تحويلي وأخلاقي أخلاق يكاريزمي السياق مجتمع متعدد الأعراق استعمار عنصرية ، تشير هذه المقارنة إلى أنّ مانديلا جمع بين التحويلية والأخلاقية والخدمية، بينما ركز كل من غاندي وكينغ على أبعاد جزئية.

بالإضافة الى ذلك، يمثل نيلسون مانديلا نقطة تحول كبرى في الفكر القيادي العالمي؛ إذ نقل القيادة من مفهومها السلطوي التقليدي إلى نموذج إنساني أخلاقي قائم على المصالحة والعدالة والتحول السياسي(يوسف،2017)، وقد أصبح تأثيره عميقًا في صلب نظريات القيادة المعاصرة، التي باتت تعترف بأن القيادة ليست مجرد منظومة إدارية بل منظومة قيمية وإنسانية تُعلي من شأن الإنسان قبل السياسة، كما يعتمد منهج المقارنة في العلوم السياسية على تحليل أوجه التباين والتشابه بين الظواهر السياسية، بهدف فهم ديناميات التحوّل، وتحديد العوامل المؤثرة في النجاح والفشل(Lijphart, 1971) ، وبتطبيق هذا المنهج على تجربة نيلسون مانديلا، يصبح بالإمكان توضع هذه التجربة ضمن سياق عالمي لقيادات واجهت أنظمة قمعية أو عنصرية، وسعت لإعادة تشكيل الدولة وبناء السلم الأهلي، و يمكن توضح ذلك على النحو الاتي:

1- **مقارنة مانديلا وغاندي:** القيادة الأخلاقية والأعنف، ورغم اختلاف السياقات، يشترك كلاهما في اعتماد المقاومة اللاعنفية كأداة للتحرير، فأوجه التشابه، هي الالتزام العميق بالمبادئ الأخلاقية: كل من مانديلا وغاندي تبنّيا خطابًا يهدف إلى تحرير

المجتمع عبر قيم العدالة والمساواة(Gardner, 2005؛ Gandhi, 1927). توظيف القوة الروحية-الأخلاقية: استخدم غاندي "ساتياغراها"، بينما استخدم مانديلا "المصالحة العادلة" كأدوات للنضال، التحوّل من السجن إلى الرمزية القيادية: كلاهما تحوّل إلى رمز وطني بعد فترات طويلة من الاعتقال.

اما أوجه الاختلاف، فهي التكتيك السياسي: غاندي التزم باللاعنف المطلق، بينما سمح مانديلا بالكفاح المسلح في البداية بسبب قسوة نظام الفصل العنصري(Gibson, 2004) ، وإدارة التحوّل السياسي: تجربة مانديلا تتضمن انتقالًا سلميًا مؤسسيًا مع بناء نظام ديمقراطي مدني، بينما انتهت تجربة غاندي إلى انقسام الهند وباكستان.

2- مقارنة مانديلا ومارتن لوثر كينغ: القيادة التحفيزية وتغيير الوعي الجمعي، والنضال من أجل الحقوق المدنية.

أوجه التشابه، هي: ارتبطا في الوعي العالمي بفكرة التحرر والمساواة ورفض العنصرية، والقدرة على التأثير العاطفي في الجمهور كلاهما استخدم الخطاب التحفيزي لإعادة بناء الوعي الجمعي ضد الظلم(King, 1963؛ Burns, 1978)، والمطالبة بالمساواة المدنية سعى كينغ لحقوق السود في الولايات المتحدة، بينما سعى مانديلا لإنهاء نظام الأبارتايد تمامًا.

اما أوجه الاختلاف، فهو: سياق الصراع كينغ واجه عنصرية مؤسساتية داخل نظام ديمقراطي، بينما واجه مانديلا نظامًا عنصريًا كاملاً يملك حق الإقصاء القانوني، ونتائج الحراك نجح مانديلا في تحقيق انتقال سياسي كامل، بينما انتهى مسار كينغ بالاغتيال قبل تحقيق تحول جذري.

3- مقارنة مانديلا و دي كلير: قيادة الصراع مقابل قيادة الدولة.

أوجه التشابه يمثل بالدور المشترك في إنهاء الصراع: لعب كليرك ومانديلا دورين متكاملين في الانتقال السياسي، رغم اختلاف الخلفيات(Huntington, 1991) ، والقدرة على تقديم تنازلات تاريخية: اعترف كليرك بضرورة إنهاء الأبارتايد، فيما اعترف مانديلا بضرورة الحوار.

اما أوجه الاختلاف فهي: الشرعية السياسية: مانديلا امتلك شرعية أخلاقية وشعبية، بينما امتلك كليرك شرعية قانونية وسياسية داخل النظام القديم، وطبيعة القيادة: قيادة مانديلا كانت تحويلية، بينما قيادة كليرك كانت انتقالية.

4- مقارنة مانديلا وشارل ديغول: نموذج القائد التفاوضي مقابل القائد العسكري.

التشابه بينهما هي: كل منهما قاد انتقالًا من زمن الصراع إلى زمن الدولة، اما الاختلاف، فهي: ديغول اعتمد على الشرعية العسكرية، بينما اعتمد مانديلا على شرعية النضال والمظلومية العادلة.

5- مانديلا وعبد الكريم الخطابي: النضال التحرري الوطني.

كلاهما واجه الاستعمار بمقاومة منظمة، وتميّز بنظافة اليد واحترام الخصوم.

6- تحليل مقارن لأسباب نجاح تجربة مانديلا مقارنة بغيره.

ان نجح مانديلا في الحفاظ على وحدة الحركة التحررية، وحدة المؤتمر الوطني الأفريقي، بينما فشلت حركات مشابهة في دول أخرى بسبب الانقسامات، وانتقال قيادي مؤسس على الشرعية الأخلاقية، كما ان امتلاك مانديلا "شرعية الألم" التي لم يمتلكها قادة آخرون من ابرز نجاحاته(Nye, 2004) ، واحتواء النخب القديمة بدل إقصائها\ك على خلاف العديد من الثورات، لم يلجأ مانديلا للعقاب الجماعي، بل للعدالة الانتقالية، وجود بيئة دولية داعمة: تزامن التحول مع تراجع العنصرية عالميًا نهاية الحرب الباردة، وقدرته على تقديم نموذج قيادي لا يعادي الخصوم: فهو لم ينظر للبيض كأعداء بل كأطراف في الوطن الجديد، على خلاف تجارب أخرى اعتمدت الصدام الثوري.

بناء على ذلك، نجد ان القيادة الأخلاقية كانت العامل الأكثر تميّزًا في نجاح مانديلا مقارنة بغاندي وكينغ، وإدارة الصراع عبر المصالحة جعلت تجربة مانديلا أكثر استدامة من تجارب أخرى شهدت انتكاسات، والاستعداد لتقديم تنازلات سياسية كان أعلى لدى مانديلا من معظم القادة في سياقات مشابهة، واستخدام القوة الناعمة جعله نموذجًا عالميًا بمدى تأثير أكبر من القادة المسلحين أو الثوريين، كما ان نجاح التحوّل السياسي في جنوب أفريقيا يعود إلى توازن فريد بين: الشهرة الأخلاقية + الشرعية الشعبية + القدرة التفاوضية + الرؤية المؤسسية.

سابعا: نيلسون مانديلا والدبلوماسية الأخلاقية.

برز "نيلسون مانديلا" عالميًا بوصفه أحد أهم القادة الذين جسّدوا مفهوم الدبلوماسية الأخلاقية؛ وهي دبلوماسية تستند إلى القيم الإنسانية العليا، وتمزج بين القوة الأخلاقية والالتزام السياسي، وتضع حقوق الإنسان والعدالة في قلب النشاط الدبلوماسي. لقد جعل مانديلا من الأخلاق أداة للتأثير السياسي، ومن الإنسانية إطارًا للقرار الدبلوماسي، ليصبح نموذجًا استثنائيًا في القيادة العالمية(Nye, 2004) .

1- مفهوم الدبلوماسية الأخلاقية في فكر مانديلا.

يتضمن ذلك ما يلي:

أ- الدمج بين الأخلاق والسياسة.

ركّز مانديلا على أنّ السياسة ليست مجرد صراع مصالح، بل "فنّ تحقيق العدالة وتحرير الإنسان"، وهو ما يتوافق مع مبادئ الدبلوماسية الأخلاقية، كما تناولها كوفي عنان في جهود الأمم المتحدة لبناء السلام(Annan, 2001) ، اعتمد مانديلا على لغة إنسانية تتجاوز الحدود العرقية والدينية والثقافية (ياسين،2020).

ب- العدالة بوصفها أساسًا للشرعية الدولية.

أكّد مانديلا أنّ السلام العالمي لا يمكن أن يستند إلى موازين القوى فقط، بل إلى شرعية أخلاقية قوامها العدالة والمساواة (Mandela, 1994)ولذلك دافع في خطاباته الأممية عن حق الشعوب في التحرر والمشاركة السياسية.

2- أدوات مانديلا في ممارسة الدبلوماسية الأخلاقية.

يتضمن ذلك ما يلي:

أ- التواصل الوجداني.

كان مانديلا يستخدم خطابًا إنسانيًا يعبر عن الألم المشترك والأمل المشترك، ما جعله قادرًا على مخاطبة الشعوب وليس القيادات السياسية فقط. وتشير الدراسات إلى أن هذا النوع من الخطاب يعزز القوة الناعمة ويُعدّ من أهم أدوات الدبلوماسية الأخلاقية (Giddens, 2011).

ب- بناء الجسور بين الخصوم.

اعتمد مانديلا على التواصل مع الخصوم وتحويل الصراع إلى مساحة للحوار، إذ كان ينظر للآخر بوصفه شريكًا محتملًا في المستقبل. يتوافق هذا السلوك مع المقاربة الأخلاقية في التفاوض التي تدمج الحزم الأخلاقي بالمرونة السياسية(Bercovitch, 2006) .

ت- الدبلوماسية الرمزية.

أصبح مانديلا رمزًا عالميًا للسلام، واستخدم هذه الرمزية لتعزيز رسائل الأخلاق والتسامح، مثل: دعمه للحد من الأسلحة النووية، دفاعه عن حقوق الإنسان، مواقفه من الأزمات الإنسانية، وقد اعتبر الباحثون أنّ القوة الرمزية لمانديلا أصبحت جزءًا من التأثير الدبلوماسي الدولي(Fukuyama, 2014) .

3- تأثير الدبلوماسية الأخلاقية لمانديلا في الأزمات الدولية.

يشير ذلك الى عدة ادوار، منها:

أ- **دوره في أزمة ليبيا (1997–2003):** قام بوساطات غير رسمية بين ليبيا والدول الغربية حول قضية لوكيربي، مقدّمًا نموذجًا للتفاوض الأخلاقي القائم على: احترام السيادة، البحث عن حلّ إنساني، ضمان محاكمات عادلة، وقد أشار ديكليرك إلى أنّ دور مانديلا كان محوريًا في تجنّب حرب كانت ممكنة(De Klerk, 2001; سلامة،2018)

ب- **دوره في بوروندي:** قاد مانديلا وساطة متعددة الأطراف بين الجماعات المتنازعة في بوروندي، ونجح في إعادة طرفي الصراع إلى طاولة المفاوضات، وهذه الوساطة تُعدّ إحدى أهم النماذج الحديثة للدبلوماسية الأخلاقية(Harris, 2004) .

ت- **دعم حقوق الفلسطينيين:** أكّد مانديلا مرارًا أن السلام في الشرق الأوسط لا يمكن تحقيقه دون إنهاء الظلم الواقع على الفلسطينيين، وقدّم خطابًا أخلاقيًا عالميًا يدعو إلى تسوية عادلة، يرى بعض الباحثين أن موقفه كان متسقًا مع جذوره الفكرية في مقاومة الفصل العنصري(Abu-Lughod, 2007) .

4- محددات نجاح الدبلوماسية الأخلاقية لمانديلا.

تم تحديد المحددات في عدة نواحي، منها:

أ- **الشرعية الأخلاقية الشخصية:** اكتسب مانديلا شرعية فريدة بسبب: سجنه الطويل، ثباته على المبادئ، نبذه للعنف بعد خروجه، هذه الشرعية جعلت العالم يتعامل معه بوصفه "صوتًا أخلاقيًا" لا مجرد زعيم سياسي(Lodge, 2006) ,

ب- **القيادة التحويلية:** كان مانديلا تطبيقًا حيًا لمفهوم القيادة التحويلية التي تركز على التغيير الجذري من خلال الإلهام الأخلاقي(Bass, 1999) .

ت- **الصبر الاستراتيجي:** عُرف مانديلا بقدرته على الانتظار وتقدير اللحظات المناسبة، ما جعله قادرًا على إدارة الأزمات بعقلانية، وهذا ما يسميه الباحثون "الصبر كقيمة دبلوماسية" (Deutsch, 2006) .

بناء على ما سابق، شكّلت تجربة مانديلا في الدبلوماسية الأخلاقية نموذجًا عالميًا نادرًا يمزج بين الأخلاق والسياسة، ويعيد تعريف دور القائد في العلاقات الدولية. وقد أثبتت مسيرته أنّ التأثير الأخلاقي يمكن أن يصبح قوة سياسية حقيقية قادرة على حلّ النزاعات، وأن الدبلوماسية القائمة على الإنسانية والقيم قادرة على إنتاج سلام حقيقي أكثر استدامة من الدبلوماسية القائمة على المصالح الضيقة.

ثامنا: أثر نيلسون مانديلا في بناء السلام العالمي.

يمثل نيلسون مانديلا أحد أبرز الرموز العالمية في مجال بناء السلام والتحول السياسي السلمي في العصر الحديث. فقد أسهمت تجربته الشخصية والنضالية في تقديم نموذج تطبيقي لبناء السلام لا يقوم فقط على إنهاء الصراعات، بل على إعادة بناء المجتمعات المنقسمة، ومعالجة الجروح العميقة، وتأسيس ثقافة سياسية جديدة قائمة على المصالحة والعدالة الاجتماعية. إن دراسة أثر مانديلا في بناء السلام العالمي تعد مدخلًا مهمًا لفهم التحولات التي شهدتها نظريات السلام والمصالحة بعد نهاية الحرب الباردة.(Boutros-Ghali, 1995)

1- مانديلا كمؤسس لنموذج المصالحة بعد الصراع.

يشير هذه الفقرة الى:

أ- الانتقال من الصراع إلى التسوية السياسية.

أثبت مانديلا أنّ إمكانية التحول من صراع مديد إلى تسوية سياسية عادلة ليست مستحيلة، إذا توفر القائد القادر على توجيه الصراع نحو الحلول السلمية، فقد قام بإدارة مفاوضات شاملة مع نظام الفصل العنصري رغم عمق الانقسامات، معتمدًا على منهج «الحوار بدل المواجهة(Mandela, 1994) .

ب- لجنة الحقيقة والمصالحة.

تعد لجنة الحقيقة والمصالحة، التي تأسست في 1995، أحد أهم تجاربه في بناء السلام، إذ أسست نموذجًا عالميًا للمصالحة يقوم على: كشف الحقيقة، الاعتراف بالجرائم، العفو المشروط، وجبر الضرر، وإعادة إدماج الجناة والمجتمع، وقد أصبح هذا النموذج يُدرّس في جامعات العالم كإطار لبناء السلام في المجتمعات المنقسمة (سلامة،2028 ;Tutu, 1999).

2- دور مانديلا في ترسيخ ثقافة السلام العالمي.

يمثل دور نيلسون في جوانب عديدة، منها:

أ- **السلام باعتباره قيمة أخلاقية عالمية:** قدّم مانديلا رؤية أخلاقية للسلام تُعلي من قيمة الإنسانية فوق الانتماءات العرقية والسياسية، وهو ما جعل خطابه مرجعًا في أدبيات السلام العالمي.(Harris, 2004)

ب- **تبني مفاهيم التسامح واللاعنف:** أكد مانديلا أنّ «السلام ليس غياب القوة، بل سيادة العدالة»، وهذا يعكس تحولًا في مفهوم السلام من حالة سلبية إلى حالة إيجابية قائمة على العدالة والتنمية وكرامة الإنسان(Galtung, 1996) .

ت- **محاربة العنصرية كطريق لبناء السلام:** اعتبر مانديلا أنّ إنهاء العنصرية لا يتعلق بجنوب أفريقيا وحدها، بل بالعالم، ولذلك أصبح الخطاب المضاد للتمييز جزءًا من إرثه العالمي(حاسم،2020).

3- تأثير مانديلا على سياسات الأمم المتحدة في بناء السلام.

ركزنا في هذه الفقرة على عدة سياسات، منها:

أ- **إعادة صياغة مفهوم التحول الديمقراطي:** تأثرت الأمم المتحدة بتجربة مانديلا في مسارات بناء السلام، حيث أصبحت التسوية السياسية والمصالحة الوطنية عناصر رئيسية في عمليات حفظ السلام الأممية بعد التسعينيات(United Nations, 2010)

ب- **تعزيز مفهوم "إعادة الدمج والمصالحة":** بعد تجربة جنوب أفريقيا، أضافت الأمم المتحدة مفهوم العدالة الانتقالية إلى استراتيجيات بناء السلام، وهو مفهوم اعتمد على خطى مانديلا في الجمع بين العدالة والمصالحة.(Teitel, 2000)

ت- **الإلهام في عمليات السلام الدولية:** أوصت تقارير الأمم المتحدة بالاستفادة من نموذج مانديلا في:

رواندا، بوروندي، سيراليون، كوسوفو. وذلك لنجاح تجربته في إعادة اللحمة بين المكونات المتصارعة.

4- مانديلا كنموذج للقائد العالمي في إدارة الصراع.

يشمل هذه الفقرة على:

أ- **المهارات التفاوضية:** امتلك مانديلا نموذجًا نادرًا في التفاوض يقوم على: الإصغاء، المرونة، الثبات على المبادئ، قبول التسويات الواقعية. وقد أصبح هذا الأسلوب مرجعًا في دراسات إدارة الصراع.(Deutsch, 2006)

ب- **القيادة الهادئة والصلبة:** جمع مانديلا بين الصلابة في المواقف الأخلاقية والمرونة في السياسات التنفيذية، وهو ما جعل منه قائدًا قادرًا على إدارة التوترات المعقدة.

ث- **تحويل الألم الشخصي إلى مشروع إنساني:** استثمر تجاربه القاسية في السجن كمنطلق لبناء مشروع عالمي للحرية والسلام، وهذا عنصر جوهري في القيادة التحويلية.

5- البعد الإنساني في المشروع العالمي لمانديلا.

يشير في ذلك الى عدة معايير منها:

أ- **الدفاع عن حقوق الإنسان:** أصبحت مواقفه ضد العنصرية والاستبداد إطارًا أخلاقيًا عالميًا يؤكد أن حقوق الإنسان أساس أي عملية سلام مستدامة(Human Rights Watch, 2005) .

ب- **دور مانديلا في الصراعات الدولية:** تدخل مانديلا بشكل غير رسمي في عدة أزمات دولية: الصراع في ليبيا، أزمة بوروندي، المصالحة في الكونغو. وقد استُقبلت جهوده كوساطات أخلاقية، لا سياسية(سلامة،2019).

ت- **مانديلا والتنمية كعنصر للسلام:** أكد أنّ السلام لا يتحقق بدون: العدالة الاجتماعية، توزيع عادل للثروات، مكافحة الفقر، بناء التعليم. وهو ما يتوافق مع مفهوم السلام الإيجابي(Galtung, 1996) .

6- أثر مانديلا في الفكر العالمي حول المصالحة.

يتضمن ذلك عدة مؤشرات، مها:

أ- **تأسيس مدرسة "السلام القائم على التسامح":** أنتجت تجربته مدرسة فكرية جديدة تعطي الأولوية: للاعتذار، التسامح، إعادة بناء الروابط، تجاوز الماضي بدل دفنه(محدي،2016).

ب- **بناء السلام عبر الذاكرة الجماعية:** شجع على الاعتراف بالألم بدل إنكاره، مما جعل الذاكرة وسيلة للمصالحة وليس للانتقام (Hamber, 2003).

ت- **تداخل البعد الروحي مع السياسي:** جمع مانديلا بين القيم الروحية مثل: الصبر، التسامح، العفو، وبين القيم السياسية مثل: الديمقراطية، المشاركة، حكم القانون. وهذا الدمج أصبح محورًا في الدراسات الحديثة عن المصالحة.

7- فلسفة مانديلا في بناء السلام.

تناولنا في هذا الفرع جزء من افكار مانديلا العملية والعلمية، وعلى النحو الاتي:

أ- عملية بناء السلام.

1- التسامح والمصالحة: أطلق لجنة الحقيقة والمصالحة برئاسة ديزموند توتو، لمعالجة انتهاكات الماضي دون انتقام، بل بأسلوب إنساني فريد.(Tutu, 1999)

2- التعليم كوسيلة للتحول المجتمعي: كان يؤمن بأن "التعليم هو أقوى سلاح يمكنك استخدامه لتغيير العالم"، ودعم بقوة برامج محو الأمية والتعليم المدني.

3- احترام الخصم وتجنب العنف: حرص على تجنب التصعيد، حتى مع خصومه السياسيين، واعتبر أن احترام الخصم هو جزء من بناء سلام دائم.

ب- مانديلا رمزًا عالميًا للسلام

1- **التكريمات العالمية:** حصل على أكثر من 250 جائزة دولية، منها جائزة نوبل للسلام، ودكتوراه فخرية من عشرات الجامعات العالمية.

2- **تأثيره في الحركات التحررية العالمية:** أصبح مصدر إلهام للنضال الفلسطيني، والمقاومة ضد الاستعمار في أمريكا اللاتينية وآسيا(Friedman, 2013) .

3- **إرثه الأخلاقي والسياسي:** تُعد سيرته مرجعًا أخلاقيًا في التعليم والسياسة والعلاقات الدولية، ويُحتفى به عالميًا في 18 تموز.

8- **تجربة مانديلا لبناء السلام العالمي.**

يتضمن هذا الفرع طبيعة تعامل القائد والمناضل مانديلا مع المجتمع:

1- **اساليب مانديلا في معالجة الاحداث:** ضرورة دمج المصالحة مع العدالة الانتقالية، وأولوية القيادة الأخلاقية في مراحل التحول، والقوة الناعمة للتسامح في تفكيك البنى القمعية، ومانديلا في الذاكرة الثقافية والرمزية العالمية

2- **مانديلا في الأدب والسينما:** جُسدت حياته في أعمال أدبية وسينمائية كثيرة، منها فيلم "Invictus" وفيلم "Mandela: Long Walk to Freedom".

أ- **حضور مانديلا في الثقافة الشعبية:** ظهر في الأغاني والرموز الثقافية والشعارات المرتبطة بالعدالة والحرية، مثل موسيقى يو-تو وبيتر غابرييل

ب- **بناء الهوية الوطنية الجنوب أفريقية حول مانديلا:** ساهمت صورته كـ"أب الأمة" في إعادة بناء الهوية الوطنية على قيم التنوع والمصالحة.

3-دروس مانديلا لعالم اليوم.

أ– تعزيز ثقافة الحوار بدل العنف حيث اعطى مانديلا نموذجًا مثاليًا لجدوى الحوار في حل النزاعات

ب– القيادة القائمة على المبادئ بحث يُعد مانديلا نموذجًا فريدًا للقيادة القائمة على القيم لا المصالح.

ت– مسؤولية الأفراد والمؤسسات في نشر السلام، لان رسالة مانديلا تؤكد أن نشر ثقافة السلام مسؤولية جماعية، تبدأ من الفرد وتنتهي بالدولة.

بناء على ما سبق، شكل نيلسون مانديلا أحد أهم الأعمدة التي أعادت رسم معالم بناء السلام في العالم، فقد أثبت أنّ المصالحة ممكنة حتى في أشد المجتمعات انقسامًا، وأن السلام ليس مجرد اتفاق سياسي بل عملية تاريخية تتطلب الإرادة الأخلاقية والشجاعة السياسية، وأن القيادة التحويلية والأخلاقية يمكنها أن تغيّر مجرى التاريخ، لقد منحت تجربته الإنسانية إطارًا نظريًا وعمليًا أسهم في توسيع آفاق نظريات السلام، وإعادة بناء سياسات الأمم المتحدة، وإلهام أجيال من القادة والأمم نحو طريق أكثر عدلًا وسلامًا.

❖ **الخاتمة.**

ختامًا، يظل إرث مانديلا الإنساني والسياسي مدرسة عالمية في الحرية، والكرامة، والسلام، ويبرز كمرجع مهم لصانعي السياسات والباحثين في مسارات التحول الديمقراطي وبناء السلام في القرن الحادي والعشرين، وإن تجربة نيلسون مانديلا تظل إحدى أبهى صور النضال السلمي في العصر الحديث، وهي تذكرنا دومًا بأن الحرية لا تُمنح بل تُنتزع، وأن المصالحة لا تعني النسيان بل الاعتراف والانطلاق نحو مستقبل مشترك، بالإضافة الى ذلك، يبقى مانديلا مدرسة أخلاقية وإنسانية ملهمة لكل شعوب العالم.

بالإضافة الى ذلك، يشير البحث أنّ نيلسون مانديلا لم يكن مجرد قائد سياسي، بل كان نموذجًا إنسانيًا عالميًا استطاع أن يمزج بين القيادة التحويلية، والدبلوماسية الأخلاقية، وإدارة الصراع، وبناء السلام المستدام، فمن خلال نضاله الطويل ضد نظام الفصل العنصري، ثم قيادته لعملية الانتقال السياسي السلمي في جنوب أفريقيا، قدّم مانديلا للعالم نموذجًا فريدًا في إمكانية تحويل الصراع إلى فرصة لبناء مجتمع عادل وديمقراطي، وعلية توصل البحث الى مجموعة من استنتاجات وتقديم بعض المقترحات والتوصيات للجهات المستفادة، وعلى النحو الاتي:

اولا: استنتاجات.

1- تبين أنّ القيادة السياسية في البيئات المتقلّبة تعتمد بدرجة كبيرة على مهارات التكيّف الاستراتيجي، بما يتوافق مع صياغة الواقع ويوجه المجتمع نحو رؤية جديدة.

2- أنّ القادة الذين يمتلكون شرعية رمزية وقيمية كما في نموذج القيادة الكاريزمية قادرون على حشد المجتمع، خاصة في الأزمات ذات الطابع الوجودي.

3- وجود علاقة إيجابية بين القيادة التحويلية وبين قدرة المجتمعات على تجاوز الأزمات خاصة حول دور القيادة بوصفها عملية تغيير متبادل بين القائد والقاعدة المجتمعية.

4- أنّ غياب الوعي السياسي المجتمعي يعيق مسار التحوّل الديمقراطي ويزيد من قابلية المجتمع للانقسام.

5- اكد البحث أنّ القيادة التي تمتلك حسًّا أخلاقيًا عاليًا قادرة على تعزيز السلم المجتمعي، وهو ما تؤكده أدبيات القيادة الأخلاقية.

6- أنّ شكل العلاقة بين القائد والجمهور هو المحدد الأساس لنجاح أو فشل العملية السياسية، وخصوصًا في المجتمعات الخارجة من النزاع.

7- تبين من البحث أنّ السلام المستدام لا يتحقق ما لم تتبنَّ القيادة مشروعًا إصلاحيًا شاملاً يستهدف البنى الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

8- اوجد البحث أنّ القيادة التي تعتمد القوة الناعمة أكثر قدرة على إعادة بناء النسيج الاجتماعي بعد النزاعات، مقارنة بالقيادات التي تعتمد أدوات القسر.

9- أنّ التحوّل السياسي يحتاج إلى قائد يمتلك رؤية استراتيجية بعيدة المدى، لا إلى قيادة تفاعلية تعتمد على إدارة الأزمات اليومية.

10- برهن البحث أن الدبلوماسية الأخلاقية ليست مفهومًا نظريًا فحسب، بل ممارسة سياسية فعّالة يمكنها أن تساهم في حلّ الأزمات الدولية، وبناء جسور الثقة بين الشعوب.

ثانيا التوصيات.

1- اجراء دراسات ميدانية مستقبلية تقيس مدى حضور "الزعامة الأخلاقية" في القيادات الحالية بالعالم لتحقق مقارنة تطبيقية مع نموذج مانديلا.

2- تحليل الخطاب السياسي لمانديلا ضمن مقاربة تحليلية لغوية، لفهم كيفية إنتاج الخطاب الأخلاقي وصياغة رسائل السلام.

3- تشجيع الدراسات المستقبلية التي تربط بين منهج مانديلا في إدارة النزاعات وبين استراتيجيات السلام الحديثة في المجتمعات الخارجة من النزاع، وخاصة في المنطقة العربية.

4- اعتماد نموذج مانديلا للحوار الشامل في عمليات المصالحة الوطنية بوصفه إطارًا مرنًا يصلح للتطبيق في المجتمعات التي تعاني من الانقسامات العرقية والطائفية، لما يتضمنه من قيم التسامح والعدالة التصالحية.

5- تطوير آليات حوار مجتمعي تستند إلى مبدأ "المسؤولية المشتركة" الذي اعتمده مانديلا في مرحلة ما بعد الأبارتهايد، بما يعزز الثقة بين الفئات الاجتماعية المتنازعة.

6- الاستفادة من نموذج القيادة الكاريزمية في تحليل شخصيات سياسية معاصرة، مع الأخذ بنظر الاعتبار الفرق بين الكاريزما الأخلاقية (مانديلا) والكاريزما السلطوية.

7- إعادة قراءة تجارب التحرر الوطني في إفريقيا عبر مناهج سوسيولوجية تبرز دور المجتمع وليس فقط الفرد القائد.

8- التركيز على العوامل البنيوية التي أنتجت نظام الأبارتهايد، للاستفادة منها في فهم الانقسامات الطائفية والعرقية في بلدان أخرى.

9- تحليل دور السجن كتجربة إنتاج قيادي، وفهم كيفية تحول المعاناة إلى رأس مال رمزي مؤثر في المجال السياسي.

10- اعتماد مبادئ القيادة الأخلاقية كأساس لإعادة بناء الثقة بين المواطن والدولة، خاصة في المجتمعات المنقسمة، عن طريق إدماج سيرة مانديلا في مناهج القيادة والإدارة وبناء السلام داخل الجامعات العربية والعالمية.

ثالثا: المقترحات.

1- تطوير مسارات دبلوماسية موازية (Track II Diplomacy) تستلهم أسلوب مانديلا في الحوار متعدد الأطراف.

2- إنشاء مختبر بحثي في "الدبلوماسية الأخلاقية وصناعة السلام.

3- تأسيس برنامج أكاديمي متخصص في "دراسات مانديلا" في السلام داخل الجامعات العربية والعالمية.

4- إنشاء مشروع بحثي دولي حول قيادة ما بعد النزاعات.

5- تعزيز دور مؤسسات الأمم المتحدة في تبني مقاربة المصالحة التي ركز عليها مانديلا.

6- وضع برامج خاصة لصناعة القادة الشباب تستلهم خصائص القيادة التحويلية: الرؤية، الإلهام، القدوة الأخلاقية، وتمكين الآخرين.

7- إجراء مؤتمرات بحثية حول القيادة التحويلية في العصر الحديث مستلهمة نموذج مانديلا.

8- تطوير برامج تدريبية وطنية لإعداد قيادات سياسية تعتمد على قيم التغيير البنيوي لا على إدارة الأزمة فقط.

المصادروالمراجع.

1- إبراهيم، سعاد أحمد (2015). مانديلا ومسيرة الحرية. القاهرة: الهيئة العامة للكتاب.

2- باس، برنارد مراد (1999). القيادة التحويلية: أسس ومفاهيم. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

3- باس، برنارد مراد (1999). القيادة التحويلية: رؤى واتجاهات. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

4- بيرنز، جيمس ماكنزي (1978). القيادة. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

5- جابر، سامي أحمد (2019). نماذج القيادة الأخلاقية في التجارب العالمية، القاهرة:دار المعرفة الاكاديمية.

6- جاسم، محمد عبد الكريم (2020). بناء السلام بعد النزاعات: دراسة في تجارب دولية.

7- سلامة، عبد الوهاب محمد (2018). الدبلوماسية الأخلاقية في العلاقات الدولي: الاسس – المبادىء وتطبيقات السلام العالمي. القاهرة: دار النهة العربية.

8- سلامة، عبد الوهاب محمد (2018). العدالة الانتقالية والمصالحة الوطنية، بيروت: مركز الدراسات الاستراتيجية للسلام والتنمية.

9- سلامة، فاطمة. (2019). نضال نيلسون مانديلا وأثره في الحركات التحررية. مجلة العلوم الاجتماعية، المجلد 15، جامعة الجزائر.

10- الضامن، حسين. (2020). نيلسون مانديلا: زعيم التغيير. بيروت: دار الطليعة.

11- عبد العزيز، حسن محمد (2016). القيادة السياسية والتحول الديمقراطي.

12- غاردنر، هوارد علي (2005). العقل القيادي. ترجمة: محمد يونس.

13- مجدي، هبة. (2016). فلسفة التسامح عند نيلسون مانديلا. مجلة الفكر السياسي، العدد 42، جامعة دمشق.

14- موسكا، غايتانو أندريه (1939). نظرية الطبقة السياسية. بيروت: دار المعرفة.

15- موسى، أحمد عبد الله. (2019). العدالة الانتقالية والمصالحة في جنوب إفريقيا. مجلة دراسات قانونية، 22(1)، 33–55.

16- النعيمي، عبد الرحمن. (2017). دروس مانديلا في النضال والمصالحة. مجلة آفاق سياسية، 19(2)، 45–60.

17- هنتنغتون، صموئيل فيليب (1991). الموجة الثالثة: التحول الديمقراطي في أواخر القرن العشرين. ترجمة: محمد الجندي.

18- ياسين، أحمد عبد القادر (2020). زعماء العالم: قراءة تحليلية في الشخصيات القيادية، عمان:دار صفاء للنشر

19- يوسف، حسن. (2017). نيلسون مانديلا: أيقونة الحريو والعدالة والمصالحة في القرن العشرين. القاهرة: دار العين. المركز العربي للمعرفة.

20- Abu-Lughod, I. (2007). Palestine and international solidarity.

21- Annan, Kofi. (2001). The Secretary General and the moral dimension of UN diplomacy.

22- Bass, B. (1985). Leadership and Performance Beyond Expectations. New York: Free Press.

23- Bass, B. M. (1999). Two decades of research and development in transformational leadership.

24- Bass, Bernard M. (1999). Transformational Leadership. Psychology Press.

25- Bercovitch, Jacob. (2006). Conflict resolution in the twenty-first century.

26- Boutros-Ghali, B. (1995). An Agenda for Peace.

27- Brown, M., & Treviño L. (2006). Ethical leadership: A review and future directions.

28- Burns, J. M. (2003). Transforming leadership.

29- Burns, James M. (1978). Leadership. Harper & Row.

30- Ciulla, Joanne. (2004). Ethics, The Heart of Leadership.

31- De Klerk, Frederik Willem. (2001). The Last Trek.

32- Deutsch, Morton. (2006). The resolution of conflict.

33- Dorasamy, N. (2010). Leadership and ethics: Mandela' s legacy.

34- Friedman, S. (2013). Race, class and power: Harold Wolpe and the radical critique of apartheid. UKZN Press.

35- Fukuyama, Francis. (2014). Political Order and Political Decay. Farrar, Straus and Giroux.

36- Galtung, J. (1996). Peace by peaceful means: Peace and conflict studies.

37- Gandhi, M. (1927). My Experiments with Truth. Navajivan Publishing.

38- Gardner, Howard. (2005). Leading Minds: An Anatomy of Leadership. Basic Books..

39- Gibson, James. (2004). Overcoming Apartheid: Can Truth Reconcile a Divided Nation?. Cambridge University Press.

40- Giddens, A. (1993). New Rules of Sociological Method. Stanford University Press.

41- Greenleaf, R. (1977). Servant Leadership. New York: Paulist Press.

42- Greenleaf, R. (2002). Servant leadership: A journey into the nature of legitimate power and greatness.

43- Hamber, B. (2003). Healing fragmented communities: South African reconciliation.

44- Harris, Ian. (2004). Peace education theory.

45- Human Rights Watch. (2005). South Africa: Human rights overview.

46- Huntington, Samuel P. (1991). The Third Wave: Democratization in the Late Twentieth Century. University of Oklahoma Press.

47- Jeong, Ho-Won. (2005). Peacebuilding in Postconflict Societies.

48- King, Martin Luther. (1963). I Have a Dream.

49- Lederach, John P. (1997). Building Peace. USIP Press.

50- Lijphart, Arend. (1971). Comparative Politics and the Comparative Method.

51- Lodge, T. (2006). Mandela: A critical life. Oxford University Press.

52- Lynch, Marc. (2008). Moral Authority and International Politics.

53- Mandela, N. (1994). Long Walk to Freedom: The Autobiography of Nelson Mandela. Little, Brown and Company.

54- Meiring, P. (2007). Chronicle of the Truth Commission. Zebra Press.

55- Meredith, M. (2010). Mandela: A Biography. PublicAffairs.

56- North, Douglass C. (2009). Institutions, Institutional Change and Economic Performance. Cambridge University Press..

57- Nye, Joseph S. (2004). Soft Power: The Means to Success in World Politics. Public Affairs.

58- O' Donnell, G., & Schmitter, P. (1986). Transitions from Authoritarian Rule. Johns Hopkins University Press.

59- Sampson, A. (1999). Mandela: The Authorized Biography. HarperCollins.

60- Sampson, A. (2011). Mandela: The Authorized Biography. Harper Perennial.

61- Sparks, A. (1995). Tomorrow is Another Country: The Inside Story of South Africa' s Negotiated Revolution. University of Chicago Press.

62- Teitel, R. (2000). Transitional Justice. Oxford University Press.

63- Thompson, Leonard. (2001). A History of South Africa.

64- Tutu, D. (1999). No Future Without Forgiveness. New York: Doubleday.

65- United Nations. (2010). Peacebuilding perspectives.

66- United Nations. (2018). Nelson Mandela International Day.

67- Weber, M. (1968). On charisma and institution building.

68- !Mandela, N. (1995). Long Walk to Freedom. New York: Little, Brown.

تأثير دول البلطيق على الحرب الروسية الأوكرانية و انعكاساتها عليها

إعداد/ أ. وسيم سالم عبد الله المزوغي /محاضر بقسم العلوم السياسية – كلية الاقتصاد – جامعة بنغازي – ليبيا

المستخلص:

تهدف الدراسة إلى التعرف على التأثير الذي أحدثه دول البلطيق على الحرب الروسية الأوكرانية من جوانبها المختلفة وانعكاسات هذه الحرب عليها، وتكمن أهمية الدراسة في كونها تبحث في تأثير دول صغرى كدول البلطيق على حرب تخوضها دولة كبيرة وفاعلة في النظام الدولي كروسيا، وترجع أسباب اختيار موضوع الدراسة لاهتمام الباحث بمجال العلاقات الدولية عموماً والقضايا الإقليمية المسببة للصراع بين الدول خصوصاً، وحاولت الدراسة تقديم إضافة علمية تحلل التأثير والتأثر للدول الصغرى في الصراعات الإقليمية التي تخوضها الدول الكبرى، واعتمدت الدراسة بشكل أساسي على المنهج الوصفي التحليلي مع استخدام المدخل التاريخي، وباعتبار أن الدراسة هي دراسة مكتبية فإنها استخدمت المصادر الثانوية، وتوصلت الدراسة إلى أن دول البلطيق سخرت كل امكانياتها لدعم أوكرانيا ضد الغزو الروسي، كما أن هذه الحرب كان لها انعكاس على دول البلطيق مس اقتصادها وأمنها ونسيجها الاجتماعي، وسوف تستعرض هذه الدراسة جوانب التأثير لدول البلطيق على هذه الحرب من النواحي السياسية والدبلوماسية والاقتصادية والعسكرية والأمنية والإنسانية والاجتماعية والتأثير المضاد لهذه الحرب عليها.

الكلمات المفتاحية: التأثير، دول البلطيق، الحرب الروسية الأوكرانية.

Abstract:

The study aims to examine the multifaceted influence of the Baltic states on the Russian-Ukrainian war and the repercussions of this war on them. The significance of the study lies in its investigation of how small states, such as the Baltic states, can influence a war waged by a major and influential actor in the international system like Russia. The reasons for choosing this topic stem from the researcher's interest in the field of international relations in general and regional issues that cause conflicts between states in particular. The study sought to provide an academic contribution by analyzing the influence and susceptibility of small states in regional conflicts involving major powers. The study primarily relied on the analytical descriptive method, incorporating a historical approach. As a desk study, it utilized secondary sources. The study concluded that the Baltic states leveraged all their resources to support Ukraine against the Russian invasion, and that this war, in turn, had significant repercussions on the Baltic states, affecting their economies, security, and social fabric. This study will explore the aspects of the Baltic states' influence on the war across political, diplomatic, economic, military, security, humanitarian, and social dimensions, as well as the reciprocal impact of the war on them.

Keywords: Impact, Baltic States, Russo-Ukrainian War.

1-1. مقدمة:

مَثل الغزو الروسي لأوكرانيا في 24 فبراير 2022م إعادة للكابوس المأساوي المرير الذي كانت تعيشه دول البلطيق الثلاث (إستونيا، لاتفيا، ليتوانيا) وأوكرانيا وأوروبا الشرقية أثناء حقبة الاتحاد السوفيتي، حيث أن دول البلطيق تفهم جيداً تبعات هذا الغزو وخطره الوجودي عليها بصفة خاصة وعلى المنطقة بصفة عامة، لذلك لم تقف هذه الدول مكتوفة الأيدي أبان ما يحصل للجار الأوكراني الذي تتقاسم معه التاريخ النضالي المشترك ضد الاتحاد السوفيتي، فسارعت إلى تقديم كل وسائل الدعم المتاحة إلى (كييف) من تحركات سياسية ودبلوماسية مكثفة وداعمة على الصعيدين الإقليمي والدولي، إلى دعم عسكري غير محدود، بالإضافة إلى الإعانات والمساعدات التي طالت كل مجالات الحياة.

في ظل الدعم الغير محدود الذي قدمته دول البلطيق لأوكرانيا بالرغم من صغر حجمها وامكانياتها كان لهذه الحرب انعكاسات وتبعات باهضه الثمن طالت اقتصادها وأمنها وحتى نسيجها الاجتماعي، ناهيك عن أزمة اللاجئين الذين وصلوا إليها بأعداد هائلة فاقت قدرتهم على استوعباهم.

من هذا المنطلق تبحث الدراسة في تحليل تأثير الدور الذي لعبته دول البلطيق على الحرب الروسية الأوكرانية المدافعة ليس فقط على كيانها وأمنها واستقرارها الداخلي بل على المنطقة برمتها، فهي خط الدفاع الأول على أوروبا، وخط الالتماس الأمامي لحلف شمال الأطلسي (الناتو) مع الخطر الروسي الذي يحاول إعادة سيطرته على المنطقة وبسط نفوذه من جديد، وبذلك فإن دول البلطيق تحولت من دول صغرى إلى لاعبين وفاعلين مؤثرين في المنطقة، كما أن هذه الدراسة ستحلل الانعكاس الذي أحدثه هذه الحرب على دول البلطيق التي تحاول تغيير مجريات الحرب لصالح الجار الأوكراني.

1-2. الدراسات السابقة:

1-2-1) دراسة: Tomas Kacerauskas بعنوان:" Looking at the Russian-Ukrainian War from Lithuanian point of view: Ideology, media and the 'Russian world" :

ركزت هذه الدراسة على الحرب الروسية الأوكرانية وردود أفعالها في ليتوانيا من جانب صراع الأيدولوجيات والإعلام، وتوصلت الدراسة إلى النتائج الاتية:

1) لا يوجد مجتمع يخلو من أيدولوجية تشكل وهذه الأيديولوجية تشكل هوية مجتمع مختلف عن المجتمعات الأخرى.

2) يؤدي صراع الأيدولوجيات إلى صراع سياسي وحرب.

3) هناك أيدولوجيات ناعمة وصارمة، وخلال الحرب تتحول الأيدولوجيات الناعمة إلى صارمة ونتيجة لذلك يزداد الصراع.

2-2-1) دراسة: Maris Andzans بعنوان:" Small Powers, Geopolitical Crisis and Hypersecuritisation: Latvia and the Effects of Russia's Second War in Ukraine" :

ركزت هذه الدراسة على تأثير الحرب الروسية الأوكرانية على (لاتفيا) من الناحية الأمنية باعتبارها من القوى الصغرى في المنطقة، وتوصلت الدراسة إلى النتائج الاتية:

1) اتساع نطاق الجهات الأمنية التي سخرتها لاتفيا لحمايتها من التهديد الروسي لتشمل الجهات الحكومية وغير الحكومية من وسائل إعلام وشركات خاصة وأفراد المجتمع المدني.

2) وصفت لاتفيا روسيا بأنها تهديد وجودي للدولة والمجتمع اللاتفي على الرغم من وجود شرائح في المجتمع اللاتفي ناطقة بالروسية.

1-2-3) دراسة: Viljar Veebel بعنوان:" The War in Ukraine: Estonia and European Strategic Autonomy Responding to Russia" :

ركزت هذه الدراسة على كيفية مواجهة إستونيا والاتحاد الأوروبي للغزو الروسي لأوكرانيا من منظور استراتيجي، وتوصلت الدراسة إلى النتائج الاتية:

1) لا تتوقع إستونيا تحقيق نتائج سريعة لأوكرانيا ضد الغزو الروسي في ظل غياب دعم باقي دول الاتحاد الأوروبي وحلف الناتو.

2) تأمل إستونيا أن تضعف الحرب الروسية الأوكرانية من قدرات روسيا وتستزفها بحيث تكون في مأمن من أي تهديد محتمل هي وباقي دول البلطيق لثلاث سنوات قادمة.

1-3.التعقيب على الدراسات السابقة:

ركزت الدراسة الأولى على الحرب الروسية الأوكرانية وردود أفعالها في ليتوانيا من جانب صراع الأيدولوجيات والإعلام، وركزت الدراسة الثانية على تأثير الحرب الروسية الأوكرانية على (لاتفيا) من الناحية الأمنية باعتبارها من القوى الصغرى في المنطقة، في حين ركزت الدراسة الثالثة على كيفية مواجهة إستونيا والاتحاد الأوروبي للغزو الروسي لأوكرانيا من منظور استراتيجي، بينما ركزت هذه الدراسة على تأثير دول البلطيق الثلاث (إستونيا، لاتفيا، ليتوانيا) على الحرب الروسية الأوكرانية ومجرياتها على أرض الواقع من كل جوانبها السياسية والدبلوماسية والاقتصادية والعسكرية والأمنية الإنسانية والاجتماعية، وانعكاسات وتأثيرات هذه الحرب عليها من النواحي الاقتصادية والأمنية والاجتماعية.

1-4.مشكلة الدراسة:

منذ بدء العزو الروسي لأوكرانيا سارعت دول البلطيق (إستونيا، لاتفيا، ليتوانيا) إلى تقديم كل وسائل الدعم السياسية والاقتصادية والعسكرية والإنسانية لأوكرانيا؛ تخوفاً من التهديد الأمني الذي طال المنطقة عموماً ودول البلطيق خصوصاً والمرتبط بالتوسع الروسي في شرق أوروبا وإعادة الهيمنة الروسية على المنطقة من جديد، كما ان هذا الغزو كانت له عدة انعكاسات على دول البلطيق من النواحي الاقتصادية والأمنية والعسكرية بالإضافة إلى الجانب الاجتماعي، لذلك فإن مشكلة الدراسة تسلط الضوء على تأثير دول البلطيق على الحرب الروسية الأوكرانية وانعكاسات هذه الحرب عليها من خلال الإجابة على التساؤل الرئيسي الاتي:

ما هو تأثير دول البلطيق (إستونيا، لاتفيا، ليتوانيا) على الحرب الروسية الأوكرانية وما هي انعكاسات هذه الحرب عليها؟

ومن التساؤل الرئيسي يبثق مجموعة من الأسئلة الفرعية الاتية:

- ما هو تأثير دول البلطيق من الجانب السياسي والدبلوماسي على الحرب الروسية الأوكرانية؟
- ما هو تأثير دول البلطيق من الجانب الاقتصادي على الحرب الروسية الأوكرانية وانعكاسات الحرب عليها من الناحية الاقتصادية؟
- ما هو تأثير دول البلطيق من الجانب العسكري والأمني على الحرب الروسية الأوكرانية وانعكاسات الحرب عليها من الناحية العسكرية والأمنية؟
- ما هو تأثير دول البلطيق من الجانب الإنساني والاجتماعي على الحرب الروسية الأوكرانية وانعكاسات الحرب عليها من الناحية الاجتماعية؟

1-5.فرضية الدراسة:

وضعت هذه الدراسة فرضية مفادها: "دول البلطيق الثلاث (إستونيا، لاتفيا، ليتوانيا) كان لها تأثير كبير وواضح على مجريات الحرب الروسية الأوكرانية من جوانبها المختلفة، وبنفس القدر من التأثير كانت لهذه الحرب انعكاسات بالغة عليها مست اقتصادها وأمنها وأحدث شرخاً اجتماعياً داخلها"

1-6.أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى تحقيق الاتي:

1) التعرف على التأثير الذي أحدثه دول البلطيق من الجوانب السياسية والدبلوماسية على الحرب الروسية الأوكرانية.

2) التعرف على التأثير الاقتصادي لدول البلطيق على الحرب الروسية الأوكرانية ومدى انعكاس الحرب عليها من الناحية الاقتصادية.

3) التعرف على التأثير العسكري والأمني لدول البلطيق على الحرب الروسية الأوكرانية ومدى انعكاس الحرب عليها من نفس الجانب.

4) التعرف على حجم التأثير الإنساني والاجتماعي لدول البلطيق على الحرب الروسية الأوكرانية وانعكاس هذه الحرب على التركيبة الاجتماعية لتلك الدول.

1-7.أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة من الناحية العلمية في كونها تبحث في تأثير دول صغرى كدول البلطيق في حرب تخوضها دولة كبيرة وفاعلة في النظام الدولي كروسيا، والتي كانت تُخضع دول البلطيق وأوروبا الشرقية تحت سيطرتها وسلطانها ضمن الاتحاد السوفيتي السابق، ومدى قدرة هذه الدول في التأثير على مجريات الحرب والتغيير فيها رغم انعكاسات هذه الحرب عليها وأثارها التي لحقت بها.

أما من الناحية العملية فإن الدراسة تقدم تحليلاً إستراتيجياً لصناع القرار والباحثين والاكاديميين لمدى التغيير الذي يمكن أن يحدثه العمل الجماعي المنظم للدول في مواجهة خطر يمس وجودها وبقائها ومحيطها الإقليمي مهما كان حجم هذا الخطر وقوته، والقدرة على التكيف والتعامل مع كل التحديات التي تواجهها في سبيل الحد من هذا الخطر وتمدده.

1-8.مصطلحات الدراسة:

يمكن تحديد مصطلحات الدراسة في الاتي:

1-8-1) التأثير: يعرف التأثير لغةً كما جاء في كتاب (لسان العرب) لابن منظور على أنه " إبقاء الأثر في الشيء، وأثر في الشيء ترك فيه أثراً، والآثارُ الأعلام، و الأثيرةُ من الدواب العظيمة الأثر في الأرض بخفها أو حافرها" ، أما اصطلاحاً فهو "فعل انتقائي و اختياري ينشد التغيير، و الحفاظ على الجوهر في الآن ذاته" .

1-8-2) دول البلطيق: هي دول أوروبية وتضم (إستونيا، لاتفيا، ليتوانيا) وتطل على الشواطئ الشرقية لبحر البلطيق، وهي عضو في الاتحاد الأوروبي وحلف شمال الأطلسي .

1-8-3) الحرب الروسية الأوكرانية: يمكن تعريفها إجرائياً على أنها: (الحرب التي بدأتها روسيا بشن هجوم مسلح على أوكرانيا في 24 فبراير 2025م ولاتزال مستمرة بين الطرفين).

1-9.مناهج ومداخل الدراسة:

تعتمد الدراسة بشكل أساسي على المنهج الوصفي التحليلي؛ وذلك لوصف وتحليل التأثير الذي أحدثه دول البلطيق على مجريات الحرب الروسية الأوكرانية من جوانبها السياسية والاقتصادية والعسكرية والأمنية بالإضافة إلى جوانبها الإنسانية والاجتماعية، وما تبع ذلك من انعكاسات على تلك الدول جراء الحرب مس أمنها واقتصادها وتركيبتها الاجتماعية، كما تم استخدام المحل التاريخي في هذه الدراسة لتتبع الاحداث التاريخية منذ بدء العزو الروسي لأوكرانيا.

.10-1حدود الدراسة:

تم تحديد الحدود المكانية والزمانية للدراسة في الاتي:

(1الحدود المكانية: تتمثل الحدود المكانية للدراسة في دول البلطيق الثلاث (إستونيا، لاتفيا، ليتوانيا.(

(2الحدود الزمانية للدراسة: تبدأ الحدود الزمانية للدراسة من بدء الغزو الروسي لأوكرانيا في 24 فبراير 2022م وتنتهي بانتهاء الدراسة في 2025م.

.11-1تقسيم الدراسة:

* الجانب السياسي والدبلوماسي.
* الجانب الاقتصادي.
* الجانب العسكري والأمني.
* الجانب الإنساني والاجتماعي .

.1-2الجانب السياسي والدبلوماسي:

كانت دول البلطيق الثلاث جزءاً من الاتحاد السوفيتي، حيث ثم تجريد هذه الدول من استقلالها عام 1940م وضمها إلى الاتحاد السوفيتي كخط دفاع يفصل بين الاتحاد وأوروبا الغربية، واستقلت دول البلطيق بعد انهيار الاتحاد السوفيتي عام 1991م، حيث حصلت هذه الدول على الاستقلال الكامل، كما أنها رفضت الانضمام إلى رابطة الدول المستقلة عن الاتحاد السوفيتي (كومنولت الاتحاد السوفيتي)، فشكل هذا الرفض مصدر قلق لروسيا وتهديداً سياسياً واقتصادياً وعسكرياً، خصوصاً أن توجه دول البلطيق يميل إلى الفكر الغربي المناوئ لروسيا.

في أبريل عام 2022م اتجه رؤساء دول البلطيق الثلاث إلى عاصمة الأوكرانية (كييف)، حيث قادوا مبادرة دبلوماسية لمساعدة أوكرانيا في صد العدوان الروسي عليها ، يمكن تفسير التضامن الذي قدمته دول البلطيق لأوكرانيا على أنه قائم على البنائية، حيث أن تلك الدول تتشارك في نضالها من أجل الاستقلال والخروج من العباءة الروسية ولديها ذكريات زاخرة بالهزيمة السوفيتية، كما أنها تتشارك الهويات والالتزام بالمثل الأوروبية كالديمقراطية وحقوق الانسان وسيادة القانون.

تشترك (استونيا) مع روسيا في حدودها، حيث أنها استقلت عن الاتحاد السوفيتي بعد تفككه في عام 1991م، وعند استقلال أوكرانيا كانت (إستونيا) من أوائل الدول التي اعترفت بها، حيث أنها اعترفت بأوكرانيا في 9 ديسمبر 1991م، وفي 4 يناير 1992م بدأت علاقات دبلوماسية رسمية بين البلدين حيث فتحت أوكرانيا سفارة لها في (إستونيا) عام 1993م تدشيناً لتطور العلاقات بينهما.

يساند النظام السياسي في (إستونيا) النظام الاوكراني، ويصف تصرفات روسيا بالعدوانية، كما أعلن البرلمان الإستوني أنه صنف النظام الروسي بالنظام الإرهابي في 18 أكتوبر 2022م؛ وذلك بسبب العزو الروسي لأوكرانيا الذي وصفه بغير القانوني، وأكد البرلمان دعمه الكامل لأوكرانيا ووحدة أراضيها.

قدمت (إستونيا) دعماً قوياً لأوكرانيا على الصعيدين السياسي المحلي والدولي، حيث ألتقى وزير الخارجية الإستوني (أورماس رينسالي) مع السيدة (روز ماري ديكارلو) وكيلة الأمين العام للأمم المتحدة في نيويورك؛ وذلك لدعم أوكرانيا ضد العزو الروسي من خلال جمع الجهود الدولية لتحميل روسيا المسؤولية القانونية عن الأعمال الإجرامية في أوكرانيا، كما ساهمت (إستونيا) مع دول البلطيق في حت الإتحاد الأوروبي والولايات المتحدة لإنشاء محكمة لمحاكمة القادة الروسيين السياسيين والعسكريين المتورطين في الغزو الروسي لأوكرانيا، كما أعلن البرلمان الإستوني في أكتوبر 2022م النظام الروسي (نظاماً إرهابياً)، وأعلن وزير الخارجية الأستوني أن 300 ألف روسي دخلوا البلاد خلال الفترة من فبراير إلى أغسطس 2022م، وتخوفاً من هذه الموجة الكبيرة لحركة المواطنين الروس إلى (أستونيا) فرضت الحكومة الأستونية حظراً على دخول الروس إلى أراضيها.

بعد بدء الغزو الروسي لأوكرانيا في 24 فبراير 2022م قررت دولتا (ليتوانيا ولاتفيا) تقليص حجم العلاقات الدبلوماسية مع روسيا، حيث طلبتا من سفيري روسيا لدى البلدين المغادرة، كما طردت (ليتوانيا) أربعة دبلوماسيين روس و(لاتيفيا وإستونيا) ثلاثة دبلوماسيين أخرين كجزء من التضامن لهذه الدول مع أوكرانيا.

أدانت (لاتفيا) الغزو الروسي لأوكرانيا، حيث صرح سفيرها في اجتماع للأمم المتحدة في (جنيف) بتاريخ 3 مارس 2022م أن استخدام روسيا للقوة ضد أوكرانيا يعد انتهاكاً للقانون الدولي، كما وصف البرلمان (اللاتفي) هذا العدوان بأنه "عمل دولة راعية للإرهاب"، واعتبرت (لاتفيا) ما تقوم به روسيا بأنه "إبادة جماعية مستهدفة ضد الشعب الاوكراني"، كما قامت (لاتفيا) بإيقاف دخول المواطنين الروس إلى أراضيها والحاملين لتأشيرة (شنغن)، مما أثار غضب موسكو وأدانت هذا الفعل، حيث جاء الرد على لسان وزيرة الخارجية الروسية (ماريا زاخاروفا) التي اعتبرت هذا التصرف "كراهية أجانب بدائية. "

أعلنت (لاتفيا) في نهاية عام 2023م أنها بصدد طرد حوالي 1000 مواطن روسي بدواعي عدم استيفائهم لمتطلبات قانون الهجرة في البلاد، وكرد على هذا الإعلان هدد الرئيس الروسي (بوتين) لاتفيا من عواقب هذا الإعلان الذي اعتبرته روسيا بحسب وصفها (التسوية النهائية للقضية الروسية) ، ووصف البرلمان في (لاتفيا) الحرب الروسية الأوكرانية بأنها حرب إبادة يمارسها النظام الروسي على الشعب الاوكراني.

كثفت (ليتوانيا) من جهودها الدبلوماسية لدعم أوكرانيا ضد العزو الروسي، حيث صرح وزير خارجيتها خلال اجتماع للدول الاسكندنافية والبلطيق في 6 سبتمبر 2022م : "أن على العالم الديمقراطي تقديم الدعم السياسي والاقتصادي والإنساني والعسكري لأكرانيا والضغط على روسيا لأنهاء عدوانها ضد أوكرانيا"، واصدر البرلمان الليتواني تشريعاً يحظر على الفعاليات الروسية والبلاروسية في أراضيها، كما حظرت محطات تلفزيونية وإذاعية يديرها رعايا روس أو بيلا روسيين، وأصدرت قرار يقضي بمنع اصدار التأشيرات للروس وبيلا روسيين، وفي 29 مارس 2022م أصدرت الحكومة الليتوانية قرار بسحب السفير الليتواني من روسيا وطردت موظفي السفارة الليتوانية، كما استدعت السفير الروسي لدى (ليتوانيا) (اليكسي ايسلكوف) وأبلغته احتجاجها الشديد على العزو العسكري الروسي الشامل لأوكرانيا، بالإضافة إلى حرمان الدبلوماسيين الروس من اصدار تأشيرات لدخول دول الإتحاد الأوروبي.

2-2. الجانب الاقتصادي:

تأثرت دول البلطيق (ليتوانيا، لاتفيا، استونيا) بالحرب الروسية الأوكرانية بشكل كبير في شتى المجالات وأهمها الطاقة، فقد شهدت هذه الدول ضعف في امدادات الطاقة التي كانت تورد من روسيا؛ مما أدى إلى ارتفاع تكاليف الطاقة على تلك الدول، وسعت دول

البلطيق جاهدة إلى تحقيق استقلالية عن الاعتماد على روسيا في مجال الطاقة من خلال استكشاف مصادر بديلة للطاقة، لكن هذا الأمر انعكس اقتصادياً على تلك الدول بسبب تكاليف الطاقة البديلة، كما شهدت تلك الدول تضخم في اقتصاداتها.

وفي إبريل 2022م أوقفت (ليتوانيا) كل امدادات الغاز الروسي إليها، مما أدى إلى ارتفاع أسعار الطاقة في البلاد بنحو 40%، حيث اتخذت (ليتوانيا) بعدها قراراً يقضي بإنشاء محطة للغاز الطبيعي المسال كبديل لإمدادات الغاز الروسي ، وفرضت (ليتوانيا) عقوبات اقتصادية على روسيا حيث أعلن رئيسها (جيتاناس نوسيدا) أن الغاز الروسي لم يعد موجوداً في (ليتوانيا) بعد الغزو الروسي لأوكرانيا، كما رفضت (ليتوانيا) الدفع بالروبل مقابل أي واردات روسية إليها كجزء من العقوبات المفروضة على روسيا ، كما صرح وزير الطاقة الليتواني (داينيوس كريفيس) قائلاً:"اليوم لا تدفع ليتوانيا فلساً واحداً لروسيا مقابل موارد الطاقة"، وتعمل (ليتوانيا) على تحشيد الجهود الأوروبية لمقاطعة الغاز والنفط الروسي.

وفي أكتوبر 2022م وافق البرلمان اللاتفي على حظر تدفقات الكهرباء التي تأتي من روسيا، والعمل على إغلاق شبكة (BRELL) خلال الثلاث سنوات القادمة ، وفي عام 2023م اتخذت دول البلطيق قراراً بفصل فك الارتباط الكهربائي بروسيا بحول عام 2025م تماماً، كما وضعت خطة طوارئ في حال الجانب الروسي بفصل هذه الدوائر من جانب واحد قبل هذا الموعد.

نتيجة للحرب الروسية الأوكرانية تدفع دول البلطيق تكاليف اقتصادية واجتماعية باهظة، حيث أن متوسط معدل نمو الناتج المحلي الإجمالي انخفض من 5.0% في عام 2021م إلى 1.6% في عام 2022م، كما أن التضخم ارتفع بشكل حاد في عام 2022م، ووافق الاتحاد الأوروبي على دعم (لاتفيا) بحوالي 181 مليون يورو؛ وذلك لدعم الشركات والتخفيف من أثار الحرب الروسية الأوكرانية عليها.

تأثرت دول البلطيق بموجة النزوح الأوكرانية وكان لهذه الموجة انعكاساً سلبياً على اقتصاديها وأنظمتها الصحية وبنيتها التحتية، حيث يتطلب التعامل مع تلك الازمة جهداً أكبر في مجالات التعليم والرعاية الصحية والخدمات الاجتماعية التي ينبغي توفيرها للاجئين الأوكرانيين.

بسبب اعتماد (إستونيا) على التجارة الدولية وامدادات الطاقة الروسية تأثرت بشكل كبير جراء الحرب الروسية الأوكرانية، حيث صرح البنك الإستوني أن هذه الحرب ستؤثر على الاقتصاد بسبب تعطل طرق التجارة والموانئ وصعوبة التوريدات، وان هذه الاضطرابات ستزيد التضخم في البلاد وستلحق بالاقتصاد الإستوني بشكل كبير.

فرضت دول البلطيق عقوبات اقتصادية قاسية على روسيا وذلك بالتعاون مع الاتحاد الأوروبي، كما دعت أوروبا لفرض المزيد من العقوبات على روسيا وعزلها سياسياً واقتصادياً، وأعلن رئيس الوزراء اللاتفي (دينيس شمهال) أنه يجب حظر روسيا من نظام (سويفت) وتطبيق جملة من العقوبات عليها ضمن تصرف جماعي من قبل الاتحاد الأوروبي ، بالإضافة إلى قيام قطاع التجارة الخاص في (لاتفيا) بسحب المنتجات الروسية من الأسواق ، في حين سعت موسكو إلى استغلال المؤيدين لها في دول البلطيق من مجموعات الأعمال التجارية لإضعاف القوى التي تدعو إلى فرض عقوبات شديدة على روسيا من قبل الاتحاد الأوروبي.

مددت الحكومة الليتوانية العقوبات المفروضة على روسيا في فبراير 2022م والتي شملت على تجميد أصول الرئيس الروسي ورئيس الوزراء ووزير الخارجية وأعضاء مجلس الدوما الروسي، بالإضافة إلى تطبيق عقوبات مالية تقيد وصول روسيا إلى أسواق رأس المال الحيوية وتمنع المواطنين الروس من الإيداع في البنوك الأوروبية بقيم محدودة، وحظر تصدير واستيراد كل السلع والخدمات من وإلى روسيا، والتي تشمل تكرير النفط والتكنولوجيا والطيران.

2-3.الجانب العسكري والأمني:

دول البلطيق هي دول أوروبية انظمت على حلف شمال الأطلسي (الناتو) في 29 مارس 2004م ، وترى دول البلطيق الغزو الروسي لأوكرانيا تهديداً مباشراً للتوازن الإقليمي، وبسبب التجاور الجغرافي لهذه الدول مع روسيا فاقم من مخاوفها الأمنية المرتبطة بالتوسع الروسي في شرق أوروبا ، حيث تعلم دول البلطيق جيداً أنها لا تستطيع وحدها الدفاع عن نفسها ضد أي هجوم روسي محتمل دون العمل تحت راية الإتحاد الأوروبي وحلف شمال الأطلسي.

سعت دول البلطيق إلى حصول أوكرانيا على وعود ملموسة للانضمام للناتو قبل قمة الحلف في (فيلنيوس) خلال شهر يوليو 2023م، إلان رفض كلاً من الولايات المتحدة وألمانيا أفشل وجهود دول البلطيق في الحصول على الوعود لانضمام أوكرانيا إلى حلف الناتو.

في استفتاء للرأي أجراه معهد البلطيق للتكنولوجيا المتقدمة على قرابة 1306 من المواطنين الليتوانيين أظهر أن 18% فقط منهم بأن ليتوانيا معرضة للخطر من هجوم لدولة أخرى، بينما 71% منهم يعتقد أن حلف الناتو سيدافع عن ليتوانيا ضد أي غزو خارجي، بالتالي فهي في مأمن من أي غزو روسي محتمل على أراضيها.

منذ بداية الغزو الروسي لأوكرانيا شعرت دول البلطيق بالخطر الذي قد يصل إليها في أي لحظة، فعززت من قدراتها ودفاعاتها العسكرية، وأعطت الأولوية لتطوير ودعم منظوماتها الدفاعية الجوية، بالإضافة إلى زيادة كفاءة أنظمتها السيبرانية، حيث دعت حلف الناتو إلى توسيع تواجده في المنطقة، كما طلبت تواجد دائم لقوات (الناتو) على أراضيها، حيث شهدت دول البلطيق إعادة نشر وتموضع لقوات حلف شمال الأطلسي على أراضيها، بالإضافة إلى إقامة تدريبات بحرية ونشر لمعدات عسكرية تحسباً لأي عدوان روسي على أراضيها، كما أنها أبدت موقفاً واضحاً من العزو الروسي لأوكرانيا الرافض له، ودعت إلى فرض عقوبات على روسيا

.

منذ فبراير 2022م نشرت الولايات المتحدة الامريكية أعداد إضافية لقواتها تقدر بحوالي 15 ألف جندي إضافي في منطقة البلطيق وبولندا ورومانيا، كما أضافت المملكة المتحدة ألف جندي في إستونيا وبولندا، كما نشر حلف شمال الأطلسي عدد 130 طائرة و 41 سفينة حربية وعدد من حاملات الطائرات في منطقة دول البلطيق ، واستضافت (لاتفيا) مناورات تدريبية لدول حلف شمال الأطلسي ضمت قوات برية وجوية وبحرية أطلق عليها أسم (السهم الفضي)، حيث شارك فيها 4200 جندي من دول الحلف.

زادت دول البلطيق من الانفاق العسكري لأغراض الدفاع، وذلك استعداداً لأي غزو روسي محتمل لأراضيها ، حيث زادت (لاتفيا) من ميزانيتها الدفاعية في عام 2022م بقيمة إجمالية قدرها 758 مليون يورو، أي 2.2% من الناتج المحلي الإجمالي، كما أنها تخطط لزيادتها تدريجياً على مدى ثلاث سنوات ، كما أنها زادت من أنفاقها العسكري منذ بداية عام 2025م إلى 2.5% من الناتج المحلي الإجمالي، أي أكثر من 1.1 مليار يورو ، في حين زادت (ليتوانيا) من الإنفاق الدفاعي بمعدل 2.5% من ناتجها الإجمالي، حيث قامت بزيادة 300 مليون يورو إلى إنفاقها العسكري من احتمالية زيادة هذه القيمة بحلول عام 2030م، كما أعلن وزير الدفاع (الإستوني) أن بلاده ستزيد ميزانيتها الدفاعية العام ابتداءً من عام 2023م بنسبة 42%، مما يعني 3% من ناتجها الإجمال المحلي.

كونت (لاتفيا) جيشاً من المتطوعين قوامه 7100 جندي بعد الحرب الروسية الأوكرانية، كما قامت بزيادة عدد أفراد الحرس الوطني إلى 10 الاف جندي في نهاية عام 2022م، كما انها تسعى لشراء ثمانية أنظمة من نوع (HIMARS) و (ATACMS) بقيمة 500 مليون يورو ، وأعادت التجنيد الاجباري تدريجياً اعتبارا من عام 2023م؛ وذلك ضمن استراتيجية دفاع انتهجتها (لاتفيا) بسبب تزايد الشعور بالتهديد الروسي.

قامت (استونيا) بتقديم دعم كبير من المعدات العسكرية المختلفة لصد الغزو الروسي على أوكرانيا ، حيث تبرعت بحوالي 40% من ميزانيتها العسكرية لدعم أوكرانيا، أي حوالي 0.8% من ناتجها المحلي، وساهمت في دعم أوكرانيا في صد الهجمات السيبرانية الروسية على الحكومة الأوكرانية، كما وقعت مع أوكرانيا مذكرة تعاون لتعزيز الخبرات في المجال الرقمي والأمن السيبراني في 18 سبتمبر 2022م ، وبلغ مجموع المساعدات التي قدمتها (استونيا) إلى أوكرانيا حوالي 230 مليون يورو، اشتملت على 3000 منصة لأطلاق الصواريخ، وصواريخ (جافلين) التي تستخدم كمضادات للدروع، بالإضافة إلى مدافع (هاوتزر)، وقاذفات قنابل وأنظمة مضادة للدبابات، وكاسحات ألغام ومجموعة من المعدات العسكرية المختلفة الأخرى، كما قدمت (لاتفيا) دعم عسكري لأوكرانيا يشمل على المعدات العسكرية المختلفة، وذخيرة بقيمة حوالي 200 مليون يورو ، بالإضافة إلى مساعدات عسكرية تقدر قيمتها بحوالي ثلث ميزانيتها للدفاع، شملت أنظمة (ستيجر) المضادة للطائرات، وطائرات مقاتلة من طيراز (مي – 71)، ومدافع هاوتزر، كما دعمت (ليتوانيا) أوكرانيا دعماً عسكرياً كبيراً، حيث قدمت مركبات ومدافع هاوتزر وأسلحة مضادة للدبابات ومدافع هاون وأنظمة دفاع جوي وطائرات (سترينجر)، إلا أن وصل الحال بليتوانيا أنها لم تعد تمتلك من الأسلحة إلا يأمنها من أي اعتداء روسي محتمل فقط

.

في 11 يوليو 2023م عقد حلف شمال الأطلسي (الناتو) اجتماع قمة في العاصمة الليتوانية (فيلنيوس) بحضور الرئيس الأمريكي الأسبق (جو بايدن)، ويعد هذا الاجتماع تاريخياً؛ لأنه يمثل نقطة استراتيجية بين الغرب وروسيا، حيث تظل دول البلطيق فاعلاً أساسياً في الحرب الروسية الأوكرانية بما تقدمه لأوكرانيا من دعم، وفي تصريح لرئيسة الوزراء الاستونية (كايا كالاس) بخصوص الغزو الروسي لأوكرانيا قائلة: "قبل ثمانية عشر عاماً بالضبط انضممنا إلى حلف (الناتو) وهو ما أحدث فرقاً كبيراً، لم تتعرض أي دولة عضو في (الناتو) لهجوم قط، لا نرى أي تهديد عسكري، ونشعر بالأمان، وفي الوقت نفسه، نناقش أيضاً في حلف (الناتو) تعزيز الدفاع، لأنه إذا كان لدينا جاراً عدوانياً كهذا ويغزو بوضوح دولاً مجاورة، فيجب تعزيز ردعنا أيضاً. "

رصدت دول البلطيق منذ خريف 2023م تحركات ونشاط لأعمال استخباراتية روسية، حيث ثم ضبط مجموعة من ذوي السوابق وبعضاً ممن يواجهون ضائقة مالية استخدمتهم روسيا للقيام بأعمال تخريب وزعزعة الأمن والاستقرار في تلك الدول ، كما وقعت في (لاتفيا) العديد من عمليات التخريب والاعتداء على مؤيدي أوكرانيا من قبل جماعات مؤيدة للنظام الروسي وهم من الناطقين بالروسية في لاتفيا ، وتعرضت (لاتفيا) لهجمات سيبرانية من جهات مدعومة من روسيا مما أدى إلى انقطاعات كبيرة في الخدمات التي تقدمها القطاعات الحكومية والخاصة ، وتم القبض في (لاتفيا) على مجموعة تدعى (مناهضو الفاشية البلطيقية) في أكتوبر عام 2023م لقيامها بأعمال ضد الامن القومي اللاتفي ومرتبطين بالمخابرات الروسية، واستولت السلطات في (لاتفيا) على منزل في (ريغا) في أوائل عام 2024م، كانت تعمل فيه منظمات وجمعيات مدعومة من روسيا لتهديد الامن في (لاتفيا)، كما ضبط الامن الداخلي الإستوني في أوائل عام 2024م أستاذاً جامعياً روسياً كان يعمل في جامعة (تارتو) متورط في أعمال استخباراتية ضد (إستونيا)، وتم ضبط مجموعة من الأشخاص قاموا بالتنسيق مع المخابرات الروسية للقيام بأعمال تخريب و اعتداءات جسدية على المواطنين في (إستونيا)، وذلك في أبريل عام 2024م، كما تم ضبط 13 شخصاً تابعين للمخابرات الروسية قاموا بالاعتداء على سيارة وزير الداخلية الإستوني، وتعرض الحليف المقرب لزعيم المعارضة الروسية (ليونيد فولكوف) لهجوم في منزله في (ليتوانيا) ، كما تعرضت في 9 مارس 2024م دول البلطيق لهجمات سيبرانية روسية، حيث تم حجب الخدمة الموزعة (DDOS) المرتبطة بهيئة الضرائب والشرطة وحرس الحدود والجمارك ووزارة العدل.

2-4.الجانب الإنساني والاجتماعي:

منذ بداية الغزو الروسي لأوكرانيا قدمت دول البلطيق مساعدات إنسانية ومالية كبيرة لأوكرانيا، وساعدت في إعادة تعمير المباني الحيوية المتضررة، ودعم المشاريع، وتقديم الخدمات الإنسانية، ودعم منظمات المجتمع المدني الاوكراني.

انفقت (لاتفيا) حوالي 900 ألف يورو لدعم الحكومة الأوكرانية، كما خصصت 116 مليون يورو لدعم اللاجئين الأوكرانيين ، وقدمت (إستونيا) مساعدات تقدر بحوالي 20 مليون يورو لأوكرانيا مقدمة من الحكومة والقطاع الخاص وتبرعات الشعب ، كما تبرعت (إستونيا) أيضاً بمعدات ومواد طبية ومستشفيات ميدانية ، والجدول التالي يوضح حجم المساعدات التي قدمتها دول البلطيق لأوكرانيا حسب الناتج المحلي الإجمالي مقارنة بدول الاتحاد الأوروبي والمملكة المتحدة و الولايات المتحدة:

جدول رقم (1)

(حجم المساعدات التي قدمتها دول البلطيق لأوكرانيا مقارنة بدول الاتحاد الأوربي بحسب الناتج المحلي الإجمالي)[1]

الدولة	حجم المساعدات بحسب الناتج المحلي الإجمالي (نسبة مئوية)
لاتفيا	%0.9
أستونيا	%0.8
بولندا	%0.5
ليتوانيا	%0.4
النرويج	%0.4
سلوفاكيا	%0.2
التشيك	%0.2
الولايات المتحدة	%0.2
المملكة المتحدة	%0.2

استقبلت (لاتفيا) ما يقارب 32 ألف لاجئ أوكراني على أراضيها، كما أصدرت لما يقارب 25 ألف لاجئ وثائق إقامة مع حق العمل، ووفرت لهم مساعدات مالية تقدر بقيمة 500 يورو للشخص الواحد مع توفير الطعام والخدمات الصحية لهم، بالإضافة إلى توفير وسائل للنقل العام مجانية ، واستقبلت (إستونيا) أكثر من 60 ألف نازح من أوكرانيا منذ بدء الغزو الروسي، وبالرغم من الظروف الداخلية الصعبة في (ليتوانيا) إلا أنهم لم يتوفقوا عن دعم أوكرانيا، حيث استقبلوا أكثر من 70 ألف لاجئ أوكراني ، كما عرض العديد من المواطنين الليتوانيين منازلهم لإيواء النازحين الأوكرانيين.

يجب معالجة التوترات الاجتماعية الموجودة مسبقاً في (إستونيا) إذا ما أرادت توطين اللاجئين الأوكرانيين فيها، فما يقارب ربع سكان (إستونيا) من أصول روسية ولا يزال الكثير منهم يميل بالولاء إلى روسيا مما قد يسبب شرخاً اجتماعياً في (إستونيا)، وتعمل روسيا بشكل كبير على جذب هؤلاء الفئة إليها من خلال القنوات الإعلامية الروسية، في المقابل تعمل (إستونيا) على تأهيل الشباب الإستونيون الناطقين بالروسية لتعليمهم اللغة الإستونية وحصولهم على الجنسيات تلقائياً ، كما تعاني (لاتفيا) من تركيبة عرقية معقدة جداً، حيث أن 24.4% روس و 1.3% بيلا روسيون و 2.2% أوكرانيون، مما يجعلها عرضة لأي صراعات و انشقاقات داخلية نتيجة الحرب الروسية الأوكرانية ، والجدير بالذكر أن (إستونيا) و (لاتفيا) تضم أكبر عدد من المواطنين الروس في الاتحاد الأوروبي .

.5-2الخلاصة والنتائج:

[1] Ibid, p7.

أدركت دول البلطيق حجم التهديد الذي يواجهها منذ بدء الغزو الروسي لأوكرانيا، بحكم تجربتها السابقة أبان فترة خضوعها تحت هيمنة الاتحاد السوفيتي السابق، فسخرت كل امكانياتها لدعم أوكرانيا ضد هذا الغزو، حيث قامت بدور فاعل على كل الأصعدة السياسية والدبلوماسية والاقتصادية والعسكرية والأمنية والإنسانية والاجتماعية، فكان لهذا الدور التأثير الواضح على مجريات الحرب الروسية الأوكرانية، حيث قدمت دعماً سياسياً ودبلوماسياً قوياً لأوكرانيا، كما كانت داعم أساسي واستراتيجي لها، وفرضت حزمة كبيرة من العقوبات الاقتصادية على روسيا بالإضافة إلى حث الاتحاد الأوربي إلى فرض عقوبات مماثلة، وقدمت أسلحة ومعدات عسكرية ضخمة لأوكرانيا، كما استقبلت أعداد ضخمة من اللاجئين الأوكرانيين وقدمت لهم مساعدات إنسانية كبيرة.

كما كان لهذه الحرب انعكاسات كبيرة على دول البلطيق دفعت من خلالها تكاليف باهظة مست اقتصادها وأدت إلى ارتفاع مستويات التضخم لديها، بالإضافة إلى زيادة تكاليف الحصول على الطاقة، كما زادت من أنفاقها العسكري تخوفاً من أي تهديد عسكري وأمني محتمل يهدد وجودها، بالإضافة إلى الانعكاسات الاجتماعية لتلك الحرب التي صنعت شرخاً اجتماعيا داخلها بسبب التركيبة الداخلية لتلك الدول والتي لها امتدادات روسية تسببت في تهديد نسيجها الاجتماعي واستقرارها.

ومما سبق يمكن تلخيص نتائج الدراسة في النقاط الاتية:

(1على الصعيد السياسي والدبلوماسي قدمت دول البلطيق دعماً مكثفاً لأوكرانيا في حربها ضد روسيا وعملت على محاسبة المتورطين في هذا الغزو، كما قطعت العلاقات الدبلوماسية مع روسيا وطردت الدبلوماسيون الروس من أراضيها، وحتت الاتحاد الأوروبي على اتخاذ قرارات صارمة تجاه روسيا.

(2على الصعيد الاقتصادي فرضت دول البلطيق حزمة كبيرة من العقوبات الاقتصادية على روسيا ودفعت الاتحاد الأوربي إلى اتخاذ قرارات مماثلة، وفي المقابل تسببت هذه الحرب في أضرار اقتصادية لدول البلطيق أدت إلى تباطؤ نموها وارتفاع مستويات التضخم لها، وارتفاع تكاليف الحصول على مصادر الطاقة التي كانت تورد من روسيا.

(3على الصعيد العسكري والأمني قدمت دول البلطيق مساعدات عسكرية ضخمة لأوكرانيا، وزادت من انفاقها العسكري تحسباً لأي تهديد روسي محتمل، كما طالبت حلف الناتو من تعزيز تواجده في المنطقة وزيادة قواته على أراضيها، وفي المقابل تعرضت دول البلطيق إلى هجمات سيبرانية وأنشطة تخريبية روسية مست مؤسساتها العسكرية والمدنية.

(4على الصعيد الإنساني والاجتماعي استقبلت دول البلطيق أعداداً ضخمة من اللاجئين الأوكرانيين على أراضيها، وقدمت لهم المسكن والرعاية الصحية بالإضافة إلى مساعدات مالية وإعانات مقدمة من القطاع الحكومي والخاص وتبرعات المواطنين، كما وفرت لهم فرصاً للعمل على أراضيها، وفي المقابل أحدثت الحرب انعكاسات اجتماعية على تلك الدول وخصوصاً (إستونيا ولاتفيا)؛ بسبب أن أعداد كبيرة من سكانها أصوله روسية، ولا يزال الكثير منهم يميل بالولاء إلى روسيا مما قد يسبب شرخاً اجتماعيا.

قائمة المراجع

أولاً: المراجع العربية:

-ابن منظور، (2005) ، لسان العرب، ط4 ، بيروت: دار صادر للطباعة و النشر.

-الموسوعة البريطانية المحدودة، "دول البلطيق"، 2025، متاح على الرابط التالي www.britannica.com/place/Batic-states :

-صليحة بردي ، (2015)، مقاربة التأثير الأدبي في الدراسات المقارنة: بحث في المصطلح و المنهج ، الشلف: جامعة الشلف.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

- Andrey Makarychev, (2014), The Crisis in Ukraine and the Baltic Sea Region A Spillover of The Conflict, Ponars Eurasia Policy Memo No. 345 September.

- Dovile Budryte, (2023), 'A Decolonising Moment of Sorts': The Baltic States' Vicarious Identification with Ukraine and Related Domestic and Foreign Policy Developments, Central European Journal of International and Security Studies, Vol 17, Issue 4.

- Henrik Praks, (2024), Russia's hybrid threat tactics against the Baltic Sea region: From disinformation to sabotage, The European Centre of Excellence for Countering Hybrid Threats, Vol May.

- Leon Hartwell, and others, (2022), Winter is Coming: The Baltics and The Russia-Ukraine War, Lse Ideas.

- Maris Andzans, (2023), Small Powers, Geopolitical Crisis and Hypersecuritisation: Latvia and the Effects of Russia's Second War in Ukraine, Central European Journal of International and Security Studies, Vol 17, Issue 2.

- Nadeem Abbas, (2024), Russia Ukraine War and its Effect on Poland and Baltic State, Social Sciences Spectrum, Volume 03, Issue 04.

- Nindya Raihan Zani, and others, (2022), Analysis of The Response of The Baltic Countries to The Conflict Between Russia and Ukraine, Indonesian Journal of Multidisciplinary Science, Vol 1 (9), Juni.

- Saranya Antony, and others, (2023), A Glimpse of Baltic States over the Russia-Ukraine War, Bulletin of "Carol I" National Defence University, Vol 12 (4).

- Tomonori Yoshizaki, Hideaki Shinoda, (2025), The Impact of the Russo-Ukrainian War on NATO: Implications for the Strategic Concept of the Alliance, Editors: Hideaki Shinoda · Pavlo Fedorchenko-Kutuyev, Springer Briefs in International Relations.

- Tomas Kacerauskas, (2023), Looking at the Russian-Ukrainian War from Lithuanian point of view: Ideology, media and the 'Russian world', Connectist: Istanbul University Journal of Communication Sciences, Vol 65.

- Viljar Veebel, (2023), The War in Ukraine: Estonia and European Strategic Autonomy Responding to Russia, Military Academy of Lithuania: Lithuanian Annual Strategic Review, Vol 21.

الإقناعية البلاغية في خطابات حسن نصرالله وعبد الملك الحوثي

أحلام عبد الله محمد العجمي /جامعة صنعاء - كلية التربية- قسم الدراسات العربية - أدب ونقد

االمستخلص:

مما لا شك فيه أن البلاغة العربية تمثل جوهر الخطابة والإقناع، فهي اللسان الذي يعبر عن الأفكار والمشاعر بكل جمال ووضوح، وفي الخطابة لا يكفي أن تكون الأفكار عميقة ومهمة، بل يجب أن يُعبر عنها ببلاغة تجعل المستمعين يتفاعلون معها ويقتنعون بها.

وإن خطابات السيدين حسن نصر الله وعبد الملك الحوثي قد تميزت ببلاغة عالية، وخطاب مقاوم ضد العدو الصهيوني الأمريكي، وهذه الخطابات استطاعت أن تلهم جمهورها، وتقوي عزائمهم في مواجهات التحديات عامة معتمدة على الجماليات والأساليب البلاغية،" الزائدة على متطلبات التوصيل دون أن يوقع في الغموض والبعد عن التأثير والإقناع، ويمكن إرجاع جانب من ذلك إلى الصورة البيانية ابتداءً من النعوت والأوصاف إلى التشبيه والاستعارة والمجاز والكناية...وكما يرجع جانب منها إلى المقابلة بين المعاني (الطباق) واختيار الألفاظ المعبرة.

الكلمات المفتاحية: البلاغة العربية، الخطابة والإقناع، خطاب المقاومة، التعبير عن الهوية والمقاومة.

Abstract:

Undoubtedly, Arabic rhetoric represents the essence of oratory and persuasion, as it is the tongue that expresses ideas and feelings with all beauty and clarity. In oratory, it's not enough for ideas to be profound and significant; they must be expressed with eloquence that engages and convinces the audience.

The speeches of Sayyed Hassan Nasrallah and Abdul-Malik Al-Houthi have been distinguished by high eloquence, and a resistant discourse against the Zionist-American enemy. These speeches have been able to inspire their audience and strengthen their resolve in the face of challenges, relying on aesthetic and rhetorical devices, exceeding the requirements of communication without falling into ambiguity or diminishing impact and persuasion. This can be attributed to the use of figurative language, starting from attributes and descriptions to simile, metaphor, allegory, and metonymy... as well as the use of contrast between meanings (antithesis) and the selection of expressive words".

Keywords: Arabic rhetoric, oratory and persuasion, resistance discourse, expression of identity and resistance.

المقدمة: البلاغة هي روح الخطابة، والإقناع هو ثمرة الإبداع، وفي خطابات السيدين حسن نصر الله وعبد الملك الحوثي، نجد أن البلاغة ليست مجرد أداة للتعبير، بل هي قوة إقناعية تستطيع أن تغير مسار الأحداث وتلهب مشاعر الجماهير، وفي هذا البحث ، سنحاول أن نكشف عن أسرار الإقناعية البلاغية في خطاباتهما، وتكمن مشكلة البحث في كيفية وصف تحليل الإقناعية البلاغية في هذه الخطابات، وكيف يتم توظيفها لإقناع الجماهير، وترجع أهمية هذه البحث أنه يساعدنا على فهم كيفية تأثير هذه الخطابات على الجماهير، وكيفية استخدم البلاغة كأداة إقناعية فعالة، والهدف من هذا البحث تحليل ووصف الإقناعية البلاغية في هذه الخطابات، وتحديد الأساليب البلاغية التي يستخدمها لإقناع الجماهير، وسيتم استخدام المنهج الوصفي التحليلي لدراسة

الإقناعية البلاغية وأساليبها تحت الأقسام الثلاثة: المعاني والبيان والبديع ، من خلال تحليل النصوص الخطابية وتفسير الأساليب البلاغية المستخدمة فيها .

إقناعية النظم " علم المعاني":

إن أهم ما يسترعي انتباه المتلقي في خطابات السيدين حسن نصر الله وعبد الملك الحوثي هي تلك الخصوصية البلاغية التي تظهر تميزها عن غيرها من الخطابات من حيث النظم والتأليف اللذان عني بهما علم المعاني الذي عرفه البلاغيون بقولهم: هو علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال؛ أي أنه العلم الذي يبحث في أحوال اللفظ، ويبين كيف تكون هذه أحوال واقعة في الكلام موقعًا تطابق دواعي النفس؟ ولم تأتٍ زائدة ثقيلة، ولا متكلفة كريهة، وهذه الأحوال هي التي نسميها الخصائص أو الكيفيات أو الهيئات [1].

والكلام من حيث النظم والتأليف إما خبر أو إنشاء ولا ثالث لهما، وقد بين البلاغيون أن الخبر هو ما احتمل الصدق والكذب، أما الإنشاء فهو ما كان ضد مفهوم الخبر؛ أذ لا يحتمل الصدق والكذب، وقد قدروا ذلك بقولهم: (إن الكلام إما خبر، أو إنشاء؛ لأنه: ما أن يكون لشبته خارج تطابقه أو لا يكون لها خارج، الأول الخبر والثاني الإنشاء) [2].

ومن تقسيمات الخبر تقسيمه إلى جملة أسمية وفعلية [3]:

الجملة الفعلية: ما تركبت من فعل وفاعل، أو من فعل ونائب فاعل وهي موضوعة لإفادة التجدد والحدوث في زمن معين، ولقد شاع استخدامها عند السيدين ولكنها أكثر شيوعًا عند السيد عبد الملك لشدة تحمسه وتشوقه لبناء حياة كريمة خالية من الوصايات والمداهنات، قائمة على تعاليم الدين الإسلامي، ومن أمثلتها عند السيد حسن قوله بعد إعلان ترام القدس عاصمة لإسرائيل حدث انتفاضات في مناطق متعددة منها اليمن ولبنان: « **نشهد اليوم انتفاضيه حقيقه في الروح وفي الفكر، وفي الموقف، وفي الإرادة، وفي الميدان، وفي الشارع، فيها مسلمون ومسيحيون يتضامنون بقوة للدفاع عن مقدساتهم**» [4]. التي خرجت عن الغرض التقريري إلى التعبير عن الوحدة الوطنية والتضامن بين المسلمين والمسيحيين في الدفاع عن القدس والمقدسات، وتأكيد شمولية الانتفاضة الحقيقية في مختلف المجالات: " الروح، الفكر، الموقف، الإرادة، الميدان، الشارع" مما يعبر عن عمق الانتفاضة واتساعها، هادفًا بهذه الروحية المرحة إلى إقناع المتلقي بأهمية الوحدة الوطنية بين المسلمين والمسيحيين، وتشجيعهم على التضامن والمشاركة في الدفاع عن المقدسات، ورفع راية الجهاد والمقاومة في سبيله.

وإلى وصفه للمقاومة قال: « **تفكر وتخطط وتواكب وتدرس كل المستجدات وكل التطورات، وكل إمكانات العدو وقدرات العدو، وتبرمج وتعيد النظر دائمًا في خططها وبرامجها وهياكلها وتدرب وتتسلح بأفضل نوع من السلاح**»[5] كلها جمل فعلية معطوفة على بعضها البعض بواسطة حروف العطف لتصف أفعال المقاومة، وقد حملت هذه الجمل عدة أغراض بلاغية منها: التأكد على أهمية التخطيط والاستعداد في مواجهة العدو، والتسلح بأفضل نوع من السلاح، وقد من خلال هذه الجملة إلى تأكيد القوة الدفاعية للمقاومة لربط الشعب بها وتوثيق أواصر الثقة بينهما ليكون هدفهم واحد هو العدو الإسرائيلي.

ومما سبق نلاحظ خلو الجملتين من المؤكدات؛ لأن السيد حسن لا يريد أن ينزل المتلقي منزلة الجاهل بواقعه وما يجري من حوله من أحداث، بل قصد المشاركة الوجدانية والفكرية فيما بين المقاومة والطوائف الأخرى.

أما الجمل الحالية المثبتة فظاهرة وبقوة عند السيد عبد الملك ومنها: «**ندرك قيمة الشهادة في سبيل الله فيما تمثله من قيمة معنوية مهمة وتضحية وعطاء في مستوى القيمة المهمة لهذا الإنسان**»[6]وعلى الرغم من خلوها من المؤكدات إلا أنها تؤكد القيمة

المعنوية للشهادة، ولكون الجملة حالية فهي تربط حال المتلقي بهذه القيمة واستشعارها الآني، كل هذا لجعله عضو فيمن يدركون هذه القيمة ، ويدركون أنها لن تحدث إلا بالتضحية والعطاء في سبيل الله.

وللتعبير عما يجب أن يكون مستقبلًا قال مصدرًا للجملة بالفعل المضارع: «**نحتاج إلى حالة استنهاض مستمرة**» [7]. فالجملة توضح الحاجة إلى العمل والتحرك إزاء الأحداث الجارية، ومنها العدوان على اليمن، وتهدف الجملة إقناعيًا إلى إقناع المتلقي بأهمية العمل المستمر والمستدام، وتحفيزهم على اتخاذ الإجراءات اللازمة لمواجهة كل الأحداث والهجمات على الأمة الإسلامية.

الجملة الاسمية: وهي تركبت من مبتدأ وخبر، وهي تفيد بأصل وضعها ثبوت شيء لشيء ليس غير، بدون نظر إلى تجدد ولا استمرار، وهي شائعة عند السيد حسن؛ لأن حالته كزعيم للمقاومة، وحالته مجاهدًا، وحالة متلقيه ثابتة في مقاومتها وراسخة رسوخ الجبال الرواسي حيث يقول: « **في مواجهة إسرائيل: نحن أقوياء، نحن قوة، وازددنا قوة**» [8] . فـ " **نحن أقوياء** " و" **نحن قوة** "جملتان اسميتان لها عدة أغراض بلاغية، منها: التأكيد على قوة وتصمم المقاومة في مواجهة التحديات الإسرائيلية، ولتعبير عن الثقة الكبيرة بالنفس في القدرة على المواجهة فهي جزء من الهوية الجهادية والمعنوية الثابتة.

وللحب المستدام للقدس نجده مدافعًا حيث يقول: «**القدس عاصمة أبدية لإسرائيل، حائط مبكى فوق الأرض وتحت الأرض، وحد الأرض، هذا منتهي**» [9] بجملتين اسميتين تحملا في ثناياها عده أغراض بلاغية منها: الرفض والاستنكار لأحقية إسرائيل في القدس، والتأكيد على الأحقية الفلسطينية، وتهدفان إقناعيًا إلى رفض المتلقي الادعاء الإسرائيلي بأن القدس عاصمة أبدية لإسرائيل، وأن القدس هي القضية المركزية في الصراع العربي الإسرائيلي ويجب مناصرتها.

أما السيد عبد الملك فجمله الإسمية تتميز بالهدوء العاطفي؛ لأنه سخرها لوصف أحوال الناس بلغة لينه تجعل المتلقي يتقبل وجود الفكرة في مجتمعه حين سماعها وبالتفكير البناء قد يجدها في بيته وفي دواخل نفسه ففي سياق تعجيبي من وضع الكثير من الناس الذين يراعون الرقابة الأمنية، والمخاوف النفسية، متجاهلين الرقابة الإلهية يقول: « **البعض من الناس قد يكون انضباطه في هذه الحياة والتزامه في هذه الحياة في حدود المخاوف النفسية، والمخاوف الأمنية**»[10] فالجملة تقدم تحليلًا نفسيًا لسلوك بعض الناس، وتوضيح أن انضباطهم والتزامهم قد يكون نابعًا من مخاوف نفسية وأمنية، والهدف الاقناع استشعار الرقابة الإلهية ؛ لأن الله أحق بهذا الاستشعار فهو مالك هذا الكون ومحيط علمه بكل ما فيه.

كما سخر الجملة الأسمية للدعوة للديمومة على أعمال فيها صلاحنا ونجاتنا فقال: «**قيمة النعم في أن نكون أمة قوية، وفي أن نكون أمة حرة، وفي أن نعيش حياة طيبة**» [11] والغرض البلاغي من الجملة الاسمية: تحديد معايير قيمة النعم وهي: " القوة، الحرية، الحياة الطيبة، وقد هدف إلى إقناع المتلقي بأن النعم بحاجة لمن يستثمرها، وبهذا الاستثمار تتحقق القوة والحرية والازدهار، ولن يحدث هذا إلا إذا استمرينا في الاستثمار استمرار الجملة الأسمية.

أما الانشاء فهو قسمان: طلبي، وغير طلبي، وذلك لأنه إن استدعى الكلام الذي تقوله شيئًا غير حاصل عند النطق؛ فهو الطلبي، ألا ترى أنك إذا قلت لغيرك: أكتب الدرس. فإن هذا القول يستدعي شيئًا غير حاصل عند تلفظك به؛ لأن الذي تخاطبه لم يكن قد كتب الدرس، ولو كان قد كتب الدرس؛ لكان كلامك تحصيل حاصل، لأفائدة منه [12].

أما إذا كان الإنشاء لا يستدعي أمرًا حاصلًا عند الطلب، فهو إنشاء غير طلبي، وذلك كالتعجب، والمدح، والذم، والدعاء، وصيغ العقود، والقسم، وبعض افعال المقاربة، وهي: (كاد) (وكرب)، وأفعال الرجاء: (عسى) و(حرى) و(اخلولق)[13] .

وهذا القسم لا يبحث فيه البلاغيون؛ لأنه لا تتعلق فيه مباحث بيانية، ولأن أكثر صيغه هي في أصلها أخبار، اللهم إلا أفعال الرجاء وصيغة القسم، وإنما يقصرون بحثهم على القسم الأول. وهو الإنشاء الطلبي. وينحصر في مباحث خمسة: الأمر، والنهي، والتمني، والاستفهام، والنداء [14].

ولهذا دارت الدراسة في هذا البحث حول الاساليب الطلبية، ومنها:

1- أسلوب الأمر:

ومن أنواع الإنشاء الأمر، والأصح أن صيغته من المقترنة باللام وغيرها موضوعة لطلب الفعل إيجابًا أو ندبًا استعلاء أي على طريق طلب العلو وعد الأمر نفسه عاليًا سواء كان كذلك في نفس الأمر أم لا لتبادر الفهم عند سماع صيغته إلى ذلك والتبادر علامة الحقيقة [15]، ولقد كثر استخدام أسلوب الأمر في خطابات السيدين لما يشتمل عليه من الحث والتحريض ولفت الانتباه لبعض القصور الذي قد يصدر عن المتلقي... وغيرها، ومما ورد عند السيد حسن: «**اعرفوا قيمة حضوركم في الميادين وفي الساحات وفي التظاهرات وفي الاعتصامات وعلى مو اقع التواصل الاجتماعي وبكل أشكال التعبير؛ لأن الرهان كان أنكم نسيتم، و أنكم تخليتم، و أنكم تعبتم حتى عن أضعف الإيمان**»[16] فالجملة تحمل رسالة قوية ومؤثرة، وتحث على المشاركة الفعالة في الحياة العامة، سواء في الميادين أو الساحات أو التظاهرات أو الاعتصامات أو على مواقع التواصل الاجتماعي، وتخرج هذه الجملة عن معناها الحقيقي إلى التحفيز الذي يهدف إلى تحفيز المتلقي للمشاركة الفعالة في الحياة، وتعزيز الشعور بالمسؤولية لديهم.

وعن فضل الشهداء وارتباطهم بواقعهم وأهلهم قال: « **ثقوا تمامًا أن شهداءكم اليوم فرحون لفرحكم، وما يسعدهم ويدخل البهجة إلى قلوبهم أن يروا البسمة في وجوهكم، والبشرى في أرواحكم، والفرح في محافلكم**»[17] ، وهذه الجملة طلبية خرجت عن معناها الأصلي إلى عدة معانٍ أخرى أهمها: التعبير عن مشاعر الشهداء وفرحهم بفرح الأحياء، وعن الرضا عن أهاليهم وذويهم عندما يرون البصمة الايجابية في وجوههم، والبشرى في أرواحهم، والفرح في محافلهم وتهدف إقناعيًا إلى تعزيز قوة الارتباط بين الشهداء وبين من يسير على نهجهم في الدفاع عن أي قضية عادلة هدفها رفع راية الحق والعدل

ومما شاع عند السيد عبد الملك توظيف أسلوب الأمر في مواضع الأمر بالعروف والنهي عن المنكر فمن وحي القرآن الكريم ومن قولة تعالى: (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ) [الحديد: ١٦] بين أن الكثير من الناس وصلوا إلى مرحلة قسوة القلوب التي تقف حاجزًا أمامهم فتمنعهم عن هدى الله وتدبر آياته: حيث قال:« فنحن يجب أن نحذر من هذه الحالة التي قد تطرأ على الكثير منا» (18) فالأمر حمل معنى النصح والإرشاد فالغرض البلاغي من هذه الجملة هو التنبيه والتحذير من حاله القسوة التي قد تطرأ على جمهور المتلقين؛ لتحفيزهم لأخذ الحيطة والحذر من هذه الحالة، وتشير إلى أهمية الوعي بها والتصدي لها.

وتحت عنوان "**بأي من هذه النعم يمكن أن تكّذب؟!**" تحدث السيد عبد الملك عن أصل الإنسان ماديًا، فوضح أن الإنسان مركب من عناصر بسيطة من الطين التي في قيمتها المادية لا تساوي شيئًا، ثم عقب بجملة طلبية فقال: « **فالإنسان عليه أن يستشعر تكريم الله له، نعمة الله العظيمة علية**» [19] والغرض البلاغي لهذا الأمر هو: توجيه النصح والإرشاد بأهمية استشعار تكريم الله له ونعمه عليه، كذلك التذكير بالنعم حيث يذكر الإنسان بنعم الله عليه، ويحفزه إلى الشكر والامتنان، وهدف آقناعيًا إلى إقناع الإنسان بأهمية استشعار نعم الله وتكريمه وتحفيزه إلى الشكر والامتنان لله سبحانه وتعالى.

2- أسلوب النهي:

ومن أنواع الإنشاء النهي، وهو طلب الكف عن الفعل تحريمًا أو كراهة على جهة الاستعلاء على حدّ ما سبق في الأمر وحرفه (لا) الجازمة، وقد يستعمل في غير طلب الكفّ والترك مجازًا كالتهديد، كقولك لمن لا يمتثل أمرك (لا تمتثل أمري) ، وكالتقليل، نحو: (لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ) [الحجر:88] أي فهو قليل حقير، والدعاء، نحو : (رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ)[آل عمران: 8] ، والإرشاد، نحو : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ) [المائدة101] ، والبيان للعاقبة، نحو: (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ) آل عمران: ١٦٩، أي عاقبة الجهاد الحياة لا الموت(20). ولقد وظف السيدان النهي في التعبير عن المواضيع الجهادية والزهدية لتريخ فكر إيمانية، وإقناع المتلقي بهذه الفكر حتى لا يبقى المتلقي في حالة من الجمود الفكري والبقاء على رأي واحد، ومما قال السيد حسن: «هؤلاء أيضًا ثروة ثقافية وفكرية لنا، أقرأوا وصاياهم، لا تستصغروا اعمارهم وتقولوا هذا ابن 16، وهذا 18 وهذا 19 ماذا سيكتب؟» (21)، ظهر النهي في: " لا تستصغروا أعمارهم" الذي خرج إلى عدة أغراض منها: تغيير النظرة للشهداء الشباب، وعدم التقليل من شأنهم بسبب أعمارهم، والهدف الإقناعي من هذا النهي إقناع المتلقي بأن الشهداء الشباب لديهم قيمة كبيرة، وتأثير كبير، ويستحقوا أعلى مراتب التقدير والاحترام، بغض النظر عن أعمارهم، والدليل على خبرتهم الواسعة بذل نفوسهم في سبيل الله مقابل جنة عرضها السماء والارض.

وقال بعد ذكره لقوله تعالى: (تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ ۖ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ) [الملك: ٨] : « الملائكة يسألونهم خزان النار (ألم يأتكم نذير) أي، لم يأتي إليكم أحد كلمكم أو نهكم أو أنذركم، يا جماعة خافوا الله، واتقوا الله فلا تعصوا، ولا تذنبوا، ولا تفعلوا الحرام، لا تقتلوا، لا تزنوا، لا تتعاطوا المخدرات، ولا تأكلوا المال العام ولا تعتدوا على الناس، ولا تؤذوا الناس، ألم يكلمكم أحد » (22). تعددت في هذه العبارة المنهيات لهدف واحد وغرض بلاغي واحد هو: التحذير من العواقب الوخيمة لارتكاب المعاصي والذنوب وتحفيز المتلقي للابتعاد عنها، والالتزام بطاعة الله تعالى، الهدف الإقناعي: هو تغيير السلوك والمشاعر والمواقف لدى المتلقي، وجعله أكثر إلتزامًا بطاعة الله تعالى والابتعاد عن المعاصي والذنوب.

وللتنبيه من التقصير والغفلة استخدم السيد عبد الملك النهي، حيث قال: «**لا تفرطوا في اتباعه، لا تقصروا في في اتباعه، لا تنحرفوا عن اتباعه**» [23] النهي هو الجمل التالية:

- **"لا تفرطوا في اتباعه"**: نهى عن الإفراط أو التشدّد في اتباع القرآن.
- **" لا تقصروا"** : نهي عن التقصير أو الإهمال في اتباع القرآن.
- **" لا تنحرفوا"**: نهى عن الانحراف أو الابتعاد عن الطريق الصحيح في اتباع القرآن.

والغرض من النهي هو التوجيه لاتباع القرآن بطريقة متوازنة وصحيحة، حيث خرج النهي عن معناه الحقيقي كنهي مباشر إلى تقرير الحالة أو وصف الطريقة المثلى لاتباع القرآن.

وقال منبهًا- أيضًا: « **فلا تكن متكبرًا، لا تكن مستهترًا تجاه هذه النعم، لا تكن وكأنه ليس له الفضل عليك**» [24] النهي يظهر في الجمل التالية:

- (فلا تكن مستهترًا تجاه هذه النعم): نهي عن الاستهتار بنعم الله.
- (لا تكن وكأنه ليس له الفضل عليك): نهي عن النظر إلى النعم على أنها ليست من فضل الله.

والغرض البلاغي من هذا النهي هو: التحذير من سوء استخدام النعم، والتأكيد على أهمية الشكر والاعتراف بنعم الله، والهدف الاقناعي هنا: توجيه الإنسان إلى أهمية الشكر والتواضع لله تعالى.

3- أسلوب الاستفهام:

ومن أنواع الإنشاء الاستفهام وهو طلب الفهم وله ألفاظ وهي: الهمزة وهل وما ومن وأي وكم وكيف وأين وأنى ومتى وأيان بفتح الهمزة في الأصح ، والاستفهام قد يكون لطلب التصور وقد يكون لطلب التصديق فقط، وقد يكون لطلب أيّهما كان وهذا الحكم يختص بالهمزة لكونها الأصل وباقي الأدوات نائبة عنها[25]، ولقد تردد أسلوب الاستفهام في خطابات السيدين بشكل واضح وجلي ومما ورد عند السيد حسن وتم توظيفه في الاستنكار والرد على التهم غير الصائبة: «**هل كانت الحجة تواجد الفلسطينيين؟**»[26]، فالاستفهام استخدم لغرض بلاغي ينفي الفكرة او الإعذار التي قدمها اليهود لاحتلال لبنان ، كذلك للاستنكار؛ وذلك لأن الاحتلال كان 1948م والفصائل لم تتكون إلا في 1979م ،والهدف الإقناعي يتمثل في: إثارة الشك حول الحجة التي قدمتها اليهود لانتقاد حجتهم ودحضها.

ومن الاستفهامات الرائعة قوله: «**هذا الأمن الذي يعيشه الجنوب والقرى الأمامية، من الذي صنعه أيها اللبنانيون؟ هذا خطاب للكل، لكل الناس، خصوصًا أولئك الذين يسمعون خطابات نزع سلاح المقاومة، بالحد الأدنى منذ 14 آب 2006إلى اليوم، كم مضى من الوقت حيث كانت فيه القرى الأمامية تنعم بالأمن، كل القرى الأمامية في معزل عن طائفة من يسكنها، مسلم أومسيحي، شيعي أوسني أودرزي، الكل من القرى الأمامية يشعرون بالأمن والطمأنينة والأمان والسلامة والعزة والكرامة والسيادة والقوة والعنفوان، يبنون عند الطريق الشائك، ويزرعون عند الشريط الشائك، هذا من وضعه؟**» [27]، الاستفهام هنا يخرج عن معناه الحقيقي الى عدة أغراض منها: التأكيد على دور المقاومة ما اضفته على لبنان من تجليات النصر، والهدف الإقناعي من هذا الاستفهام: دعم المقاومة في تحقيق الأمان والاستقرار ورفض نزع السلاح.

أما السيد عبد الملك فقد وظف الاستفهام للتحفيز وإثارة المتلقي، فقال:« **كيف يتغلب الانسان في نفسه على كل نوازع الشر ودو افع الفساد والمنكر والباطل، كيف نسيطر على هذه النفس البشرية، ونكبح جماحها، ونضبط غرائزها**» [28] ، الاستفهام في الجملتين السابقتين وظف لعدة أغراض هي: التحفيز على التفكير في كيفية السيطرة على هذه التحديات، والتنبه على ضرورة إدراك أهمية التغلب على نوازع الشر ودوافع الفساد، والتقرير لتأكيد أهمية التغلب على نوازع الشر ودوافع الفساد، والتعظيم والتحذير الذي يجعل المتلقي يستعظم هذه الأمور فيحذرها وهدف إقناعيًا إلى إقناع المتلقي بأهمية التغلب على التحديات النفسية والروحية، وتحفيزه على العمل على تحسين الذات.

وتنبهًا وإثارة للتفكير النقدي قال: «**ولاءاتنا هل هي محكومة بهذا القرآن؟**» [29]، الغرض البلاغي من الاستفهام هنا هو: التنبيه إلى أهمية العلاقة بين الولاءات والقرآن، كذلك تحفيز المتلقي للتفكير والتساؤل عن حقيقة العلاقة بين الولاءات والقرآن، أما الهدف الإقناعي فيظهر في إقناع المتلقي بأن الولاءات يجب أن تكون محكومة بالقرآن الكريم، وأن يعيد تقييم علاقته بالقرآن وولاءاته لتحسينها وتصويبها.

إقناعية الأساليب البيانية:

لا شك أن علم البيان بتعبيراته البلاغية وتراكيبه الجمالية، يلعب دورًا إقناعيًا فعالًا في الخطاب، حيث يستخدم الاشعارات والتشبيهات ليرسم صورة ذهنية واضحة ومؤثرة، ويجعل الأفكار أكثر وضوحًا وجاذبية، فيخاطب مشاعر المتلقي وعقله، مما يزيد من فعالية الإقناع ويجعل الرسالة أكثر تأثيرًا في النفوس.

وعلم البيان أخص من علم المعاني، فلذا تأخر عنه، وهو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد المدلول عليه بكلام مطابق لمقتضى الحل بطرق مختلفة في إيضاح الدلالة عليه بأن تكون بعض الطرق واضحة وبعضها أوضح، فخرج معرفة إيراده بطرق مختلفة في

اللفظ والعبارة فقط والمراد بالمعنى الواحد كل معنى يدخل تحت قصد المتكلم وإرادته، فلو عرف أحد إيراد معنى قولنا : (زيد جواد) بطرق مختلفة لم يكن بمجرد ذلك عالمًا بالبيان وبالطرق والتراكيب... ومثاله أنّا إذا أردنا إيراد معنى قولنا: (زيد جواد) مثلًا في الأصول الثلاثة تقول في طرق التشبيه : (زيد كالبحر في السخاء) ، وفي طرق الاستعارة : (رأيت بحرًا في الدار) ، وفي طرق الكناية: (زيد مضياف) ، فظهر أن مرجع البيان إلى اعتبار المبالغة في إثبات المعنى للشيء، ولمّا لم تكن كل دلالة قابلة للوضوح والخفاء احتيج إلى تقسيمها وتعيين المقصود منها بدلالة اللفظ على تمام ما وضع له [30]. **وهذه الأساليب بيانها كالآتي:**

1- أسلوب التشبيه:

يعد التشبيه أحد روافد التصوير البياني، وهو من الأساليب البلاغية المهمة التي من شأنها أن ترفع من المستوى التداولي للنصوص من خلال دوره في التقريب بين المتباعدات أو الجمع بين معنيين متباعدين؛ لاشتراكهما في شيء ما، وقد عرف بأنه الجمع بين شيئين الأشياء بمعنى ما بواسطة الكاف ونحوها [31].

وللتشبيه دور في الإقناع فقد قال عبد القاهر الجرجاني عن هذا الدور: (واعلم أن مما اتفق العقلاء عليه أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه، ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته، كساها أبهة، وكسبها منقبة ورفع من أقدارها، وشبّ من نارها، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها ودعا القلوب لها واستثار لها من أقاصي الأفئدة صبابة وكلفا، وقصر الطباع على أن تعطيها محبة وشغفا، فإن كان مدحًا كان أبهى وأضخم، وأنبل في النفوس وأعظم، وأهز للعطف، وأسرع للألف، وأجلب للفرح ... وإن كان حجاجًا كان برهانه أنور، وسلطانه أقهر وبيانه أبهر ... ويبرئ العليل ويشفي العليل) [32].

وقد كان للتشبيه الإقناعي الأثر البارز في خطابات السيد حسن التي نورد منها قوله في وصف ضعف إسرائيل: « **إسرائيل أوهن من بيت العنكبوت** » [33]، فقد وظف التشبيه لتصوير ضف إسرائيل وهشاشتها، وأركانه هي: المشبه إسرائيل، والمشبه به بيت العنكبوت، ووجه الشبه الضعف والهشاشة، وقد هدف إقناعيًا إلى إقناع المتلقي بضعف إسرائيل وهشاشتها لإضعاف قوتها من عين من يرى أنها من أقوى الخصوم.

ومن التشبيهات التمثيلية التي عرت الأهداف الترامبية، وكشفت السياسة الأمريكية قوله: « **كلفة المقاومة أقل بكثير من كلفة الخضوع والمساومة والاستسلام، في المقاومة تبقى لك أرضك ونفطك وغازك وسيادتك وأهلك وناسك ونظامك وكرامتك وشرفك وعرضك ومستقبلك، أما المساومة والاستسلام يأخذون منك كل شيء، يأخذون كرامتك، يذلونك في كل يوم كما يفعل ترامب بحلفائه، يمنون عليك بالحماية وبالدفاع عنك، ويحلبونك وينهبونك ويسرقونك و أنت تضحك** » [34] وهذا التشبيه ساهم في توضيح آثار وآلام الاستلام بالتشبيه بين فعل الاستسلام والمساومة وفعل ترامب مع حلفائه، وأركانه: المشبه سلوك من يستغلون ويستعبدون، من يتعاملون معهم بالمساومة والاستسلام، و المشبه به سلوك ترامب مع حلفائه، ووجه الشبه الاستغلال والنهب والتعامل بغير احترام، اداه التشبيه كما، هادفًا من وراء التشبيه إلى تحذير المتلقي من عواقب الاستسلام والمساومة بعرض آثار ذلك الطريق المعوج.

ومما سبق نجد أن السيد حسن سخر التشبيه لوصف الضعف الأول: جسد الضعف في إسرائيل وشبه ببيت العنكبوت، الضفف الثاني تجسد في من يسيرون في خط العمالة والارتزاق لأمريكا وغيرها من دول الشر.

أما السيد عبد الملك فيغلب فيغلب على أسلوبه التشبيه الضمني ، وقد وظف بعناية ودقة توظيفًا يخلق جوًا من القبول والاستمالة نتيجة لما تحمله تشبيهاته من طاقة تعبيرية كبيرة ومنها قوله: « **نور الإسلام هو لحركتك في الحياة، لمواقفك، لاتجاهاتك، لأعمالك، لتصرفاتك** » [35] حيث شبه نور الإسلام بالحركة أو الدليل الذي يرشد الشخص في حياته ومواقفه

واتجاهاته وأعماله وتصرفاته وأركانه: المشبه نور الإسلام، والمشبه به الحركة والدليل، ووجه الشبه التوجيه والإرشاد، وقد هدف إقناعيًا إلى إقناع المتلقي أو القارئ بأهمية دور الإسلام في حياته، وأنه يمثل الدليل والتوجه الصحيح في مختلف المواقف والاتجاهات.

ومن تشبيهاته القيمة قوله:« ونجد في بقية النصوص القرآنية . مثلًا: في سورة آل عمران . انه في الظروف الحساسة والخطرة والاستثنائية يأتي الاختبار بشكل أكبر واعمق، مثلًا: « **في الظروف المطمئنة يمكن للبعض من الناس أن يتماشى معها، ويتظاهر بأنه في صف الحق، و أنه ضد الباطل، وضد الإجرام والطغيان والعدوان والظالمين والمجرمين، لكن عندما تكون هناك اهتزازات أكبر، البعض كالغربال الذي كلما اهتزنقى أكثر واكثر، وتساقطت منه أكثر من الشوائب**»[36]، وهذا صحيح - فعلًا - ففي سورة آل عمران آيات تشير إلى أن الاختبار يأتي بشكل أكبر وأعمق في الظروف الصعبة والاستثنائية، فعلى سبيل المثال معركة أحد تعرض المسلمون لهزيمة وكانت هذه الهزيمة اختبارا كبيرًا لهم، قال تعالى: وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ آل عمران: ١٤١] ، حيث تشير إلى أن الله يريد أن يميز بين المؤمنين الصادقين والمنافقين، و يمحق الكافرين، في مثل هذه الظروف يظهر معدن الناس الحقيقي، فمنهم من يثبت على إيمانه، ومنهم من يتزعزع، وهذا بدوره يساعد على تنقية المؤمنين وتوضيح مواقفهم وفيما سبق شبه المسلمون الذين يظهرون في البداية وكأنهم من الثباتين والصالحين والمؤمنين ولكن عند مواجهة الاختبارات والشدائد يظهر معدنهم الحقيقي وأركان التشبيه، هي: المشب الناس (المسلمون الذين يظهرون في البداية وكأنهم من الثابتين والصالحين)، والمشبه به الغربال، ووجه الشبه عملية تنقية الصفوف عند مواجهة الاختبارات والشدائد، حيث يتساقط الضعفاء عند مواجهة الاختبارات والشدائد حيث يتساقط الضعفاء والمنافقون، أداة التشبيه الكاف، وهدف من خلال هذا التشبيه إلى إقناع المتلقي بأن الظروف الصعبة تظهر معدن الناس الحقيقي، وأن من يثبت على إيمانه هو من يمتلك الإيمان الحقيقي وهذا لتحفيز المتلقي على الثبات على الإيمان والاستعداد لمواجهة التحديات.

2- أسلوب الاستعارة :

هو استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه، مع قرنية صارفة عن إرادة المعنى الأصلي [37].

والاستعارة ليست إلا تشبيهًا مختصرًا، لكنها أبلغ منه كقولك: (رأيت أسدًا في المدرسة)، فأصل هذه الاستعارة: (رأيت رجلًا شجاعًا كالأسد في المدرسة) فحذف المشبه لفظ (رجل) وحذفت الأداة (الكاف)، وحذف وجه التشبيه (الشجاعة) وألحقته بقرينة (المدرسة) لتدل على أنك تريد بالأسد شجاعًا [38].

والاستعارة التي نحن بصددها هي الاستعارة الحجاجية التي ليست غايتها جمالية تتوقف وظيفتها عند تزيين الكلام وتوشية الكلام فقط، بل تتعدى الوظيفة الحجاجية إلى الوظيفة الإقناعية التي تسعى إلى إحداث تغيير في فكر التلقي وموافقه.

وقد ورد الاستعارة في خطابات السيد حسن بشكل كبر منها قوله عن تحرير البقاع : «**اليوم عندما هذا الكابوس سُيزاح عن جبالهم وتلالهم وجرودهم وقلوبهم وبيوتهم وقراهم أكيد هم سيكونون أشد الناس سعادة**»[39] فعلى سبيل الاستعارة التجسيدية وصف (الكابوس) وكأنه كيان حقيقي يمكنه أن يزاحم أو يتحرك، مما يعطي صورة قوية ومؤثرة، ففي هذه الاستعارة تم تحويل الفكرة المجردة (المعاناة أو الخوف) إلى صورة ملموسة (الكابوس) الذي يزحم الإنسان في نومه، بل يهاجمه ويقضي على راحته، والهدف الإقناعي لهذه الاستعارة بناء الثقة في أن التغيير قادم، وأن الناس سيكونون أكثر سعادة بعد ذلك .

كما وردت في خطاب له وفي أسلوب استفهامي في قوله: « **هذه صفقة القرن التي تريد تقوية وتثبيت وتعزيز وتكريس إسرائيل في المنطقة هي مصلحتك أنت كشعب لبنان** »[40]، وهنا جعلت الاستعارة من صفقة القرن إنسان يبحث البحث الحثيث ويعمل كل الجهد؛ لأجل تثبيت دعائم إسرائيل في المنطقة، وهي بدورها تقدم صورة مادية للعلاقة بين الصفقة وإسرائيل، وتوحي بأن الصفقة تساهم في بناء وتعزيز وجود إسرائيل في المنطقة، وكأنها عملية بناء وتشييد، وتهدف الاستعارة إقناعيًا الى تأكيد التأثير الإيجابي لصفقة على إسرائيل، في المقابل إثارة مشاعر سلبية مستنفرة تجاه هذه الصفقة في الصفوف العربية والإسلامية.

أما السيد عبد الملك فقد وظفها كذلك في تجسيد المعاني وتقديمها للمتلقي بشكل تأنسه النفس، ومنها قوله في الحث على الرؤية الصحيحة: « **الرؤية الصحيحة التي تصلح حياة الإنسان ويمكن لها أن تعالج و اقع البشر، وتحل الكثير من مشاكلهم ومن أزماتهم**»[41]، فالاستعارة هنا: (تعالج واقع البشر) المشبه الرؤية الصحيحة، والمشبه به الطبيب، حيث تم استخدام (العلاج) لوصف تأثير الرؤية الصحيحة على واقع البشر، فالاستعارة تعطي فكرة عن أن الروية الصحيحة وهي الرؤية القرآنية يمكنها أن تشفي وتعالج المشاكل والأزمات التي يعاني منها البشر، وقد هدف إقناعيًا من خلالها إلى تأكيد أهمية الرؤية الصحيحة في تحسين حياة البشر، والدعوة إلى تبني هذه الرؤية كوسيلة لتحسن الواقع الفردي والمجتمعي .

ومما ورد عنده أيضًا من الاستعارات، قوله عن وضعية المسلمين تجاه القرآن: « **لم تعد نظرتهم إلى القرآن الكريم هذه النظرة، وجعلوه هناك على جنب، مهمشًا إلى حد كبير، واستغنوا عنه بأشياء أخرى لا تغنيهم، لا تفيدهم ، وأعطوها كل الجهد، وكل الاهتمام، وكل الوقت**» [42] ، الاستعارة: **"جعلوه هناك على جنب"**، المشبه: القرآن الكريم، والمشبه به: شيء مادي يتم وضعه على جنب، والوجه المشترك: الاهمال وعدم الاهتمام، وتهدف إقناعيًا إلى التحذير من: اهمال القرآن الكريم وعدم الاهتمام به، والتعبير عن الاستياء من هذه الوضعية.

3- أسلوب الكناية:

أما الكناية فهي لب الحجاج وعمود الإقناع قال الزركشي: (وهي عند أهل البيان أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ المرفوع له من اللغة ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه ورديفه في الوجود فيومئ به إليه ويجعله دليلًا عليه فيدل على المراد من طريق أولى) [43].

وقد أدرك البلاغيون قيمة الكناية وأثرها في المتلقي يقول في ذلك الجرجاني: (قد أجمع الجميع على أن الكناية أبلغ من الإيضاح، والتعريض اوقع من التصريح)؛ لأنها تجسد المعاني بطريقة غير مباشرة، مما يزيد من تأثيرها وقوتها في النفوس [44]، ومما ورد عند السيد حسن تصويره لحالة الخوف الإسرائيلية إثر المباغتة اللبنانية: « تجول على المستعمرات من الصبح إلى آخر الليل، لا حسيس، لا أنيس، لا سيارة، ولا دراجة نارية، ولا دراجة هوائية »[45]، العبارة كناية عن الخوف وأثر المقاومة اللبنانية، والهدف الإقناعي هنا تأكيد أثر المقاومة على المستعمرات، وتأكيد صورة الخوف التي أرجفت قلوب اليهود بوصف حي للخلو المكاني والحركي.

ومن عظيم كنايته قوله: «**المقاومة في لبنان دقت المسمار الأخير في مشروع إسرائيل الكبرى**» [46] الكناية التي تشير إلى الفعل أو الحدث الذي ينهي أو يدمر مشروع إسرائيل الكبرى، والهدف الإقناعي منها تقديم صورة قوية ومؤثرة لتأثير المقاومة على المشروع، وإثارة مشاعر الفخر والإعجاب بالمقاومة اللبنانية وتأثيرها الحاسم.

وفي رحاب خطابات السيد عبد الملك نجدها حافلة بالكناية وتسير منحى التعظيم للأمور والأعمال الحسنة والسيئة ومنها قوله: «**أوسع مساحة في القرآن الكريم في الجانب العلمي تحدث عن جانب المسؤولية**» [47] .تتجلى الكناية في: **" أوسع مساحة"** وهي

كناية عن كثرة وأهمية الحديث عن المسؤولية في القرآن الكريم، حيث استخدمت كلمة (مساحة) لتدل على كمية ونطاق الحديث عن هذا الجانب، والهدف الإقناعي هنا: إقناع المتلقي بأهمية وعظم المسؤولية في القرآن الكريم.

ولقضاعة التجمعات غير المجدية وآثارها السلبية قال: « **ونركز على: أن نبدأ مجالسنا بداية طيبة وأن نختمها ختامًا طيبًا بذكر الله، وبالاستغفار حتى لا تكون بؤرًا جهنمية**»[48] الكناية: " **بؤرًا جهنمية** " أي مجالس تؤدي إلى ارتكاب ذنوب أو مخالفات، مثل الغيبة والنميمة ... إلخ، حيث يغرق الإنسان في الذنوب كلما دخل فيها، والهدف الإقناعي من الكناية هو إقناع الناس بضرورة الابتعاد عن المجالس السيئة فـ (بؤرًا جهنمية) توضح العواقب السلبية لمثل هذه المجالس.

إقناعية الأساليب البديعية:

علم البديع بتجلياته اللفظية وتراكيبه الفنية، يزين الخطاب بلمسات من الجمال والإثارة، فيجعل الكلمات ترقص على أوتار القلوب، ويحرك المشاعر بعمق، وبهذا السحر البلاغي يُصبح الخطاب أكثر جاذبية وتأثيرًا، ويقود المتلقي برفق نحو عالم من الإقناع والتأثير.

وعلم البديع علم يعرف به وجوه تحسين الكلام، أي تصوير معانيها، وتعلم أعدادها وتفاصيلها بحسب الطاقة بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال، ورعاية وضوح دلالته أي خلوه من التعقيد المعنوي إذ لا تعتبر وتعد محسنة للكلام إلا بعد رعايتهما، وإلا كان كتعليق الدرر على الخنازير [49] ، ومن أهم الأساليب البديعية:

1- **أسلوب السجع:**

يُعرّف السجع بأنه توافق الفاصلتين في الحرف الأخير من النثر، وأفضله ما تساوت فِقَرُه [50] ، ومتى ما جمع القول المسجوع بين قصر الجملة واستواء البنية كان أدعى للبقاء وأكثر تأثيرًا من السجع ذي الجمل الطويلة المختلفة في بناها، وإذا ما تقرر أن السجع أسلوب طارئ؛ خارج عن مثالية اللغة (مستواها العادي)، فإنه يلزمنا تحري حجاجيه هذا الأسلوب؛ استنادًا إلى قصدية الخطيب الحتمية الكامنة خلف عدوله عن المستوى العادي للغة وتوخيه السجع ولا يمكن حص هذه القضية في غرض معين؛ فقد يكون السجع وعاءً يفصل الفكرة عن الفكرة، وقد يحضر بصفته التفاتًا مبرزًا للفكرة ومنبهًا إليها، وهو إلى ذلك أداة من أدوات التشويق والإثارة والمتعة والجذب؛ ذلك بما يحصل به من إشباع للتوقع أو كسر له، وبما ينشأ عنه من تردد وتجانس كما لا يخفض دور السجع في تهذيب الكلام وجعله مهيئًا للحفظ، وذلك في بيئة شفاهية عمادها الحفظ والاستذكار [51] .

وقد يرد السجع .أيضًا بوصفه استجابة لإحساس أو شعور ما؛ فيتخذ المتكلم من تكرار صوت الحرف المسموع به طريقًا للكشف عن مشاعره ووجدانه، ذلك أن ازدياد النغم وعلوّه منبعث من اهتزاز أوتار القلب لمعنى من المعاني، ولا يمكن للتجانس الذي تسمعه الأذن أن يخلو من معنى يقع في القلب ويتسلل إليه، وبذلك تصبح الاحداث تتكلم أكثر مما تفعل في الكلام العادي [52] .

والسجع في البلاغة العربية من أهم الظواهر الأسلوبية في النثر، وهو يعطي الكلام مكانة أقرب إلى الرجز والقصيد وإن كان دونهما، كما يقول الجاحظ: (السجع والمزدوج دون القصيد والرجز) [53] ، وينبغي أن يكون في بعض الكلام لا في جميعه، فإن السجع في الكلام كمثل القاضية في الشعر، وإن كانت القافية غير مستغني عنها، والسجع مستغني عنه وفي عذب الكلام الذي يجود به السيدين يبرز السجع كجوهرة بلاغية تتألف في ثنايا الخطاب، فتضفي عليه رونقًا وجمالًا، وتجعل من الرسالة صرخة مدوية في أعماق النفوس، ذات لغة تعانق الروح، وتلامس الوجدان، وتجعل من الكلمات سلاحًا فتاكًا في وجه التحديات، في هذا السياق، يظهر السجع كأداةٍ فنية بارعةٍ، تعكس عمق الثقافة العربية والإسلامية، وتجسد القيم والرموز التي تمثلها، فتكون بذلك شاهدًا على عظمة اللغة وقدرتها على التأثير والتعبير، وقد وقفت الباحثة على الكثير من مواضعه في خطابات السيد حسن، ولعل من أهم تلك المواضع ما

قاله في حق الأئمة الأطهار سلام الله عليهم: « **نقول لأئمتنا نقول لكم .بكم أنتم أخرجنا الله من الذل ، بدمائكم، بتضحياتكم، بشهدائكم . بجرحاكم بدموعكم بصبركم، بصمودكم، بإيثاركم، بشهامتكم، بشجاعتكم، أخرجنا الله من الذل**» [54] ، ويظهر السجع بتواطؤ الفواصل على صوت واحدقي: " **بدمائكم، بتضحياتكم، ... بشجاعتكم**" وهذا أعطى العبارة نغمة موسيقية وسجعًا جميلًا، مما يزيد من تأثيرها البلاغي والخطابي، وقد هدف إقناعيًا من خلال السجع إلى التأكيد على أهمية التضحيات التي تسلط الضوء على حجم التضحيات التي قدمها آل البيت في سبيل هذه الأمة.

ومن الشواهد السجعية الإقناعية أيضًا قوله: «**عندما ينظر إليكم العالم، إلى عائلاتكم، إلى وجوهكم، إلى جراحكم، هل أنتم إرهابيون؟ هل أنتم حركة إرهابية؟ هل أنتم جماعة إرهابية؟ أنتم أين جرحتم؟ أين أصبتم؟**» [55] ، وهو هنا بين أن من يدعون بالإرهابيين ما هم إلا أحرارًا وقفوا وجاهدوا عن أرضهم بكل ما يملكون ولا يحق لأي طرف أن يطلق عليكم إرهابيون، والسجع وقع في: (عائلاتكم، ووجوهكم، وجراحكم، وأجسادكم) جميعها تنتهي بنفس الوزن والقافية (كم) مما يعطيها سجعًا جميلًا، كذلك في: (جرحتم، واصبتم) اللتان تنتهيان بنفس الوزن والقافية (تم)، والهدف من هذين السجعين: نفي صفة الإرهاب عن حركة المقاومة من خلال التأكيد على التضحيات والجراح التي تعرض لها اللبنانيون، بالإضافة إلى تأكيد مشروعية الحركة.

أما السيد عبد الملك فيتجلى للمتلقي هدوءه وسلاسته في استخدام السجع؛ لهدوئه الخطابي، حيث قال: بعد ذكره لقوله تعالى: **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا ۚ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ) ۝ [لقمان: ٣٣]** « **الغرور: الذي يسعى إلى أن يغركم: إلى أن يخدعكم، إلى أن يجعلكم غافلين ولا مبالين ولا متنبهين، وأن يبعدكم عن الإحساس بالمسؤولية، من هو هذا (الغرور) والذي يسعى لأن يغركم، وأن يخدعكم؟**» [56]. السجع يظهر في عدة أماكن: " **يغركم ويخدعكم** " (تكرار النهاية .كم)، و" **غافلين ومبالين ومنتبهين**" (تكرار النهاية).

ولأثر السجع في نقل مشاعر الخطيب وأحاسيسه طرقه السيد عبد الملك لينقل لنا مشاعره الرحيمة بنا فيعرفنا بقيمة المغفرة حيث يقول: « **نحن بحاجة إلى المغفرة لا شيء يضرنا كذنوبنا، كمعاصينا، كتقصيرنا، كتفريطنا**» [57] ، و بهذا وضح أن لا شيء في هذه الحياة من مكر الماكرين، وكيد الظالمين سيضر؛ لأن ما يضر أعظم من ذلك بكثير وهو التفريط في جنب الله وقد ساعد على إيصال المعلومة السجع في : " **كذنوبنا وكمعاصينا، كتقصيرنا كتفريطنا** " ضمير المتكلم الجمعي الذي يضم كل فئات المجتمع، يعم الجميع بشمولية حكمه هادفًا إلى إقناع المتلقي بأهمية طلب المغفرة من الله تعالى، والتأكيد على موقع الذنوب من حياتنا.

2- أسلوب الجناس:

حدّ البلاغيون الجناس بأن تتفق اللفظتان في اللفظ مع الاختلاف في المعنى، ويظهر من هذا التعريف أن الجناس ذو طبيعة تكرارية منشؤها معاودة الألفاظ مع الاختلاف في المعنى، وبذلك يكتسب الجناس شرعية الانتماء إلى قسم البديع، إذ أن جوهر الجناس يقوم على الاشتراك اللفظي، فالتجنيس إذن ضرب من ضروب التكرار الذي يفيد في تقوية نغمية جرس الألفاظ [58].

وقد أطال بعض البلاغين في تقسيم وتفريع الجناس، بيد أن الثابت للجناس أنه ينقسم إلى نوعين:

1. الجناس التام: وهو اتفاق لفظتين في أنواع الحروف، وأعدادها، وهيئتها وترتيبها [59] .
2. والجناس الناقص: وهو الذي تختلف فيه اللفظتان المتجانسة في أحد الأمور الأربعة: (نوع الحروف، وعددها، وهيأتها، وترتيبها)[60].

والبعد الإقناعي للجناس يتمثل في تكرار اللفظ على معنيين مختلفين وهذا الاختلاف يسهم في دعم حجة المتكلم للتأثير في المتلقي، والجناس التام منعدم تمامًا في خطابات السيدين فكل ما ورد يعطي نفس المعنى فيخرج من دائرة الجناس إلى التكرار، أما الجناس

التام فقليل مقارنة بغيره من الأساليب البديعية، ومن أمثلته عند السيد حسن، قوله:« **سقوط الأقنعة ... هذا يجرهم، ويدع الصفوف نظيفة، ويدع الناس مميزة، يضع الجبان والخائف والعميل والجاسوس والسمسار، يضعهم جانبًا ويقول للشعب الفلسطيني ولشعوب المنطقة هذا الخلاصة الباقية، البقية الباقية من كل هذه الامتحانات والصعوبات، هي التي ستحرر فلسطين وتضع النصر**» [61] ، وهذه العبارة تعبر عن الأمل في أن تكون هذه اللحظة هي بداية النهاية للاحتلال، وأن الشعب الفلسطيني سيتمكن من تحقيق النصر بفعل جهودهم وثباتهم، وكان للجناس دوره في إيصال المعلومات وتثبيتها في الذهن حيث تتشابه الكلمات (البقيه الباقية) في الشكل والوزن مع اختلاف في عدد الحروف والمعنى، فـ " البقية " تشير الى الفئة المتبقية من الصادقين مع القضية الفلسطينية، و" **الباقية** " تشير الى استمراريتهم لامتلاكهم القوة او الصلابة للبقاء، وهدف إقناعيًا من خلاله إلى التأكيد على أهمية الفئه الباقية التي ستحرر فلسطين وتضع النصر.

ومن الجناس أيضًا قوله: «**أرحب بأهلنا الكرام في المخيمات الفلسطينية، فلسطيني الشتات فلسطيني المخيمات الذين مازالوا يتمسكون ويمسكون بحق العودة، ويرفضون التوطين ويرفضون الوطن البديل ويربون اولادهم وأحفادهم على حلم العودة الى فلسطين الى كل فلسطين، هذا الحلم الذي سيحقق وقريبًا جدًا جداً أن شاء الله**» [62] ، وهذه العبارة تؤكد على التمسك بحق العودة إلى فلسطين، وفي المقابل رفض التوطين في الدول التي يقيمون فيها، ورفض فكرة الوطن البديل عن فلسطين، وقد أدت دورها الإقناعي تكاملًا مع الجناس في: " **يتمسكون، ويمسكون**"، لتشبهما في الشكل مع زيادة حرف، واختلاف في المعنى، فـ " **يتمسكون**" تعني أنهم متمسكون بحق العودة وثابتون وملتزمون به، و" **يمسكون** " انهم يحملون هذا الحق في قلوبهم لا يفارقهم أبدًا، وقد هدف بالجناس إلى إقناع النازحين من الفلسطينيين بحق العودة.

أما السيد عبد الملك فيظهر الجناس عنده بكثرة وقد وظفه للتأكيد وللتحذير وغيرها من الأغراض، ومن أهم ما ورد من الجناس، قوله: «**هم مهما حشدوا، مهما جندوا، مهما كانت مؤامراتهم، مهما كانت خططهم، فهم لن ينجحوا، ليست هي . بحد ذاتها . الكفيلة بنجاحهم، لا إمكانياتهم المادية، ولا تعنتهم وإصرارهم واستمرارهم يمكن أن يفيد هم بعامل الزمن**» [63] .وقع الجناس بين " **حشدوا**" و" **جندوا** " يضيف قوة ووضوحًا إلى المعنى، حيث يشير إلى تجميع القوى والجيوش، ويؤكد على فكرة أن من يوالي الله لا يمكن أن يهزم، فالعبارة بشكل عام تعبر عن الثقة واليقين بنصر الله تعالى للمؤمنين، وتؤكد على أن كل محاولات الأعداء ستبوء بالفشل، والهدف الإقناعي يتجلى في تقوية الثقة بالله في قلب المتلقي.

ولتصوير فضاعة النفاق نجده يسلك مسلك الجناس مع الاختلاف في حرف حرفين في قوله: «**الموضوع هذا، بحسب التسمية، القرآنية له هو: موضوع النفاق، النفاق أمر خطير جدًا، وأمر شنيع، وأمر فضيع ...**» [64]. وقد وقع بين: " **شنيع** "**و**" **فظيع** " ، وهدف من خلال الجناس إلى تحذير الناس من النفاق وآثاره السلبية.

3- أسلوب الطباق:

والطباق عند أحمد الهاشمي هو الجمع بين لفظين متقابلين في المعنى، وهما قد يكونان [65]:

1. اسمين، نحو: قوله تعالى: (هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) [الحديد: 3] .
2. أو فعلين، نحو: قوله تعالى: (وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى (43) وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا (44)) [النجم: ٤٣ – ٤٤].
3. أو حرفين، نحو: قوله تعالى: (وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) [البقرة: ٢٢٨].

4. أو مختلفين، نحو: قوله تعالى: (أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ) [الرعد: ٣٣] .

ودور البديع لا يقتصر على الوظيفة الشكلية ولا على زخرفة الخطاب، ولكن يهدف إلى (الإقناع) والبلوغ بالأثر مبلغه الأبعد، والبلاغة العربية مليئة بهذه الصور والإمكانيات التي تثبت أن الإقناع من وظائفها الرئيسية وليس وجودها على سبيل الصفة اللفظية فحسب [67].

والصلة وثيقة بين الطباق والإقناع؛ من جهة قدرة الطباق على استثارة المتلقي وإخضاعه لمقتضى القول الذي يخلص إليه بنفسه من خلال عقد المقارنة والموازنة بين المتضادين، وهي مشاركة نصية تلقائية يستعين فيها المتلقي بإدراكه المباشر وفهمه الخاص وقدرته على ملء شواغر القول [68].

وفي ثنايا خطاب السيدين تألق الطباق كأداة بلاغية فاتنة تضفي على الكلمات عمقًا وجمالًا، وتجعل من التناقضات لوحة فنية متكاملة، تعكس قوة الفكرة وجلال المعنى، ومما ورد عند السيد حسن قوله: «**إسرائيل الدولة المتعجرفة المتكبرة، المتعالية، الطاغية التي كانت تخيف الملايين، خلال ثمانية أيام كل العالم شاهدها خائفة وقلقة ومضبوبة ومختبئة، والحدود اللبنانية في عمق كيلو مترلا يوجد شيء، هذا ذل**» [69]. العبارة تحتوي على تضاد في وصف إسرائيل وموقفها مع وصف ردود الفعل والوضع على الحدود اللبنانية، في الجزء الأول، تصف إسرائيل بأنها: "**متعجرفة .ومتكبرة .ومستعلية .وطاغية**" مما يشير إلى قوة وسيطرة، في الجزء الثاني، تصف الوضع بأن العالم شاهدها " خائفة وقلقة ومضبوبة ومختبئة " مما يشير إلى ضعف وخوف، والهدف الإقناعي هنا إظهار حقيقة إسرائيل التي ظاهرها القوة وباطنها الخوف والقلق من مجرد مقاومة تواجها بمسيراتهم.

ومن الجماليات الطباقية عند السيد حسن: « **الإسرائيلي اليوم يخاف من الشجر على حدودنا لأنه يعتبر أن هذه الأشجار تحمي البلد، تحمي القرى، تحمي الناس، تحمي أولئك الذين سيواجهون عدوانه إذا اعتدى لذلك المطلوب أن يكون عنده أشجار، لكن أن يكون عندنا صحراء وهذا المشهد خذوه ليس فقط على الطبيعة، خذوه على كل شيء، يريد العلم عنده والجهل عندنا، يريد أن يكون عنده سلاح نووي ونحن لا يجب أن يكون عندنا صاروخ وبندقية، يريد أن يكون عنده تكنولوجيا ونحن يجب أن نعود ونركب على الحمار والجمل، المطلوب أن يبقى هو فوق بالأشجار والخضار ونحن نبقى تحت بالأرض القاحلة، أنقبل؟ بعد كل هذا الذي مررنا به نحن اللبنانيين يجب ألا يقبل**» [70]. التضاد هنا يستخدم لتوضح الظلم واللامساواة في التعامل بين الطرفين الاسرائيلين واللبنانيين، حيث أن هناك تفضيلًا واضحًا للجانب الآخر في كل شيء، بينما يترك الجانب اللبناني في حالة من الحرمان والتخلف ويظهر التضاد في عدة أمور:

- الطبيعة: (عنده أشجار) مقابل (عندنا صحراء).
- العلم والجهل: (يريد العلم عنده) مقابل (الجهل عندنا).
- التسلح: (سلاح نووي) مقابل (عدم امتلاك صاروخ وبندقية).
- التكنولوجيا: (يواكبها) مقابل (نعود ونركب على الحمار والجمل) .
- الوضع الاجتماعي: (يبقى فوق بالأشجار والخضار) مقابل (نبقى تحت بالأرض القاحلة)

والهدف الإقناعي هنا توضيح التباين الصارخ بين ما يسمع به للجانب الإسرائيلي وما يمنع عن الجانب اللبناني.

ولسيد عبد الملك لمساته الفنية في الطباق، اللمسات التي تظهر آلام وأوجاع الحياة مقابل الآخرة في قوله: « أن هذه الحياة ممزوجة بالمنغصات، ممزوجة بالخير والشر، والسعادة والشقاء، والعسر واليسر، والسقم والعافية، مع أنها حياة محدودة، مؤقته، قصيرة

» [1]. الطباق وقع بين عدة كلمات: "الخير والشر" و" السعادة والشقاء " و " العسير واليسر" و "السقم والعافية"؛ ليوضح أن الحياة تحتوي على تناقضات وتحديات مختلفة، وأنها مزيج من الأشياء الجيدة والسيئة، فهو بهذا الطباق يعزز المعنى ويسلط الضوء على تعقيدات الحياة وطبيعتها المتناقضة، والهدف الإقناعي تحفز المتلقي للاستفادة من الحياة الفانية طلبًا للحياة الأخروية الخالية من كل التفاهات.

وللحديث عن قدرة الله قال: «**الأرض التي يعيش فيها الإنسان الله سبحانه وتعالى هيأها للخلق، هيأها للبشر، جعلها مجهزة تجهيزًا عجيبًا يلائم حياة هذا الإنسان ويناسبه، في بيئتها، في حرارتها، في برودتها بما يلائم هذا الإنسان ويناسبه**» [71]. الطباق وقع بين: (الحرارة .والبرودة)، يسلط الضوء على قدرة الله سبحانه وتعالى في خلق الأرض وتهيئتها لعيش الإنسان عليها وهدف من خلال تأكيد قدرة الله التي تحتاج من المتلقي الشكر والعمل الصالح.

النتائج:

1. تجاوز الدرس البلاغي الحديث قصر وظيفة الأساليب التنظيمية والبيانية والبديعية لبيان المعنى، أو توضيحه، أو تقريب فحواه، أو الوظيفة الجمالية بما تحدثه في العقل من حِراك ذهن، وفي الواجدان من لذة شعورية إلى وظيفة أخرى، كطاقة كامنة في فعالية الأساليب البلاغية وهي الوظيفة الإقناعية والتأثير على المتلقي بطاقات وشحنات إقناعية تتوحد من خلالها مع الخطيب، فيقتنع بما يبثه من القضايا والأفكار، ويتوجه ذهنه ووجدانه، ومن ثم سلوكه إلى وجهات هذه القضايا وتلك الأفكار، ذلك من خلال ما تحدثه هذه الوظيفة من حِراك ذهني يتجاوز طور المتعة الفنية إلى طور الإقتناع، وترسيخ مضامين القيم والمعاني والأفكار المتضمنة في الأساليب البلاغية في نفس المتلقي وفي أعماق ذهنه.
2. خلصت الدراسة – في جانبها العملي التطبيقي على عدة نماذج مختارة من خطابات السيدين حسن نصر الله وعبد الملك الحوثي إلى أن خطاباتهما مفعمة بالأساليب الإقناعية التي اعتمدت في إبرازها العديد من التقنيات البلاغية المتعددة.

التوصيات:

1. أوصي الباحثين المتخصصين في الدراسات العربية بقسميها اللغوي والأدبي بدراسة خطابات السيدين من خلال:
   - دراسة بنية الجمل والتراكيب النحوية.
   - الدراسة الصرفية لبنية الكلمات وتغيراتها.
   - الدراسات السياقية المضمرة كالأنساق الثقافية، والسيميائية، أو ظاهرة كالتداولية .... وغيرها.
2. أوصي الباحثين في الدراسات الاجتماعية بدراسة خطابات السيدين من خلال:
   - دراسة تأثير الخطابات على الرأي العام.
   - دراسة دور الخطابات في تشكيل الهوية الاجتماعية.
   - تحليل الخطابات كأداة للتعبئة الاجتماعية.
   - دراسة تأثير الخطابات على العلاقات الاجتماعية.
3. أوصي الباحثين في الدراسات السياسية بدراسة خطابات السيدين من خلال:
   - دراسة الخطابات كأداة سياسية تحقق أهدافها.
   - دراسة تأثير الخطابات على السياسة الإقليمة والعلاقات الدولية.

[1] السيد / عبد الملك الحوثي: سلسلة المحاضرات الرمضانية، المحاضرة الرابعة، استشعار الارتباط بين الحياة الأولى والأخرى ودوره في الاستقامة،1442هـ، ص 50.

4. أوصي الباحثين في جانب الدين بدراسة خطابات السيدين من خلال:
   - دراسة المرجعيات الدينية التي أسهمت في تشكيل الخطابات.
   - دراسة مواقف السيدين من بعض القضايا العقائدية، والقضايا الأخلاقية.
5. أوصي الباحثين في الجانب الاقتصادي بدراسة خطابات السيدين من خلال:
   - دراسة المواقف من السياسات الدولية.
   - دراسة المواقف من التنمية الاقتصادية.
   - دراسة تأثير الخطابات على السياسات الاقتصادية الحكومية.

المراجع:

1. محمد محمد أبو موسى: خصائص التراكيب – دراسة تحليلية لمسائل المعاني، مكتبة وهبة، القاهرة، ط4، 1416هـ- 1996م، ص75
2. الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ب.ط، د. ت، ص 16.
3. أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعان والبيان والبديع، تحقيق: الدكتور: محمد التنوجي، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان، ط3، 1427هـ - 2006م، ص 80- 81.
4. السيد/ حسن نصر الله: في ختام التظاهر الجماهيرية الكبرى التي نظمها حزب الله في الضاحية الجنوبية تضامنًا مع القدس ورفضًا للقرار الأمريكي 2017/12/11م. www.democraticac.de
5. السيد/ حسن نصر الله: في مهرجان زمن النصر الذي اقامة حزب الله بمناسبة الذكرى الحادية عشرة لانتصار آب في سهل الخيام 2017/8/13م.www.democraticac.de
6. السيد / عبد الملك الحوثي: الفائزون. مجموعة كلمات بمناسبة الذكرى السنوية للشهيد، الذكرى السنوية للشهيد، 1441هـ، ص 155.
7. السيد / عبد الملك الحوثي: الصرخة في وجه المستكبرين، مجموعة كلمات بهذه المناسبة، الذكرى السنوية للصرخة 1438هـ. 2017هـ، ص 96.
8. السيد / حسن نصر الله: في مهرجان ذكرى الشهداء القادة الذي أقامه حزب الله في بلدات النبي شيت وجبشيت وطيردبا 2019/2/16م.www.democraticac.de
9. السيد / حسن نصر الله: في احتفال يوم القدس العالمي في الضاحية الجنوبية، 2017/6/23م. www.democraticac.de
10. السيد / عبد الملك الحوثي: استشعار الرقابة الإلهية، محاضرة استشعار الرقابة الإلهية 14/رمضان/1438هـ ، ص 35.
11. السيد/ عبد الملك الحوثي: سلسلة المحاضرات الرمضانية، المحاضرة الحادية عشرة، قواعد أساسية لبناء نظام اقتصادي وتصحيح الرؤية للجانب المادي، 1440هـ، ص 159.
12. د/ فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني) ، دار الفرقان، أربد، ط 4، 1417هـ.1997م، ص 147.
13. المرجع نفسه، ص 147.
14. المرجع سابق، ص 148.

15. جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي: شرح عقود الجمان في المعاني والبيان، تحقيق : د. إبراهيم محمد الحمداني، ود. أمين لقمان الحبّار، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2011م، ص145

16. السيد/ حسن نصر الله في مهرجان زمن النصر في كلمته حول مجريات معركة جرود عرسال، 26/ 7/ 2017م. www.democraticac.de

17. السيد/ حسن نصر الله في مهرجان زمن النصر في الذكرى الحادية عشرة لانتصار آب في سهل الخيام 2017/8/13م. www.democraticac.de

18. السيد/ عبد الملك الحوثي: سلسلة المحاضرات الرمضانية، المحاضرة الثانية، هدى الله أهم ما نحتاج إلية في الحياة، 1441هـ، ص 29.

19. السيد/ عبد الملك الحوثي: سلسلة المحاضرات الرمضانية /المحاضرة الخامسة، في ظلال سورة الرحمن .تذكير بنعم الله هي الإنسان، ص 74.

20. جلال الدين السيوطي: شرح عقود الجمان في المعاني والبيان، مرجع سابق، ص147.

21. السيد/ حسن نصر الله في مهرجان يوم الشهيد 2021/11/11م www.democraticac.de

22. السيد/ حسن نصر الله، كلمته في إحياء ليلة القدر الثالثة 2018م www.democraticac.de

23. السيد / عبد الملك الحوثي: سلسلة المحاضرات الرمضانية، المحاضرة الثانية، علاقة الصيام والقرآن الكريم بتحقيق التقوى. ص 28.

24. السيد / عبد الملك الحوثي: سلسلة المحاضرات الرمضانية، المحاضرة الخامسة، في ظلال سورة الرحمن .تذكير بنعم الله على الإنسان، 1442هـ، ص 72.

25. جلال الدين السيوطي : شرح عقود الجمان في المعاني والبيان، مرجع سابق، ص 132- 133.

26. السيد /حسن نصر الله حوار معه بتاريخ 2019/9/30م.www.democraticac.de

27. السيد/ حسن نصر الله في المهرجان الانتخابي الذي اقامة حزب الله في مدينتي صور والنبطية 2022/5/9م www.democraticac.de

28. السيد / عبد الملك الحوثي: سلسلة المحاضرات الرمضانية، المحاضرة الثانية، هدى الله أهم ما نحتاج إليه في الحياة، 1441 هـ ، ص 22.

29. السيد/ عبد الملك بن بدر الدين الحوثي: سلسلة المحاضرات الرمضانية، المحاضرة، الحادية عشرة، القرآن المنهل الصافي لتحقيق التقوى، ١٢/رمضان/١٤٣٩هـ ، ص 207.

30. جلال الدين السيوطي: شرح عقود الجمان في المعاني والبيان، مرجع سابق، ص 191.

31. صالح بن عبد الله إبراهيم العثيم: سعر إبراهيم مفتاح .دراية أسلوبية، رساله ماجستير، كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية، جامعه القصيم، السعودية، قسم اللغة العربية وآدابها، ص 139.

32. عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغية، شرح وتحقيق: د. محمد عبد المنعم خفاجي ود. محمد عزيز شرف، دار الجيل، بيروت ط1، ب.ت ، ص 118- 119.

33. السيد/حسن نصر الله: في مهرجان الانتصار الكبير .نصر وكرامة .الذي أقامه تخليدًا للنصر الإلهي في عام 2006م بتاريخ 2019/8/16م www.democraticac.de

34. المرجع نفسه.

35. السيد/ عبد الملك الحوثي: الإسلام في معلمة الاساسية بين الهجرة النبوية والنهضة الحسينية، والمحاضرة الأولى، 1محرم 1440هـ، ص 19.
36. المرجع نفسه، المحاضرة السادسة، 6/محرم/1440هـ، ص 100.
37. أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: مرجع سابق، ص 331.
38. المرجع نفسه، ص 332.
39. السيد / حسن نصر الله، يوم الأثنين 2017/8/28م www.democraticac.de
40. السيد/ حسن نصر الله في ليلة العاشر من محرم 2018/9/19مwww.democraticac.de
41. السيد / عبد الملك الحوثي: سلسلة المحاضرات الرمضانية المحاضرة الثانية هدى الله أهم، نحتاج إلية في الحياة، 1441هـ ، ص 23.
42. السيد عبد الملك الحوثي: سلسلة المحاضرات الرمضانية، المحاضرة الثالثة، عظمة القرآن وكيف تكون علاقتنا به، 1442هـ، ص 43.
43. بدر الدين الزكشي: البرهان في علوم القرآن، تحقيق: إبراهيم محمد أو الفصل، المكتبية العصرية، صيدا، بيروت ب ط، ب ت 2/ 301.
44. عبد القاهر الجرجاني: دلائل الاعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، مكتبية الخانجي. القاهرة، ط 5، 2004م، ص 74.
45. السيد/ حسن نصر الله في الليلة الثالثة من ليالي عاشوراء 2019/9/2م.www.democraticac.de
46. السيد/ حسن نصر الله في المهرجان الانتخابي الذي اقامه حزب الله في مدينتي صور والنبطية 5/9/ 2022م. www.democraticac.de
47. السيد/ عبد الملك الحوثي: الإسلام في معالمه الأساسية بين الهجرة والنبوة والنهضة الحسينية، المحاضرة الرابعة، 4 محرم، 1440هـ، ص 53.
48. السيد / عبد الملك الحوثي: سلسلة المحاضرات الرمضانية، المحاضرة السادسة والعشرون مع الوصايا العشر من سورة الأنعام (١٥). العدل في القول والوفاء بالعهد، 1442هـ ص 448.
49. جلال الدين السيوطي: شرح عقود الجمان في المعاني والبيان، مرجع سابق، ص 241.
50. احمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص 432.
51. أحمد زكي صفوت: حجاجيه البديع في كتاب: (جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة) قسم اللغة العربية، كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية، جامعة القصيم، المملكة العربية السعودية، المجلد 20/العدد1/2025م، ص 58.
52. المرجع نفسه، ص 59
53. د/ محمد العمري: في بلاغة الخطاب الإقناعي ، مرجع سابق، ص113..
54. السيد/ حسن نصر الله في كلمة ألقاها عبر الشاشة حول مجريات معركة حدود عرسال 2017/7/26مwww.democraticac.de
55. السيد/ حسن نصر الله في احتفال يوم الجريح 2019/4/10مwww.democraticac.de
56. السيد / عبد الملك الحوثي: سلسلة المحاضرات الرمضانية، المحاضرة الرابعة، الشيطان رمز الشر ... القصة والدروس (١)، 6 رمضان 1438هـ، ص 58.

57. السيد/ عبد الملك الحوثي: سلسلة المحاضرات الرمضانية، المحاضرة الثامنة، الدعاء ... أهميته ... أسباب الاستجابة وموانعها، 1443هـ، ص 153.

58. خالد كاظم حميدي الحمداوي: أساليب البديع في نهج البلاغة. حراسة في الوظائف الدلالية والجمالية، أطروحة دكتوراة، في فلسفة اللغة العربية وآدابها، 1432.2011م ، ص 67.

59. الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: د/ محمد عبد المنعم خفاجي دار الكتاب اللبناني، لبنان، ط 3، 1971م، 6/ 90.

60. احمد مطلوب: البلاغة والتطبيق، مطابع دار (الحكمة) بغداد، ط 3، 1990م، ص 45.

61. السيد/ حسن نصر الله في احتفال سادة النصر القادة الشهداء، يوم الخميس 2017/2/16م www.democraticac.de

62. السيد/ حسن نصر الله في ختام التظاهرات الجماهيرية الكبرى التي نظمها حزب الله في الضاحية الجنوبية تضامنًا مع القدس ورفضًا للقرار الأمريكي 2017/12/11م.www.democraticac.de

63. السيد/ عبد الملك الحوثي: سلسلة المحاضرات الرمضانية، المحاضرة الثامنة والعشرون، يوم الفرقان (١٠). حتمية الصراع مع قوى الشر والضلال، 1441هـ، ص 464.

64. السيد/ عبد الملك الحوثي: سلسلة المحاضرات الرمضانية، المحاضرة التاسعة، النفاق وخطورته على الفرد والأمة (١)، 25رمضان 1438هـ، ص 166.

65. أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، مرجع سابق، ص 391.

66. أمنور أمود: حجاجية الطباق في خطب الجملة دراسة تداولية في نماذج مختارة، رسالة ماجستير في اللغة والأدب العربي تحصص لسانيات تطبيقية، المركز الجامعي عبد الحفيظ بو الصوف ميلة، الجزائر، 2003م/2024م، ص 63.

67. المرجع نفسه، ص 66.

68. السيد/ حسن نصر الله في الليلة الثالثة من ليالي عاشوراء 2019/9/2مwww.democraticac.de

69. السيد/ حسن نصر الله في مهرجان زمن النصر الذي اقامة حزب الله لمناسبة الذكرى الحادية عشرة لانتصار آب في سهل الخيام 2017/8/13م www.democraticac.de

70. السيد / عبد الملك الحوثي: سلسلة المحاضرات الرمضانية، المحاضرة الرابعة، استشعار الارتباط بين الحياة الأولى والأخرى ودوره في الاستقامة،1442هـ، ص 50.

71. السيد / عبد الملك الحوثي: سلسلة المحاضرات الرمضانية المحاضرة الخامسة في ظلال سورة الرحمن. تذكير بنعم الله على الإنسان، 1442هـ، ص 70.

الأحوال الاقتصادية في بلاد اليمن القديم

زهراء حمزة هادي /أ.د. قيس حاتم هاني الجنابي/ جامعة بابل/ كلية التربية الأساسية

المستخلص:

يقوم اقتصاد اليمن بصورة عامة على التجارة الدولية بشكل رئيس، فضلاً عن الموارد الزراعية العظيمة التي امتازت بها الأرض اليمنية، وكانت اليمن الأغنى والأكثر ازدهاراً بين مناطق الجزيرة العربية، لذا أطلق عليها اليونان والرومان (العربية السعيدة)، وتميزت بلاد جنوب شبه جزيرة العرب بحالة من الاكتفاء الذاتي، وبُعدها عن مراكز التمدن في الشمال لاسيما المحيطة بحوض البحر المتوسط، والتي امتازت بحب السيطرة من جهة، ووعورة الطريق المؤدية إلى الجنوب العربي من جهة أخرى، وهذا جعل اليمن آمنة من الغزو إلى حد ما.

الكلمات المفتاحية: اقتصاد، اليمن، الزراعة، الصناعة، التجارة، النقود، الطرق، النقل.

Abstract:

The Yemeni economy was generally based primarily on international trade, in addition to the abundant agricultural resources that characterized Yemeni lands. Yemen was the richest and most prosperous region of the Arabian Peninsula, which is why the Greeks and Romans called it "Arabia Felix" (Happy Arabia). The southern Arabian Peninsula was characterized by self-sufficiency and its distance from the centers of civilization in the north, particularly those surrounding the Mediterranean basin. These centers were characterized by a desire for dominance, and the difficult terrain leading to southern Arabia also contributed to Yemen's relative security from invasion.

Keywords: Economy, Yemen, Agriculture, Industry, Trade, Money, Roads, Transportation.

المقدمة:

ظهرت في الشرق الأدنى القديم حضارات متميزة كان لها أثر بارز في العالم القديم، وكانت الجزيرة العربية واحدة من أهم المناطق التي ظهرت فيها حضارات متميزة في حقبة التأريخ القديم، وتعد اليمن واحدة من أهم تلك الحضارات التي برزت في هذه المنطقة، وظهرت في اليمن مجموعة مهمة من الحضارات المبكرة التي تعاقبت على حكم الجنوب العربي القديم.

ويحاول البحث التركيز على الجانب الاقتصادي في اليمن القديم من خلال استعراض أهم مقومات هذا الجانب، ولعل الزراعة واحدة من أوائل النتاج الاقتصادي في الحضارات القديمة، وكان لليمن نصيب مهم في الإنتاج الزراعي انعكس على توفير بيئة صالحة للعيش في الجنوب العربي القديم، وتأتي الصناعة لتوفر احتياجات اليمنيين، الذي برعوا في صناعات عدة لم تكن للاستهلاك المحلي فقط وانما توجر بكثير من تلك المنتجات، وكان للتجارة الأثر الأبرز في حياة اليمنيين الاقتصادية، الأمر الذي انعكس على ثرائهم بشكل كبير، فكانوا سادة التجارة العالمية القديمة، وكان استخدام النقود في اليمن القديم تلبية لحاجتهم في تبادل السلع والمتاجرة الناجحة، ولتسهيل نقل التجارة، سلك اليمنيون الطرق التجارية الدولية التي ارتبطت بعضها بهم، مستخدمين الحيوانات القادرة على تلبية نقل تلك التجارة الضخمة التي تميزوا بها.

الزراعة:

تميزت اليمن ببيئة زراعية وأمطار موسمية واعتدال في المناخ دَعَّمَتْ عَملية النهوض الحضاري لسكان تلك البقعة من جزيرة العرب دون سواها[1]، وقد وصف (ابن الفقيه الهمذاني)[2] الزراعة في اليمن قائلاً: ((وباليمن من أنواع الخصب وغرائب الثمر وطرائف الشجر))، وكان الملك نظرياً مالك الأرض، وكانت الأراضي خاصة تعود إيراداتها له، ويشير النقش المرسوم (RES2973) إلى أراضي خاصة بالملك (أرض ملكن) أي (أراضي الملك)[3]، ومعظم الأراضي يمنحها الملك مقابل خدمات عسكرية، أو قد يؤجرها لمن يشاء، وأغلب هذه الأراضي يملكها الأذواء والمزاود الذين هم من المجالس الاستشارية، ويعمل في الأرض فلاحون (ادم) بإيجار، وتفرض عليهم عقوبات قد تصل إلى حد الجلد إذا أهملوا، ويعمل في بعض الأراضي أرقاء[4].

كانت اليمن تزرع أهم أنواع الأفاوية والعطور العالمية والبخور، وتعد أكبر مصدر لها في العالم القديم، وساعدت هذه الزراعة على ازدهار تجارة اليمن مع البلدان الأخرى، إذ كان لهذه المنتجات أهمية بالغة في العالم القديم، ويقف البخور على رأس البضائع الثمينة المطلوبة في ذلك الزمن، وكان سعره يوازي سعر الذهب في الوقت الحاضر، لذا فقد كان لا يشتريه لغلائه سوى رجال الدين لاستخدامه في المعابد والطقوس الدينية التي تستنزف القسم الأكبر منه، ويستخدمه الملوك والأثرياء لحرقه في المناسبات الدينية وفي اجتماعاتهم [5].

يُعَدْ (اللبان) من المنتجات المهمة التي تزرع في اليمن، ويوصف بأنه صمغ يحرق فيصدر منه دخان كثيف ذو رائحة طيبة، ويستخرج من شجرة تعرف بشجرة (اللبان)، وهو من السلع الرئيسية[6]، واستعمل (اللبان) في تحنيط الموتى لاسيما في مصر، كذلك يدخل (اللبان) في صناعة الأدوية[7]، وهناك مدينة اسمها (ظفار) غير العاصمة (ظفار) تقع إلى الشرق من حضرموت اشتهرت بإنتاج اللبان، قال عنها (ياقوت الحموي)[8]: ((إن اللبان لا يوجد في الدنيا إلا في جبال ظفار وهو غلة لسلطانها وإنه شجر ينبت في تلك المواضع مسيرة ثلاثة أيام في مثلها وعنده بادية كبيرة نزلة ويجتنيه أهل تلك البادية وذلك أنهم يجيئون إلى شجرته ويجرحونها بالسكين فيسيل اللبان منه على الأرض ويجمعونه إلى ظفار فيأخذ السلطان قسطه ويعطيهم قسطهم ولا يقدرون أن يحملوه إلى غير ظفار أبداً وإن بلغه عن أحد منهم يحمله إلى غيره بلده أهلكه)).

و(المُر) من المنتجات اليمنية التي أطلق عليها في المسند (أمرو)، وهو من المنتجات الغالية والثمينة، ويستخدم (المُر) في التحنيط ولعلاج بعض الأمراض [9]، وتنتج اليمن أيضاً (الصَّبِر) ويعرف أيضاً بـ(الصبارة)[10]، ويستفاد منه في استخراج العطور والأدوية[11].

تسقط على اليمن أمطار وفيرة في الصيف تأتي بها الرياح الموسمية من شرقي أفريقية، وساعدت هذه الأمطار على نشوء النهيرات الصغيرة والسيول التي يستفاد منها في الزراعة[12]، وقام اليمنيون ببناء السدود للإفادة من مياه الأمطار، وقد أنشأ الحميريون عدة سدود، وأقيمت على هذه السدود في عرض الأودية لحجز السيول ورفع المياه، وهذا يدل على مستوى راق من

---

(1) منى يوسف نخلة، علم الآثار في الوطن العربي، مطبعة جروس برس، طرابلس، لبنان، 1999م، ص86.

(2) ابن الفقيه الهمذاني، أبو بكر أحمد بن إبراهيم، مختصر كتاب البلدان، تحقيق: دي غويه، مطبعة بريل، ليدن، 1885م، ج1، ص34.

(3) ريكمانز، السماء والأرض في النقوش جنوب الجزيرة، ترجمة: خالد العسلي، مجلة العرب، مج7، ج2 (ص ص96-111)، الرياض، 1392هـ، ص110.

(4) صالح احمد صالح العلي، تاريخ العرب القديم والبعثة النبوية، شركة المطبوعات، بيروت، 2000، ص39.

(5) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، ومكتبة النهضة، بغداد، 1968-1973م، ج2، ص66؛ صالح احمد العلي، تاريخ العرب القديم، ص ص19-20.

(6) ولتر مولر، طريق اللبان القديم، ترجمة: محمد يوسف عبد الله، نشر ضمن كتاب أوراق، صنعاء، 1985م، ج2، ص45.

(7) De Lacy O'Leary, Arabian before Muhammad, Kegan Paul, Trench, Trubner & Co. Ltd., London, 1927, p.51.

(8) الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله(ت626هـ)، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت (1979م)، ج4، ص60.

(9) حسن صالح شهاب، أضواء على تاريخ اليمن البحري، ط2، دار العودة، بيروت، 1981م، ص140.

(10) الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت)، ج3، ص325.

(11) حسن صالح شهاب، أضواء على تاريخ اليمن البحري، ص140.

(12) المصدر نفسه، ص140.

التحكم بالمياه الزائدة عن الحاجة في أوقات الأمطار للاستفادة منها في وقت الجفاف أو في أوقات انحسار الأمطار، فكثرت السدود لهذا الغرض، وكان كل سد يسمى باسم خاص بهم مثل (سد شحران) و(سد لحج) و(سد سحر) و(سد ذي رعين) و(سد حبايض) و(سد شبام) وغيرها[1]، إلا أن أهم سد معروف في اليمن هو سد مأرب (العرم) ذو الشهر الواسعة الذي أنشأ في زمن الدولة السبئية، وذكر هذا السد في القرآن الكريم[2]، ويذكر (فون فيزمن)[3] أن سد مأرب أصابه الضرر للمرة الثالثة والرابعة في مدة حكم الملك (شرحبيل يعفر)، وكان ذلك في عامي 449م و450م أو 455م و456م، وتحدث النقشان الموسومان (CIH540) و(Gl554) بالتفصيل عن مراحل إصلاح السد، وجاء في النقش الموسوم (Gl554) قيام الملك (شرحبيل يعفر) بتجديد بناء السد وترميمه على مقربة من (رجب) وعند (عبران)، فضلاً عن إصلاح أجزاء منه عند موضع (طمحن) (طمحان)، فحفر مسيل الماء وقوى فروعه وبنا القواعد والجدران بالحجارة، وكذلك تم تقوية فروعه وبناء أقسام جديدة بين (عيلان) و(مفكوك أو مفلل)، وجدد سد (يسرن)، ويذكر النقش أن هذه الأعمال تمت في عام 564-565ح الموافق 449-450م[4]، وأدخلت إلى السد إضافات متعددة حتى اتخذ شكله النهائي في عهد الملك (شمر يهرعش) في نحو سنة 300م، وكان لاضطراب الأحوال السياسية في اليمن أواخر عصر الدولة الحميرية أثر في إلحاق الإهمال بالسد وتصدعه[5].

ذكر (ابن خلدون)[6] أن الذي بنا سد مأرب هو ((سبأ بن يشجب وساق إليه سبعين وادياً وعاقه الموت عن إتمامه فأتمه ملوك حمير من بعده))، أما (ابن كثير)[7] فقد ذكر أن ((أول من بناه سبأ بن يعرب ... ولم يكمله فكمله حمير من بعده))، ويبدو من خلال هذه الروايات أن الذي بنا سد (مأرب) هم السبئيون وأتم الحميريون بناءه وتوسيعه، واستخدام اليمنيون في سقي مزروعاتهم إلى جانب مياه الأمطار مياه الينابيع والآبار الطبيعية والصناعية[8].

الصناعة:

يعد اليمنيون من أمهر من عمل في الصناعات عند العرب، فاشغلوا في صناعة النسيج، وعرفت دور النسيج في المسند باسم (تعمت)، وتمثل الصناعات النسيجية مورداً مهماً من موارد الدولة، وكان للملوك دور نسيج خاصة بهم عرفت بـ(دور النسيج الملكية) (تعمت ملكن) أي (المنسج الملكي) أو (دار النسيج الملكية)[9]، ومن الصناعات الأخرى التي اهتموا بها هي الصناعات المعدنية ومنها الصياغة، وأشار الكاتب الكلاسيكي (ارثميدوروس)[10] إلى أن سكان سبأ كانوا يحصلون على الذهب في هيئة كتل أو كرات صغيرة ليعدنوها إلى جيرانهم، كما اشتهروا بصناعة الأحجار الكريمة منها: العقيق والكهرمان واللؤلؤ وأنواع الخرز المختلفة، وعثر في اليمن على مصنوعات حديدية من أدوات الزراعة وأسلحة وسروج وأدوات حرث وغيرها[11].

(1) جرجي زيدان، العرب قبل الإسلام، دار الهلال، بيروت، (د.ت)، ص169.

(2) سورة سبأ، الآية: 16.

(3) Wissmann, H. Von, Himyar Ancient History, Le Museon, 77-3, 1964, p.493.

(4) Wissmann, Himyar, pp.493-494.

(5) صالح احمد العلي، تاريخ العرب القديم، ص25.

(6) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي، مقدمة ابن خلدون، تحقيق: محمود يوسف زايد، ط5، دار القلم، بيروت، 1984م، ص346.

(7) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، (د.ت)، ج2، ص159.

(8) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج7، ص ص189-186.

(9) المصدر نفسه، ج7، ص ص505-589.

(10) Strabo, the Geography of Strabo Founded by: James Loes London, XVI, 4: Ch, 18.

(11) يوسف محمد عبد الله، أوراق في تاريخ اليمن وآثاره، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1989م، ص126، ص129.

كما عرف اليمنيون ومنهم الحميريون صناعة العطور التي ذكرت في المسند باسم (الطيب) وتاجروا به[1]، وتعد الصناعة الخشبية من أقدم الصناعات اليمنية، ويعرف الخشب بالمسند باسم (عض)[2]، ومن الصناعات الخشبية الشبابيك[3] والسفن[4]، أما الصناعات الجلدية فقد تميزت اليمن بها أيضاً، فصنعت الأحذية الجلدية والبسط الجلدية، وصنعوا من الجلد أيضاً أوعية لحفظ الماء والسمن والعسل وأكياس لخزن البذور[5]، كما صنعوا من الجلد السروج وأدم الكتاب وحواشي الدروع، وأحدثت صناعة (السروج) تقدماً تقنياً أعطى للمحاربين تفوقاً عسكرياً حاسماً، إذ أن الفرسان العرب وبفضل هذا السرج الجديد استطاعوا أن يزيدوا بصورة خطيرة من مجال فعلهم[6].

وقاموا بصناعة مختلفة أنواع الخمور [7]، والزيوت الصابون[8]، والفحم[9]، وبرعوا في صناعة القطع الفنية الصغير، وأشار الكتاب اليونان والرومان لهذه الصناعة في الأناشيد التي ترنموا بها ثناءً على الكؤوس والأوعية التي صنعها اليمانيون من الذهب والفضة[10].

وزعم الإخباريون العرب أن (شمر يرعش) أول ملك أمر بصناعة الدروع السوابغ، وفرض على فارس ألف درع، وعلى الروم ألف درع، وعلى أهل بابل وعمون والبحرين ألف درع[11]، ومع أن مثل هذه الأخبار عارية عن الصحة ومبالغ فيها إلى حدٍ غير معقول، إلا أنها مع ذلك تشير إلى وجود صناعة متميزة للدروع في بلاد اليمن أبان مدة حكم الحميريين.

ولابد من القول أن عمال الصناعة كانت لهم هيئات ونقابات تألفت من جماعات اتحدت مصالحها على العمل الموحد، وصار لها رأي مقبول ومسموع ويأخذ به الملك والأقيال، وجاء في النقوش [12] أن أصحاب المهن والحرف كانت لهم مجالس (مزاود) خاصة بهم بمثابة دار الندوة والرأي، والشائع أن لكل جماعة مجلساً[13].

التجارة:

كان للتجار مكانة مميز في المجتمع ويسمى التاجر في النقوش (مكر)، وربما هي مأخوذة من اللفظة الأكدية (تَمْقَر) أو (تَمْجَر) أي بمعنى (تاجر)[14]، ويطلق على التجارة في المسند لفظة (شتيط)[15].

كانت اليمن مركزاً أساسياً لتبادل السلع، بسبب الموقع الجغرافي على طريق الهند وقربه من السواحل الأفريقية، مما جعلها مركزاً مهماً لتجارة المرور (الترانزيت)، لسيطرة بحاريها على الملاحة في البحر العربي والبحر الأحمر[16]، فضلاً عن أن الجزء الأكبر

(1) حسن صالح شهاب، أضواء على تاريخ اليمن البحري، ص147.

(2) Ja557.

(3) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج7، ص ص548-545.

(4) حسن صالح شهاب، أضواء على تاريخ اليمن البحري، ص179؛ منذر عبد الكريم البكر، دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام، (تاريخ الدولة الجنوبية في اليمن)، البصرة، 1980م، ص386.

(5) نزار عبد اللطيف الحديثي، أهل اليمن في صدر الإسلام، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، (د.ت)، ص ص42-43.

(6) ريكمانز، حضارة اليمن قبل الإسلام، ص129.

(7) حسن صالح شهاب، أضواء على تاريخ اليمن البحري، ص125.

(8) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج7، ص75، ص79.

(9) منذر عبد الكريم البكر، دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام، (تاريخ الدولة الجنوبية في اليمن)، ص91.

(10) سبتينو موسكاتي، الحضارات السامية القديمة، ترجمة: السيد يعقوب بكر، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1975م، ص200.

(11) وهب بن منبه، كتاب التيجان في ملوك حمير، مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، صنعاء(1347هـ)، ص249.

(12) RES3564.

(13) جواد مطر الحمد، الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في اليمن القديم، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1998م، ص282.

(14) حسن ظاظا، الساميون ولغاتهم، الإسكندرية، 1971م، ص146.

(15) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج7، ص231.

(16) صالح احمد العلي، تاريخ العرب القديم، ص20؛ منى يوسف نخلة، علم الآثار في الوطن العربي، ص86.

من مقومات التجارة (مواردها الأولية) كان موجوداً في البلاد[1]، وكان للمراكز التجارية التي أقامها اليمنيون على سواحل الهند والصومال قد أتاحت لهم فرصة احتكار تجارة الذهب والبخور والمر وأخشاب الزينة التي تصدرها تلك الناطق إلى الشمال، فاستطاعوا تلبيةً لحاجاتهم ومصالحهم التجارية بلوغ مناطق قصية من غير أي فتح سياسي كبير بفضل استيطانهم في الناطق التي يتاجرون منها وإليها[2]، وكانوا وسطاء نشيطين في تجارتهم الواسعة، فنقلوا من الهند والصين وسواحل أفريقية الشرقية إلى المصريين والآشوريين والفينيقيين المعادن الثمينة والأقمشة الحريرية والتوابل والأفاوية وريش النعام[3].

وتاجروا بمختلف أنواع المنتجات الزراعية سواء المزروعة في الداخل أو المستورد من الخارج، فضلاً عن تصديرها لسلع أخرى بعضها خام والآخر مصنع، ومنها: الأحجار الكريمة والمنسوجات والجلود والعنبر والملح والخمور غيرها.

لذلك أصبح اليمن مرسى المحيط الهندي للتجارة مع البحر المتوسط، وتحكم بالطرق التجارية بين الشرق الآسيوي والغرب الأفريقي، وسلكوا لهذا الغرض طريقين أحدهما بري والثاني بحري، وكانوا يفضلون الطريق البري لأنهم يريدون إبعاد الغرباء عن هذه التجارة مستفيدين من الصعوبات التي تعترض الرحالة في الصحاري الواسعة، وسياستهم هذه حملت (بلينيوس)[4] على قول بأنه: ((لا يوجد لاتيني وصف شجرة البخور لأنه لم يكن من السهل الوصول إليها))، وكانت السفن اليمانيين تفرغ حمولاتها في مسقط، ثم تحملها قوافلهم عبر بادية الدهناء والخليج العربي إلى نجد فالحجاز، أو تفرغها في الموانئ اليمنية حيث تتجه تجارتهم عبر طريق درب أسعد كامل شمالاً حتى تصل إلى الحجاز حيث تتجه شمالاً إلى معان، لتتفرع إلى فرعين: إما إلى مصر عبر سيناء، أو إلى فلسطين وفينيقية وتدمر[5].

وسارت القوافل في الطرق التجارية الآتية: الطريق الجنوبي الشمالي من مأرب إلى البتراء، ويسمى الطريق البري الذي يربط المناطق المرتفعة الزراعية بالمناطق الشمالية حيث يصل إلى شمال (الطائف) ويتصل بطريق (الحجاز)، يسمى باسم (درب أسعد كامل) - نسبة إلى الملك الحميري أب كرب أسعد – ويعد هذا الطريق تحولاً خطيراً في الطرق البرية القديمة التي كانت منتشرة في حافة الصحراء الشرقية المتصلة بالجوف، إذ يشير إلى تحول هذا الطريق من الأرض السهلة إلى الهضاب التي يعيش عليها الزارعين والتي تعتمد زراعتهم على المطر، وشمل هذا التحول فيما شمال طريق البخور واللبان القديم[6]، ويرى أحد الباحثين أن اليمن لابد وأن تكون قد نظمت طرقها المتجهة إلى شمال بلاد العرب لتأمين سلامة قوافلها التجارية المتجهة إلى العراق والشام ومصر[7]، هذا فضلاً عن طريق مأرب – جرها[8] - البتراء[9].

كانت الحيوانات (الحمير والبغال والإبل والخيول) الوسيلة الرئيسية لنقل البضائع عبر الطريق البري[10]، وأخذت الطرق التجارية الداخلية تتغير شيئاً فشيئاً مع بداية العصر الحميري حتى صار منذ القرن الرابع الميلادي يمتد من (عدن) إلى العاصمة (ظفار) على ساحل البحر الأحمر[11]، وتعد (نجران) من أهم مدن تجارة المرور (الترانزيت) في شبه الجزيرة العربية، وقد أسهمت العلاقات المالية الواسعة التي سادتها إلى نموها بصورة ملحوظة[12].

---

(1) لطفي عبد الوهاب يحيى، العرب في العصور القديمة، دار النهضة العربية، بيروت، 1979م، ص355.

(2) سبتينو موسكاتي، الحضارات السامية القديمة، ص197؛ منى يوسف نخلة، علم الآثار في الوطن العربي، ص87.

(3) شوقي أبو خليل، الحضارة العربية الإسلامية، طرابلس، ليبيا، 1987م، ص104.

(4) نقلاً عن: منى يوسف نخلة، علم الآثار في الوطن العربي، ص87.

(5) شوقي أبو خليل، الحضارة العربية الإسلامية، ص104.

(6) محمد عبد القادر بافقيه، تاريخ اليمن القديم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1985، ص ص576-577.

(7) عمر فروخ، تاريخ الجاهلية، دار العلم للملايين، بيروت، 1964م، ص56.

(8) ذكرها الهمداني باسم (الجرعاء) وهي سوق لبني تميم في الإحساء. (الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب، صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1989م، ص281).

(9) محمد بيومي مهران، الحضارة العربية القديمة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1988م، ص ص290-291.

(10) جواد مطر الحمد، الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في اليمن القديم، ص ص296-302.

(11) Wissmann, Himyar, p.493.

(12) Manhood Ibrahim, Merchant Capital and Islam, University of Texas, USA, 1990, pp.26-30.

أما تجارة البحر فقد أطلق عليه اليمانيون نفس اللفظة التي نطلقها عليه في الوقت الحاضر (بحرم) أي البحر[1]، ويفهم من النقوش اليمنية القديمة أن البحر كان له إلهه الخاص ويسمى (إله البحر)[2]، وكان لطول السواحل التي تحيط باليمن من جهة الجنوب والغرب، أوسع الأثر في توجه سكان اليمنيين للاستفادة من ثروات البحر وركوبه، مما جعلهم على معرفة بالرياح الموسمية التي تهب في البحر العربي والبحر الأحمر، إذ تهب الرياح في بحر العرب صيفاً من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي، ثم تهب بالعكس في فصل الشتاء[3].

تعد اليمن نهاية الطريق البحري الجنوبي القادم من الهند، وهو طريق أقصر من الطريق الجنوبي وأقل كلفةً، إلا أن نشاط أي من الطريقين يعتمد على الاستقرار والأمن السياسي في نهايته أي في وادي الرافدين واليمن[4]، وهناك أكثر من طريق بحري ينطلق من موانئ اليمن، ومنها الرحلة التي تنطلق من الميناء (قنا) و(عدن) باتجاه باب المندب، وتسير السفن في البحر الأحمر أو ترسوا في الموانئ الموجودة على طول الساحل الشرقي، وقد تنتهي في خليج العقبة حيث ميناء (إيلات) لتفرغ حمولاتها الخاصة ببلاد الشام وفلسطين لتنقل بعد ذلك عبر البر، أو تكمل هذه السفن رحلتها إلى خليج السويس للتفريغ أو لتشحن بالسلع المصرية، وامتازت هذه الطريق بكثرة الشعب المرجانية التي تؤثر في سير السفن[5]، وهناك طريق بحري آخر ينطلق من ميناء (مخا) أو (عدن) إلى ميناء (أدوليس) على الساحل الشرقي لأفريقيا، أو تواصل السفن طريقها إلى الموانئ الأفريقية، وتعد جزيرة (سقطرة) محطة للاستراحة والتزود بالحاجات الضرورية في حالة توجه هذه السفن إلى السواحل البعيدة، أما الطريق البحري الرئيس الذي يربط الهند باليمن والخليج العربي، فتنطلق سفنه من ميناء (عدن) أو (قنا) إلى الشرق لتسير السفن بمحاذاة الساحل العربي، وعند اقترابها من مضيق (هرم) إما تتجه شمالاً إلى الخليج العربي لتفريغ حمولاتها في موانئ العراق الجنوبية أو تشحن بالبضائع الهندية[6]، وهذه الطرق هي التي جعلت لأهل اليمن تأثيراً في التجارة الدولية، بِعَدِّهِمْ مساهمين فيها أو وسطاء في التبادل بين الهند وشرق أفريقيا من ناحية وبلاد الرافدين والرومان من ناحية أخرى[7]، وتطلب النشاط البحري اليمني نشوء موانئ اكتسبت شهرة واسعة منها (ميناء مخا = موزع) و(ميناء قنا) و(ميناء عدن) و(ميناء سأمهر بظفار)، وكانت هذه الموانئ فضلاً عن كونها مراسي للسفن فهي أسواق تجارية تتم فيها عمليات التبادل التجاري[8].

النقود:

أصل العملة النقدية في اليمن يعود إلى بداية القرن الرابع قبل الميلاد، واستعملت المجتمعات التجارية في اليمن النقود في معاملاتها إلى جانب المقايضة التي بقيت مستخدمة دوماً، ووصلتنا مجموعة من العملات النقدية الفضية ذات الحجم الصغير وعدد مماثل من القطع البرونزية وبعض القطع الذهبية[9]، وتجدر الإشارة إلى أن اليمنيين استعملوا الأحجار في عمليات البيع والشراء، إذ حفروا على هذه الأحجار صور آدمية وحيوانية وطيور، كما استعملوا ما يشبه النقود على النمط المعروفة بالبومة وهو عبارة عن حجر كريم مخلوط بمعادن على شكل مثلث ربما سك في الألف الثالثة قبل الميلاد[10]، وهذا يعني وبوضوح إلى أن الجنوب العربي عرف التعامل بالنقود أو بسبائك أقرب ما تكون إلى النقود.

---

(1) Gl850.

(2) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج7، ص243.

(3) صالح احمد العلي، تاريخ الرعب القديم، ص20.

(4) عبد العزيز الدوري، التكوين التاريخي للأمة العربية (دراسة في الهوية والوعي)، بيروت، 1984م، ص27.

(5) محمد عبد القادر بافقيه، موجز تاريخ اليمن قبل الإسلام، الفصل الأول من كتاب (مختارات من النقوش اليمنية القديمة)، ص ص13-65، تونس، 1985م، ص28.

(6) المصدر نفسه، ص28؛ جواد مطر الحمد، الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في اليمن القديم، ص ص209-210.

(7) اغناطيوس كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة: صلاح الدين عثمان هاشم، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1963م، ص40.

(8) جواد مطر الحمد، الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في اليمن القديم، ص317.

(9) سيدوف ودافيدا، ألكسندر وبربارا، النقود في اليمن عبر التاريخ، من كتاب البنك المركزي اليمني، ترجمة: إبراهيم العشماوي، (د.ت.م)، ص32.

(10) المصدر نفسه، ص33.

وعلى الرغم من إحجام المصادر التأريخية عن ذكر قيام أهل اليمن بسك عملات نقدية، إلا أن النقوش المسندية أشارت إلى تسمية العملة النقدية، واستخدمت مفردات منوعة كان أكثرها استخداما هو (**بلط**)[1]، كما أطلقت لفظة (حبصت) على العملة المسكوكة من معادن أخرى غير الذهب والفضة[2]، ووردت تسمية (حيئليم) أطلقت على قطعة نقدية، وربما تكون هذه التسمية نسبة إلى شخص اسمه (حي إل)[3].

وورد ذكر بعضها مع أسماء ملوك سبئيين وقتبانيين في تدوين عقود زراعية أو ضرائب، وفي الغالب ذكرت عند الإشارة إلى دفع مبلغ أو تحديد غرامات، وخلال زمن طويل صنفت المسكوكات في جنوب الجزيرة العربية عموما بوصفها العملة النقدية العربية الجنوبية نظراً لوجود أسماء عربية فيها كحريب وريدان وشقير، ويعتقد أن اليمنيين استخدموا المحار والأحجار الكريمة وغيرها كوسائل للمقايضة بسلع أخرى في عصور ما قبل التاريخ أي العصور الحجرية، واستمر التعامل بمثل هذا النوع من الوسائل حتى اكتشاف المعادن مثل النحاس والبرونز والفضة في بداية الألف الثالث قبل الميلاد، ويحتمل استخدام المحار كعملة في اليمن في زمن مبكر، لاسيما وأن لها أشكالا متشابهة وذات أحجام مختلفة ولها نفس التكوين الطبيعي، وهناك محار يعتقد أنه تم استخدامها في بداية التاريخ كعملة، ورسم عليها رؤوس آدمية وعلى حافاتها وبأحرف مسندة مركبة لتعطي اسم الشخص صاحب الصورة، وهذا أمر يتكرر في قطع حجرية أو معدنية أخرى إلى جانب أشكال حيوانية وطيور وكتابات تدل على أنها ذات طابع يمني[4].

كما تشير مجموعة النقود العربية الجنوبية التي عثر عليها إلى وجود مسكوكات نقدية سكت في بلاد اليمن[5]، والملاحظ على هذه المسكوكات تأثرها بالنقود اليونانية، ومن هذه التأثيرات نقش صورة البومة الذي هو رمز أثينا على المسكوكات اليمنية، مما يشير إلى أن اليمنيين أخذوا قالب النقد اليوناني ونقشوا عليه كلمات بالخط المسند[6]، كما نقش اليمنيون على نقودهم صور لملوكهم وأسماء المدن التي ضربت بها هذه النقود، كما زينت برموز اجتماعية ودينية كصور الصقر أو رأس الثور الذي رمز للزراعة، أو صور الهلال وهو رمز ديني عندهم[7]، وهناك عملات فضية بأحجام مختلفة تتميز بأن على الوجه رأس امرأة أو رجل متجه للجانب الأيسر وتملأ مساحة الوجه ملامح بارزة، وفي الظهر شكل البومة الواقفة على فرع نباتي أفقي ويتجه الجسم للجانب الأيسر بينما يلتفت الرأس للأمام بعيون واسعة ومدورة ومنقار مدبب، ويقدم الكتاب عملة رأس امرأة والبومة من فئات الدرهم والنصف والربع ومواصفاتها من الأمام والخلف[8].

ومع أن اليمن هي الأخرى لم تكن تنتج المعادن بل كانت تستوردها، على شكل خامات تصنعها ثم تصدرها إلى جيرانها، ومن بين ما برعت فيه في مجال الصناعات المعدنية سكها للنقود، إذ يذكر المؤرخ الكلاسيكي (سترابو) أن سكان شمال سبأ كانوا يحصلون على الذهب على هيئة كتل أو كرات صغيرة لِيُعَدِّنوها إلى جيرانهم[9].

وتذكر (غوستاف لوبون): "اشترى مسيو شوبنجر حديثاً مئتي قطعة من نقود ملوك اليمن، التي اكتشفها عربي في صنعاء التي ترجع إلى ما قبل الميلاد، فهذه النقود لم يوجد منها قبل ذلك، في جميع المتاحف الأوربية سوى قطعتين أو ثلاث قطع ولها أهمية

---

(1) المصدر نفسه، ص35.

(2) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج7، ص492.

(3) نقوش الكوربوس: CIH376، CIH248 . نقلاً عن: جواد مطر الحمد، الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في اليمن القديم، ص350.

(4) سيدوف ودافيدا، النقود في اليمن عبر التاريخ، ص35.

(5) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج7، ص493.

(6) جرجي زيدان، العرب قبل الإسلام، ص157؛ جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج7، ص493.

(7) جرجي زيدان، العرب قبل الإسلام، ص157؛ ناهض عبد الرزاق القيسي، المسكوكات النقدية في البلدان العربية قديماً وحديثاً، بيت الحكمة، بغداد، 2011م، ص ص25-26.

(8) سيدوف ودافيدا، النقود في اليمن عبر التاريخ، ص36.

(9) Strabo, The Geography of Strabo, XVI, 4: Ch, 18.

خاصة، وكان أحد وجهيها صورة جانبية لملك متوج يذكرنا شعره المضفر بضفائر ملوك الرعاة الذين خرجوا من بلاد العرب وملكوا زمناً طويلاً، وعلى الوجه الآخر صورة بومة"[1].

وتعد معين من أقدم ممالك الجنوب العربي، وامتدت بنشاطها التجاري إلى شمال شبه جزيرة العرب[2]، وتلبيةً لهذا التوسع التجاري سك المعينيون في أواخر مدة حكمهم عملات نقدية، ويبدو أن للتجارة أثر واضح في سرعة انتقال سك العملات النقدية إلى بلاد العرب الجنوبية، إذ لم تستغرق مدة طويلة من اكتشاف واستعمال النقود على نطاق واسع حتى انتقلت إلى اليمن، وعثر على قطعة نقدية فضية تعود للمدة الدولة المعينية، وعليها صورة ملك جالس على عرشه واضعاً رجليه على عتبة، وهو حليق الذقن متدل شعره على هيئة ضفائر، وأمسك بيده اليمني وردة أو طيراً، وأمسك بيده اليسرى عصاً طويلة وخلفه اسمه، وكتب بحروف بارزة بخط المسند[3]، ويعود تاريخ هذا النقد إلى القرن الثاني أو الأول قبل الميلاد، ويرجح أنها ضربت في عهد الملك المعيني (أب يثع)[4].

وقلدت العملة القتبانية في الفترة الأولى وكلها من الفضة العملات الأثينية ذات الأسلوب القديم التي نقش على الوجه رأس أثينا وعلى القفا بومة مع غصن زيتون[5]، وأرخت هذه العملة بفضل وجود الرمز الملكي لملوك قتبان بالقرن الرابع قبل الميلاد، ووصلتنا نقود معينية عبارة عن دراهم (دراخما) نقش عليها صورة الملك (أب يثع) جالساً على عرشه وشعره يتدلى على شكل ضفائر وهو حليق الذقن ممسكاً بيده اليمنى ما يشبه الطير، وفي يده اليسرى عصا طويلة، ونقش اسمه حول صورته بالخط المسند، وعلى الوجه الثاني يظهر صورة طائر البوم، وفي بعضها يظهر على الوجه الثاني للمسكوك صورة الخنجر، وقطعة الدراخما التي وصلتنا من مدة الدولة المعينية تشير بوضوح إلى خبرة ودراية الصناع الذين قاموا بسك هذه العملة، إذ هذه القطعة مضروبة ضرباً متقناً، كما أن حروفها واضحة ودقيقة[6]، أما ظاهرة إطلاق الملك اليمني لشعره على شكل ضفائر فتشير (غوستاف لوبون) إلى أن هذه الصورة تذكرنا بالملوك العرب الرعاة الذين خرجوا من بلاد العرب وملكوا زمناً طويلاً[7]، وإطلاقه للحيته وحلقه الشارب، والتي نقشت على النقود اليمنية فهي تشير إلى تأثر واضح بالملوك المصريين والأحباش[8].

كما اشتهرت مملكة قتبان (**1000-300ق.م**) وعاصمتها تمنع بسكها للعملات النقدية، وتعد مدينة (حَرْب) (حَريبْ) من أبرز المدن التي سكت بها النقود اليمنية في مدة حكم الدولة القتبانية، وذكرت النقوش المسندية النقود التي سكت في هذه المدينة وحملت اسمها[9]، ولفظة (حرب) هو اسم للقصر الملكي[10].

أما نقود الدولة الحضرمية فمن المعروف أنها سكت من معدن البرونز وخليط من معادن أخرى، وبها شقوق وحفر يبدو أنها عملت هكذا لتؤدي الغرض، إذ أنها ذات وجهين أحدهما عليه رأس شخص ذكر أو أنثى وفيها الشعر منتشرا كأشعة، وعليها كتابة بالخط المسند، والوجه الآخر عليه رسم ثور واقف وأعلاه ثلاثة حروف هي (ش ق ر)، وشقر اسم القصر في شبوة عاصمة مملكة

---

(1) غوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة: محمد عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية، مصر، 1945م، ص97.

(2) من المراكز التجارية التي يرجح أن يكون المعينيين قد أنشئوها مدينة معان في الأردن حالياً، وكانت حصن كبير بين الحجاز والشام، وتعد مركزاً تجارياً مهماً على طريق القوافل التجارية القادمة من الحجر (مدائن صالح) باتجاه البتراء، وربما كان اسمها مشتق من (معين) اليمنية لاسيما وأنها كانت تابعة لممالك اليمن القديمة المسيطرة على طريق البخور التجاري، ويشار إلى أن هذه المنطقة كانت تسمى (معن مصرن)(معين مصران) في المصادر القديمة لأن سكانها كانوا من المعينيين النازلين في شمال غرب شبه جزيرة العرب لحماية طريق البخور، ولتمييزها عن معين اليمنية سميت بـ(معين مصران) لقربها من مصر. (جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج2، ص94، ص121 وما بعدها؛ لويس موسل، شمال الحجاز، ترجمة: عبد المحسن الحسني، الإسكندرية، 1952م، ص2؛ فيليب حتي وآخرون، تاريخ العرب المطول، ط3، دار الكشاف، بلا، 1961م، ج1، ص71).

(3) سيدوف ودافيدا، النقود في اليمن عبر التاريخ، ص37.

(4) جواد علي، أصول الحكم عند العرب، مجلة المجمع العلمي العراقي، مجلد 31، بغداد، 1980م، ج2، ص66.

(5) المصدر نفسه، ص38.

(6) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج2، ص112، ص230.

(7) حضارة العرب، ص97.

(8) جرجي زيدان، العرب قبل الإسلام، ص ص157-158.

(9) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج2، ص112، ص230.

(10) محمد عبد القادر بافقيه، حلف سبأ وحمير وحضرموت، مجلة ريدان، مجلد 5، عدن، 1988م، ص51.

حضرموت القديمة، وفي عملات المدة المعينية الكثير من الكتابات ورسوم طبيعية وآدمية وحيوانية وطيور، ومن نقود الدولة الحضرمية نقد نقش فيه رأس الملك (أب يضع)، وعلى الوجه الثاني صورة ثور، ونقد آخر نقش فيه رأس الملك (يثع) وعلى الوجه الثاني صورة ثور، ونقد آخر من البرونز نقش على وجهه رأس ملكة امرأة وعلى قفاه صورة ثور أيضاً[1]، وعثر على نقود في موقع (بربرة) في وادي (جيردان) إلى الغرب من العاصمة شبوة تعود إلى القرن الرابع قبل الميلاد، وعثر على قطع نقدية حضرمية برونزية في أطلال مينا (قنا) ذوات أحجام مختلفة[2].

وسكت الدولة السبئية **(800-115ق.م)** نقوداً يلاحظ عليها أيضاً تأثرها بالطابع اليوناني، وهي مشابهة لما حملته المسكوكات من مدة معين وقتبان، ووصلتنا مجموعة من العملات النقدية يرجع تأريخ أقدمها إلى نحو 400ق.م[3]، ومن أشهر النقود السبئية نقد (شهر هلال ذي يثع) وهو عبارة عن عملة فضية مرسوم على وجهها رأس الملك ملتفت جهة اليسار وملامحه واضحة بعمة، وضفائر الشعر منسدلة بضفائر من خلف الأذن وفوق الرقبة، وفي الخلف بومة تقف على ما يشبه الخنجر وتستدير حولها كتابة مؤلفة من حروف تشير إلى اختصار اسم الملك، وهناك أيضا عملات باسم الملوك (يريم أيمن) و(شرح آل) و(شرح أبم)، فضلاً عن عدد قطع نقدية صغيرة الحجم عبارة عن رأس ملك على الوجه، وفي الظهر شكل رأس الثور يملأ المساحات مع وجود علامات أو أجزاء منها، ومن النقود السبئية أيضا رأس ملك سبأ وقطع ذهبية أخرى على شكل صقر وملك ورأس الثور والرمز الديني أو الشعار الملكي والصقر باللون الأحمر[4].

ويلاحظ على النقود اليمنية من مدة الدولة الحميرية (115ق.م-525م) أنها ضربت من الذهب والفضة والنحاس وتحمل رسم الملكِ على احد وجهيها، وصورة بومة على الوجه الآخر، والبومة شعار لمدينة أثينا اليونانية، ومعنى هذا أن نقود سكت على قواعد أثينية في بداية الأمر[5]، إلا أنها ابتعدت فيما بعد عن التأثيرات اليونانية، إذ حملت نقود هذه المدة على وجهها صورة الملك الحميري وهو محاط بإكليل بدلاً من الآلهة أثينا التي نقشت على النقود في بلاد اليونان[6]، وعثر على عملات نقدية حميرية كثيرة في منطقة غمدان سكت في النصف الثاني من القرن الثالث الميلادي ما بين (260-270م)[7].

وكانت ظفار مركزاً لسك العملة النقدية، وامتازت العملات العربية الجنوبية بالدقة في أوزانها، وإن كانت تفتقر إلى الدقة الفنية[8]، والفارق الوحيد بين نقود كل من قتبان وحضرموت من جهة ونقود الحميريين من جهة أخرى هو أن النقود القتبانية كتب عليها اسم (حريب) والنقود الحضرمية كتب عليها (شقير) من دون أي رمز يشير إلى هذه الأسماء على عكس النقود الحميرية التي كتب عليها اسم (ريدان) كاملاً مقروناً برمز يشير إلى هذا الاسم، وكتبت كل هذه الأسماء بالخط المسند[9].

وذكرت المصادر العربية الإسلامية كثيراً النقود الحميرية، وسماها الماوردي (الدراهم الحميرية)، وذكر أنها كانت قليلة [10]، ونجد في كتب الحديث رواية مفادها أن أول من ضرب الدينار هو (تُبَّعْ) الحميري، ويقصد به (أب كرب اسعد) (400-415

(1) سيدوف ودافيدا، النقود في اليمن عبر التاريخ، ص38.

(2) جاكلين بيرين، البعثة الفرنسية الأولى للآثار (شبوة)، مجلة الثقافة الجديدة، العددين 5-6، صنعاء، 1976م، ص44.

(3) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج7، ص490.

(4) سيدوف ودافيدا، النقود في اليمن عبر التاريخ، ص40.

(5) فيليب حتي وآخرون، تاريخ العرب المطول، ج1، ص ص91–92.

(6) صالح احمد العلي، تأريخ العرب القديم ص27؛ نايف القسوس، نشأت النقود وتطورها، عمان، 1988م، ص493.

(7) الوا موسل، الموسوعة اليمنية، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1992م، ص ص965-966.

(8) نورة عبد الله النعيم، الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية من القرن الثالث قبل الميلاد إلى القرن الثالث الميلادي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك سعود، الرياض، 1992م، ص175.

(9) محمد عبد القادر بافقيه، حلف سبأ وحمير وحضرموت، ص51.

(10) ابن حبيب، أبي الحسن بن محمد (450هـ)، الأحكام السلطانية، مطبعة البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1962م، ص ص154-155.

أو420م)[1]، كما يذكر (الهمداني)[2] وبإسهاب إلى صناعة النقود في صنعاء وصعدة، مما يشير إلى استمرار استخدام العملة الفضية اليمنية إلى مدة متأخرة

الطرق التجارية الرئيسة في شبه جزيرة العرب

تتحكم بالطرق مجموعة من العوامل الجغرافية التي تؤثر في وجود الطريق التجاري، ويعد عنصر الأرض بتضاريسها وانحداراتها وصخورها وتربتها أهم هذه العناصر، فضلاً عن وجود المياه الصالحة للشرب وتوافره على مسافات كافية في محطات على الطريق، أما العلف والطعام بصفتها عناصر مؤثرة فيمكن أن ينقلا مع القوافل إن قضت الضرورة بذلك، وكانت المسافات الخالية من المرعى ومحطات التزود بهما طويلة، أما المؤثرات البشرية والتاريخية والسياسية فإنها وإن كانت ذات أهمية بارزة في الطرق والحركة على امتدادها وحمايتها وصيانتها، إلا أن أثرها كان أقل من العناصر الجغرافية[3]، وكانت الطرق التجارية عاملاً مهماً من عوامل نشأت المدن والممالك في شبه جزيرة العرب، والطرق البرية أوضح تأثيراً في تفاعل القبائل العربية إلى حدٍ كبير من الطرق البحرية، ويمكن أن نهتدي إلى الطرق البرية ومعرفتها بمعالم أهمها: وجود مدن ذات ارتباط تاريخي في منطقة من المناطق، وفي خط يغلب أن يكون متصلاً، وهذا نجد له مثالاً في الطريق التجاري بين جنوبي الجزيرة العربية وشمالها، وهناك علامة أخرى نتعرف بها على الطريق البري وهي النقوش أو الكتابات من حيث كثرتها[4]، وأهم الطرق البرية في شبه جزيرة العرب قبل الإسلام هو الطريق الغربي الذي يبدأ من عدن أو قنا في اليمن وحضرموت ويتجه شمالاً ماراً بنجران، وهنا يتفرع إلى فرعين: فرع يتجه إلى الشمال الشرقي باتجاه وادي الدواسر ماراً بقرية الفاو ثم الأفلاج فاليمامة، والفرع الثاني وهو الرئيس فيتجه إلى الطائف ثم إلى مكة ثم إلى المدينة ثم إلى خيبر ثم العلا فمدائن صالح، وينفصل الطريق هنا ليتجه فرع إلى تيماء صوب العراق، أما الفرع الثاني فيستمر في الاتجاه نفسه حتى البتراء ثم إلى غزة أو إلى بلاد الشام أو إلى مصر، وهناك الطريق الشرقي الذي يربط الخليج العربي بالعراق وشمال شبه جزيرة العرب ويسير بمحاذاة الحدود الشرقية لنجد، فيتجه فرع منه باتجاه الشمال إلى العراق، وفرع آخر باتجاه الشمال الغربي نحو بادية الشام، أما الطريق الثالث فهو الذي يأتي من منطقة حضرموت وعمان متجهاً إلى اليمامة عبر الحافة الشرقية أو الغربية للربع الخالي، صاعداً إلى العراق أو بلاد الشام، حيث يلتقي بالطريق الشرقي، أو بفرع الطريق الغربي[5]، أما أشهر الطرق الرئيسة التي مرت في شبه جزيرة العرب فهما طريق البخور وطريق الحرير:

1. **<u>طريق البخور:</u>** وهو أحد الطرق التجارية الرئيسة الذي يربط بلاد العرب ببلدان الشرق والغرب، ويشكل البخور السلعة الرئيسة التي توجر بها على هذا الخط، إذ يشكل البخور عنصراً مهماً في الطقوس الدينية التي كانت متبعة في العالم القديم[6]، ويبدأ هذا الطريق في بلاد العرب الجنوبية من منطقة ظفار، ويمر بعدة مناطق منها: شبوة ومأرب وتمنع وقرناو، وتلتقي بمختلف اتجاهاتها في نجران، وعندها يتفرع الطريق إلى اتجاهين: الأول نحو الشمال الشرقي عبر قرية الفاو في وادي الدواسر، ثم عبر اليمامة إلى جرها على الخليج العربي، ثم إلى جنوب وادي الرافدين[7]، والطريق الرئيس يستمر من نجران نحو شمال شبه جزيرة العرب إلى أن يصل إلى ديدان (العلا) ثم إلى البتراء ثم يتفرع إلى فرعين أحدهما يذهب إلى غزة على البحر المتوسط، والثاني يذهب إلى تدمر، والثالث إلى مصر، وقد استحدث فرع آخر فيما بعد يصل بين إيلة (العقبة) ثم تدمر ماراً بربة عمون

(1) نقلاً عن: جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج7، ص490.

(2) الهمداني، أبو محمد الحسن بن أحمد (ت350-360/961-970م)، الجوهرتين العتيقتين المائعتين من الصفراء والبيضاء، تحقيق: محمد أحمد الشعبي، دار الكتاب، دمشق، (د.ت)، ص ص48-77.

(3) عادل عبد السلام، البيئة الجغرافية الطبيعية للبادية التدمرية وطريق الحرير، مجلة الحوليات الأثرية السورية، مج42، دمشق(1996م)، ص ص29-30.

(4) عبد الرحمن الطيب الأنصاري، لمحات عن بعض المدن القديمة في شمال غربي الجزيرة العربية، مجلة الدارة، ع1، الرياض (مارس1975م)، ص77.

(5) عبد الرحمن الطيب الأنصاري، لمحات عن بعض المدن القديمة في شمال غربي الجزيرة العربية، ص78.

(6) شوقي شعث، طريق البخور والحرير، مجلة الحوليات الأثرية السورية، مج42، دمشق (1996م)، ص152.

(7) منذر عبد الكريم البكر، العرب والتجارة الدولية منذ أقدم العصور إلى نهاية العصر الروماني، مجلة المربد، جامعة البصرة، ع4، البصرة (1970)، ص ص49-50.

وبصرى، ولاق الفرع الثالث عناية خاصة من ولاة الشام في بلاد الشام، إذ أقاموا له نقاط حراسة ومراكز استراحة على امتداد الطريق إلى الحدود الفاصلة بين الشام والحجاز[1]، ويلاحظ على طريق البخور أنه لم يكن مستقراً بصورة دائمة، بل كان يزدهر ويختلف تبعاً للظروف المختلفة[2].

2. **طريق الحرير:** تعد طريق الحرير البرية واحد من أهم الطرق القديمة وأطولها وأشهرها في العالم، امتد من الصين إلى سواحل البحر المتوسط الشرقية وإلى منطقة بيزنطيوم واليونان، لمسافة تقدر بنحو (9000كم)، وترجع شهرة الطريق إلى القرن الثاني قبل الميلاد، واستمر نشاطه حتى القرن الثامن الميلادي، أي قرابة الألف سنة[3]، وهو بذلك يعد الطريق التجاري الرئيس الثاني الذي يربط بلاد العرب ببلدان الشرق والغرب، وبلاد العرب هنا بمثابة محطة وصل واستراحة لهذا الطريق[4]، إذ كانت الصين الموطن الأصلي للحرير الذي يصدر عبر هذا الطريق إلى حوض البحر المتوسط[5]، وكان الحرير يصنع في بعض مدن شبه جزيرة العرب ثم صدر إلى الخارج، إلا أن ذلك لا يعني بالضرورة أن يكون كل الحرير المصنع الذي يصل إلى أوربا وغيرها قد صنع في بلاد العرب، كما أن وقوع شمال شبه جزيرة العرب على طريق الحرير جعل منها المستفيد الأكثر من هذه التجارة، فضلاً عن أن الطريق المار عبر أراضيها أكثر سهولةً وأفضل عبوراً ومروراً وأكثر أمناً وسلاماً للقوافل التجارية، وربما كان هذا سبباً في تفوق طريق الحرير البري على طريق البخور البحري[6]، ويرتبط طريق الحرير بشمال شبه جزيرة العرب عن طريق فرعي يأتي من بلاد فارس، فبعد أن يمر طريق الحرير بـ(سمرقند[7]) ينعطف إلى جهة الجنوب الغربي ليصل بلاد فارس ثم إلى (مرو[8]) التي كانت ملتقى الطرق البرية، ثم يتجه إلى (طيسفون[9]) ثم (هيت) على نهر الفرات ومنها إلى تدمر، ومنها إلى مدن الساحل الغربي للبحر المتوسط، ومنها تنقل إلى أوربا[10]، وكان للأمان الذي وفره سكان شبه جزيرة العرب للقوافل التجارية أثرٌ في تفضيلها سلوك هذا الطريق، إذ أن الطرق التجارية عموماً لم تكن ثابتة المسالك بحسب الحالة الأمنية، وقد برع العرب في تكوين فرق لقيادة القوافل التجارية في الطرق الصحراوية التي خبروها جيداً[11].

وسائل نقل التجارة عند العرب قبل الاسلام:

تعدُ وسائل النقل من أهم العوامل التي مهدت لنشوء وتطور طرق التجارة وازدهارها لأنها أحد المكملات الرئيسة في العملية التجارية، وكانت وسائل النقل تعتمد على الحيوانات المهيأة للقيام بمثل هذه الأعمال، وكانت الحمير أول وسيلة نقل استخدمت

---

(1) شوقي شعث، طريق البخور والحرير، ص152؛ لطفي عبد الوهاب يحيى، العرب في العصور القديمة، ص316.

(2) بشير زهدي، طريق الحرير وتدمر مدينة القوافل، مجلة الحوليات الأثرية السورية، مج42، دمشق(1996م)، ص139.

(3) عادل عبد السلام، البيئة الجغرافية الطبيعية للبادية التدمرية وطريق الحرير، ص30.

(4) شوقي شعث، طريق البخور، ص151.

(5) فيليب حتي، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ترجمة: جورج حداد وعبد الكريم رافق، دار الثقافة، بيروت(1958م)، ج1، ص391.

(6) بشير زهدي، طريق الحرير وتدمر مدينة القوافل، ص139.

(7) وهي مدينة الصغد وراء جيحون، يشير الإخباريون إلى أن الملك الحميري (شمر يرعش) قام بهدمها وسميت (شمر كند) أو (شمر كنداي) أي (شمر خربها) بلغة الفرس، ثم عربت إلى (سمرقند). (وهب بن منبه، كتاب التيجان في ملوك حمير، 233-238)؛ (الأصفهاني، حمزة أبو الحسن (ت360هـ)، تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، دار مكتبة الحياة، بيروت (د.ت)، ص108)؛ (البكري، أبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي (487هـ)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا، عالم الكتب، ط3، بيروت (1983م)، ج3، ص755)؛ (الحميري، نشوان بن سعيد (ت573هـ)، ملوك حمير وأقيال اليمن، تحقيق: إسماعيل بن أحمد الجرافي وعلي بن إسماعيل المؤيد، دار العودة، ط2، بيروت(1987م)، ص ص93-94).

(8) مدينة معروفة في بلاد فارس، والمرو تعني المرج. (البكري، معجم، ج4، ص1216) .

(9) هي مدينة كسرى التي فيها الايوان، بينها وبين بغداد ثلاثة فراسخ، وأصلها طوسفون فعربت على طيسفون. (الحموي، معجم البلدان، ج4، ص55).

(10) بشير زهدي، طريق الحرير وتدمر مدينة القوافل، ص134؛ فيليب حتي، تاريخ سوريا، 298/1؛ منذر عبد الكريم البكر، العرب والتجارة الدولية، ص ص79-81.

(11) أرنست فيل، تدمر وطريق الحرير، ترجمة: إيمان سنديان، مجلة الحوليات الأثرية السورية، مج42، دمشق (1996م)، ص93.

لنقل القوافل التجارية[1]، وربما تكون الحمير قد استخدمت في نقل البضائع منذ الألف الثالث قبل الميلاد، وهذا ما توحي به بعض الإشارات الأثرية والتاريخية[2].

أما البغال فإنها من الحيوانات المعروفة بتحملها للمشاق، وقدرتها على السير في الأراضي المتموجة والمناطق الجبلية الوعرة، وقد استعملت في نقل البضائع في مثل هذه المناطق، وكذلك في نقل الأشخاص، وهي تؤدي خدمات في هذه المناطق يعسر على الجمال القيام بها، وقد يعجز عنها، ويبدو أن البغال لم تكن كثيرة الاستعمال في شبه جزيرة العرب حتى ظهور الإسلام[3]، إلا أن ذلك لا يعني أنها لم تستخدم إطلاقاً، فقد استخدمت في المناطق التي ذكرناها، وقد ورد ذكرها مع الخيل في القرآن الكريم بقوله تعالى: {والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة}[4].

وعلى الرغم من اشتهار شبه جزيرة العرب بجمال خيولها وبتربيتها لأحسن أنواع الخيول، وبتصديرها لها، فإن الخيل فيها إنما هو من الحيوانات الهجينة الدخيلة الواردة إليها من الخارج، من العراق أو بلاد الشام أو مصر، وقيل أن موطنها الأصيل هو بحر قزوين[5]، فضلاً عن وجود نوع يعد من أهم أنواع الخيول في بلاد اليمن يعرف بـ(الكحيلان العربي) يتميز عن سائر الخيول بنباهته وسرعته وتجاوبه[6]، ومع ذلك فإن مساهمة الخيل في نقل البضائع كانت محدودة جداً وربما اقتصرت على المسافات القصيرة بسبب حاجتها إلى عناية ورعاية وطعام جيد للمحافظة على صحتها، وهي لا تستطيع تحمل العطش كما الجمل، ولا تستطيع السير في رمال البوادي المهلكة المتعبة لمسافات بعيدة[7].

ومع أن (الحمير والبغال والخيل) استخدمت في نقل البضائع التجارية إلا أنها لم يكن لها أثر تأريخي في نشاط وتطور تجارة القوافل[8]، حيث أن نقل البضائع لمسافات طويلة عملية شاقة وعسيرة عليها، فضلاً عن عدم جدواها الاقتصادية، لصغر حمولتها وبطئ سيرها وحاجتها إلى ماء الشرب من حين لآخر[9]، لذلك كان الجمل وراء الانعطاف الكبير في تاريخ التجارة وطرقها وأصحابها وثرواتها[10]، وكان لدوره في نقل التجارة عبر الصحاري الشاسعة التي تفصل بين المراكز التجارية أثر في ديمومة وتطور القوافل التجارية، لذا لقب الجمل بـ(سفينة الصحراء)[11]، وهو من أقدم الحيوانات التي سمعنا بها عند العرب[12]، فالجمل هو الذي فتح لأهل جزيرة العرب آفاق البوادي، وصار أهم واسطة لنقل البضائع في الطرق البرية الطويلة التي تربط أجزاء الجزيرة بعضها ببعض، وتربط طرق الجزيرة مع الطرق الخارجية[13]، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك بقوله تعالى: {وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلاّ بشق الأنفس}[14]، وبفضله اتصل العرب بعضهم ببعض، وقامت مستوطنات في مناطق نائية منعزلة من بلاد العرب، وتمكن الجمل من اختراق الطرق البرية الطويلة بغير كلل[15]، وكان للمزايا التي اتصف بها الجمل دور في ارتباطه بالتجارة البرية عند العرب،

---

(1) جواد مطر الحمد، الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في اليمن القديم، ص197.

(2) رضا جواد الهاشمي، تجارة القوافل في التاريخ العربي القديم، من كتاب تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر، مؤسسة الخليج، الكويت(1984م)، ص9.

(3) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج1، ص198؛ برهان الدين دلو، جزيرة العرب قبل الإسلام، دار الفارابي، بيروت (1989م)، ص91.

(4) سورة النحل، آية 8.

(5) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج1، ص198.

(6) عدنان ترسيسي، بلاد سبأ وحضارات العرب الأولى، دار الفكر المعاصر، ط2، بيروت(1990م)، ص249.

(7) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج1، ص ص199-200؛ برهان الدين دلو، جزيرة العرب قبل الإسلام، 89-90.

(8) رضا جواد الهاشمي، تجارة القوافل في التاريخ العربي القديم، ص9.

(9) الغساني، عبد القادر بن سالم بن احمد، ظفار أرض اللبان، من بحوث ندوة الدراسات العمانية، سلطنة عمان(1980م)، ص53.

(10) رضا جواد الهاشمي، تجارة القوافل في التاريخ العربي القديم، ص9.

(11) Rostovtzeff M, Caravan cities, AMS press, New York, 1971, p. 10.

(12) برهان الدين دلو، جزيرة العرب قبل الإسلام، ص86.

(13) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج1، ص198.

(14) سورة النحل، آية 6.

(15) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج5، ص339.

وبروزهم كقوة تجارية كبيرة نشطت في تجارة القوافل[1]، فقد أعد الجمل بفضل تكوينه البيولوجي والجسماني إعداداً تاماً ليعيش في المناطق الحارة الجافة[2]، فالجمل يستطيع أن يسير نحو (25 يوماً) في الشتاء، ونحو (5 أيام) في الصيف دون أن يشرب الماء، لأنه يختزن الماء في جوفه ويعيش عليه[3]، وتصل حمولته إلى نحو (500كغم)، وتسير قوافل الإبل التي يصل تعدادها أحياناً إلى ألف بعير بسرعة (4كم/ساعة)، وعليه فإن لبعضها القدرة على قطع مسافة تصل إلى نحو (400كم) من دون أن تتزود بالماء[4]، وقد ميز العرب نوعان من الإبل: الأول الذلول التي يستخدمها مطايا، والثاني الإبل التي يستعملها في حمل الأثقال وهي الكثرة المعروفة من الجمال[5].

وكانت الجمال تقوم بنقل البضائع الواردة من سواحل الخليج العربي إلى البحر الأحمر والخليج العربي وبالعكس [6]، وقطعت المسافات الطويلة بين بلاد الشام واليمن محملة بالبضائع عبر مكة ويثرب، ومنها رحلتا الشتاء والصيف التي أشار لها القرآن الكريم[7]، ونقل البضائع كذلك عبر الطريق الذي يربط غربي شبه جزيرة العرب بالعراق عبر نجد واليمامة[8]، وكان من نتيجة ذلك أن تعلق العرب بالجمال لدرجة كبيرة، ويصف طرفة بن العبد ناقته بقوله[9]:

مؤللتان تعرف العتق فيهما كسامعتي شاة بحومل مفرد

وقد تحدث الشعراء العرب عن الإبل وسرعتها وشدتها، وقد أشار إلى ذلك زهير بن أبي سلمى في قوله [10]:

يقطعن أجواز أميال الفلاة كما يَغْشى النوّاتي غِمَارَ اللُّجِّ بالسُّفُن

يَخفِضُها الآل طوراً ثم يرفعها كالدوم يَعمِدنَ للإشراف أو قطنِ

وكان الشعراء يتحدثون عن الجبال في أثناء حديثهم عن قطع المفاوز، وقدرتهم على اختراقها وعبورها بناقة تقرب البعيد وتصل ما تباعد من الجبال، ويتجلى ذلك في قول أمرؤ القيس [11]:

جالت لتصر عني فقلت لها أقصري إني امرؤ صرعي عليك حرام

فجزيت خير جزاء ناقة واجدٍ ورجعت سالمة القرا بسلام

وكأنما بدر وصيل كتيفةٍ وكأنما من عاقل أرمام.

النتائج

توصل البحث إلى مجموعة من النتائج، من أهمها:

1. أثر الموقع الجغرافي لليمن في تأريخها الاقتصادي بشكل كبير، إذ أصبحت بفضل هذا الموقع حلقة الوصل للتجارة العالمية القادمة من جنوب شرق اسيا، لتقوم بمهمة نقلها إلى شمال شبه جزيرة العرب، ومنها إلى أوروبا وشمال أفريقيا.
2. سيطرة اليمنيين على سر الرياح الموسمية، ومعرفتهم بالمسالك البحرية جعلهم يحتكرون التجارة البحرية في المحيط الهندي وبحر العرب لقرون طويلة من الزمن.

---

(1) رضا جواد الهاشمي، تجارة القوافل في التاريخ العربي القديم، ص ص110-111.

(2) برهان الدين دلو، جزيرة العرب قبل الإسلام، ص86.

(3) فيليب حتي وآخرون، تاريخ العرب المطول، ج1، ص27؛ جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج5، ص339؛ دلو، جزيرة العرب قبل الإسلام، ص86.

(4) رضا جواد الهاشمي، تجارة القوافل في التاريخ العربي القديم، ص11.

(5) برهان الدين دلو، جزيرة العرب قبل الإسلام، ص ص88-89؛ للمزيد ينظر: محمد عبد الله الصانع، الإبل العربية، مطابع كويت تايمز، الكويت (1983م).

(6) Rostovtzeff, op, cit, p, 5. .

(7) سورة قريش، آية 1-2.

(8) برهان الدين دلو، جزيرة العرب قبل الإسلام، ص88.

(9) ديوان طرفة بن العبد، تحقيق: علي الجبدي، مؤسسة الرسالة، بيروت (1958م)، ص314.

(10) ديوان زهير بن أبي سلمى، دار الكتب، بيروت (1944م)، ص ص118-119.

(11) ابن حجر الكندي، ديوان أمرؤ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر(1958م)، ص116.

3. التنوع البيئي في الأرض اليمنية كان من عوامل الإنتاج الزراعي المتنوع والوفير، وأثرت الظروف الطبوغرافية في اليمن على معرفتهم المبكرة ببناء السدود والقنوات المائية، مما ساعد على نمو واتساع الزارعة في اليمن القديم.
4. كان جزء كبير من المنتجات الزراعية في اليمن القديم مخصص للتصدير، أي أن اليمنيين لم يكونوا حلقة لنقل التجارة حسب، وإنما كانوا فضلاً عن ذلك منتجين لمختلف السلع التجارية التي تاجروا بها مع مراكز التجارة العالمية التي وصلوا إليها.
5. كان من نتائج سيطرتهم على التجارة العالمية في حقبة التأريخ القديم أن أسسوا مدينة معين مصرايم التجارية التابعة لهم في شمال شبه جزيرة العرب.
6. أبدع اليمنيين القدماء في مختلف الصناعات، ولاسيما التي تدخل في الجانب التجاري باعتبارهم سادة التجارة العالمية في تلك الحقبة.
7. كان للتنوع الاقتصادي أثر كبير في ثرائهم الأمر الذي انعكس على نوع الحضارة الراقية التي انتجوها سيما في الجانب العمراني.
8. انعكس الاقتصاد اليمني القديم على انتاجهم للعملات النقدية التي كانت واحدة من ضرورات التعامل التجاري والتوسع به.
9. اهتم اليمنيون القدماء بالطرق التجارية وتوفير المحطات التجارية على طول هذه الطرق، ورفدوها بكل ما تحتاجه القوافل التجارية ولاسيما الحماية اللازمة لتلك الطرق.
10. استخدم اليمنيون القدماء الحيوانات القادرة على حمل البضائع التجارية في طرق طويلة ومتعبة، لذا اهتموا كثيراً بتربية تلك الحيوانات واختيار الأفضل والأقوى منها والتي تلبي حاجاتهم في نقل البضائع.

المصادر:

1. الوا موسل، الموسوعة اليمنية، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1992م.
2. أرنست فيل، تدمر وطريق الحرير، ترجمة: إيمان سنديان، مجلة الحوليات الأثرية السورية، مج42، دمشق، 1996م.
3. الأصفهاني، حمزة أبو الحسن (ت360هـ)، تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت).
4. اغناطيوس كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة: صلاح الدين عثمان هاشم، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1963م.
5. برهان الدين دلو، جزيرة العرب قبل الإسلام، دار الفارابي، بيروت، 1989م.
6. بشير زهدي، طريق الحرير وتدمر مدينة القوافل، مجلة الحوليات الأثرية السورية، مج42، دمشق، 1996م.
7. البكري، أبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي (487هـ)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا، عالم الكتب، ط3، بيروت، 1983م.
8. جاكلين بيرين، البعثة الفرنسية الأولى للآثار (شبوة)، مجلة الثقافة الجديدة، العددين 5-6، صنعاء، 1976م.
9. جرجي زيدان، العرب قبل الإسلام، دار الهلال، بيروت، (د.ت).
10. جواد علي، أصول الحكم عند العرب، مجلة المجمع العلمي العراقي، مجلد 31، بغداد، 1980م.
11. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، ومكتبة النهضة، بغداد، 1968-1973م.
12. جواد مطر الحمد، الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في اليمن القديم، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1998م.
13. ابن حبيب، أبي الحسن بن محمد (450هـ)، الأحكام السلطانية، مطبعة البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1962م.

14. ابن حجر الكندي، ديوان أمرؤ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، 1958م.
15. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي، مقدمة ابن خلدون، تحقيق: محمود يوسف زايد، ط5، دار القلم، بيروت، 1984م.
16. حسن صالح شهاب، أضواء على تاريخ اليمن البحري، ط2، دار العودة، بيروت، 1981م.
17. الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله(ت626هـ)، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1979م.
18. الحميري، نشوان بن سعيد (ت573هـ)، ملوك حمير وأقيال اليمن، تحقيق: إسماعيل بن أحمد الجرافي وعلي بن إسماعيل المؤيد، دار العودة، ط2، بيروت، 1987م.
19. ديوان زهير بن أبي سلمى، دار الكتب، بيروت، 1944م.
20. ديوان طرفة بن العبد، تحقيق: علي الجبدي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1958م.
21. رضا جواد الهاشمي، تجارة القوافل في التاريخ العربي القديم، من كتاب تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر، مؤسسة الخليج، الكويت، 1984م.
22. ريكمانز، السماء والأرض في النقوش جنوب الجزيرة، ترجمة: خالد العسلي، مجلة العرب، مج7، ج2 (ص ص96-111)، الرياض، 1392هـ.
23. الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت).
24. سبتينو موسكاتي، الحضارات السامية القديمة، ترجمة: السيد يعقوب بكر، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1975م.
25. سيدوف ودافيدا، ألكسندر وبربارا، النقود في اليمن عبر التاريخ، من كتاب البنك المركزي اليمني، ترجمة: إبراهيم العشماوي، (د.ت.م).
26. شوقي أبو خليل، الحضارة العربية الإسلامية، طرابلس، ليبيا، 1987م.
27. شوقي شعث، طريق البخور والحرير، مجلة الحوليات الأثرية السورية، مج42، دمشق، 1996م.
28. صالح احمد صالح احمد العلي، تاريخ العرب القديم والبعثة النبوية، شركة المطبوعات، بيروت، 2000.
29. عادل عبد السلام، البيئة الجغرافية الطبيعية للبادية التدمرية وطريق الحرير، مجلة الحوليات الأثرية السورية، مج42، دمشق، 1996م.
30. عبد الرحمن الطيب الأنصاري، لمحات عن بعض المدن القديمة في شمال غربي الجزيرة العربية، مجلة الدارة، ع1، الرياض (مارس1975م).
31. عبد العزيز الدوري، التكوين التاريخي للأمة العربية (دراسة في الهوية والوعي)، بيروت، 1984م.
32. عدنان ترسيسي، بلاد سبأ وحضارات العرب الأولى، دار الفكر المعاصر، ط2، بيروت، 1990م.
33. عمر فروخ، تاريخ الجاهلية، دار العلم للملايين، بيروت، 1964م.
34. الغساني، عبد القادر بن سالم بن احمد، ظفار أرض اللبان، من بحوث ندوة الدراسات العمانية، سلطنة عمان، 1980م.
35. غوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة: محمد عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية، مصر، 1945م.
36. ابن الفقيه الهمذاني، أبو بكر أحمد بن إبراهيم، مختصر كتاب البلدان، تحقيق: دي غويه، مطبعة بريل، ليدن، 1885م.
37. فيليب حتي وآخرون، تاريخ العرب المطول، ط3، دار الكشاف، بلا، 1961م.
38. فيليب حتي، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ترجمة: جورج حداد وعبد الكريم رافق، دار الثقافة، بيروت، 1958م.
39. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، (د.ت).
40. لطفي عبد الوهاب يحي، العرب في العصور القديمة، دار النهضة العربية، بيروت، 1979م.
41. لويس موسل، شمال الحجاز، ترجمة: عبد المحسن الحسني، الإسكندرية، 1952م.

42. محمد بيومي مهران، الحضارة العربية القديمة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1988م.
43. محمد عبد القادر بافقيه، تاريخ اليمن القديم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1985.
44. محمد عبد القادر بافقيه، حلف سبأ وحمير وحضرموت، مجلة ريدان، مجلد 5، عدن، 1988م.
45. محمد عبد القادر بافقيه، موجز تاريخ اليمن قبل الإسلام، الفصل الأول من كتاب (مختارات من النقوش اليمنية القديمة)، ص ص13-65، تونس، 1985م.
46. محمد عبد الله الصانع، الإبل العربية، مطابع كويت تايمز، الكويت، 1983م.
47. منذر عبد الكريم البكر، العرب والتجارة الدولية منذ أقدم العصور إلى نهاية العصر الروماني، مجلة المربد، جامعة البصرة، ع4، البصرة، 1970.
48. منذر عبد الكريم البكر، دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام، (تاريخ الدولة الجنوبية في اليمن)، البصرة، 1980م.
49. منى يوسف نخلة، علم الآثار في الوطن العربي، مطبعة جروس برس، طرابلس، لبنان، 1999م.
50. ناهض عبد الرزاق القيسي، المسكوكات النقدية في البلدان العربية قديماً وحديثاً، بيت الحكمة، بغداد، 2011م.
51. نايف القسوس، نشأت النقود وتطورها، عمان، 1988م.
52. نزار عبد اللطيف الحديثي، أهل اليمن في صدر الإسلام، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، (د.ت).
53. نقش: Gl850 .
54. نقش: Ja557 .
55. نقش: RES3564 .
56. نقوش الكوربوس: CIH376، CIH248 .
57. نورة عبد الله النعيم، الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية من القرن الثالث قبل الميلاد إلى القرن الثالث الميلادي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك سعود، الرياض، 1992م.
58. الهمداني، أبو محمد الحسن بن أحمد (ت350-360/961-970م)، الجوهرتين العتيقتين المائعتين من الصفراء والبيضاء، تحقيق: محمد أحمد الشعبي، دار الكتاب، دمشق، (د.ت).
59. الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب، صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1989م.
60. ولتر موللر، طريق اللبان القديم، ترجمة: محمد يوسف عبد الله، نشر ضمن كتاب أوراق، صنعاء، 1985م.
61. وهب بن منبه، كتاب التيجان في ملوك حمير، مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، صنعاء، 1347هـ.
62. يوسف محمد عبد الله، أوراق في تاريخ اليمن وآثاره، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1989م.
63. De Lacy O'Leary, Arabian before Muhammad, Kegan Paul, Trench, Trubner & Co. Ltd., London, 1927.
64. Manhood Ibrahim, Merchant Capital and Islam, University of Texas, USA, 1990.
65. RES3564.
66. Rostovtzeff M, Caravan cities, AMS press, New York, 1971.
67. Strabo, the Geography of Strabo Founded by: James Loes London, XVI, 4: Ch, 18.
68. Wissmann, H. Von, Himyar Ancient History, Le Museon, 77-3, 1964.

موقف فرنسا من سكة حديد بغداد – برلين 1903م

م.م. هبه محمد إبراهيم اليساري / جامعة بابل / كلية التربية الأساسية

المستخلص:

يتطرَّق هذا البحث موقف فرنسا من مشروع سكة حديد بغداد – برلين، بوصفه واحداً من أبرز المشاريع الاستراتيجية في مطلع القرن العشرين، والذي شكّل محوراً للتنافس الدولي بين القوى الأوروبية الكبرى، وفي مقدمتها ألمانيا وبريطانيا وفرنسا. فقد انطلقت الدراسة من تتبع الخلفية التاريخية لنشأة المشروع ودوافع ألمانيا في إنشائه، ثم تحليل أبعاده الاقتصادية والاستراتيجية على المستويين الإقليمي والدولي. وانتقل البحث بعد ذلك إلى استعراض الموقف الفرنسي، عبر الكشف عن دوافعه الاقتصادية والسياسية والاستعمارية، وصولاً إلى تتبع مواقف فرنسا العملية في ميدان الدبلوماسية والإعلام والتحالفات الدولية، وما خلّفه ذلك من انعكاسات على سياستها الخارجية.

وقد اعتمدت الدراسة على منهج تاريخي وصفي – تحليلي، بالاستناد إلى مجموعة من المصادر الأكاديمية والوثائقية. وتوصل البحث إلى أن فرنسا نظرت إلى المشروع باعتباره تهديداً مباشر لنفوذها في المشرق العربي، خاصة في ظل التنافس الألماني – البريطاني، مما دفعها إلى اتباع سياسة مزدوجة بين الممانعة العلنية والسعي للتفاهمات المرحلية، ويخلص البحث إلى أن مشروع سكة حديد بغداد لم يكن مجرد مشروع نقل أو بنية تحتية، بل كان رمزاً للصراع على إعادة تشكيل النفوذ في الشرق الأوسط، وأحد العوامل التي ساهمت في تأجيج التوترات الأوروبية عشية الحرب العالمية الأولى.

الكلمات المفتاحية: الموقف الفرنسي، سكة الحديد، التنافس الألماني، برلين.

Abstract:

This study examines France's position on the Baghdad-Berlin railway project, one of the most prominent strategic projects of the early twentieth century. It was a focal point of international competition among the major European powers, primarily Germany, Britain, and France. The study begins by tracing the historical background of the project's inception and Germany's motives for establishing it, followed by analyzing its economic and strategic dimensions at the regional and international levels. The study then moves on to review the French position, revealing its economic, political, and colonial motives, and finally tracing France's practical positions in the fields of diplomacy, media, and international alliances, and the repercussions this had on its foreign policy.

The study adopted a descriptive-analytical historical approach, drawing on a range of academic and documentary sources. The research concluded that France viewed the project as a direct threat to its influence in the Arab East, especially in light of the German-British rivalry. This prompted it to pursue a dual policy of open resistance and the pursuit of interim understandings. The research concludes that the Baghdad Railway Project was not merely a transportation or infrastructure project, but rather a symbol of the struggle to reshape influence in the Middle East, and one of the factors that contributed to fueling European tensions on the eve of World War I.

Keywords: French position, railway, German rivalry, Berlin.

المُقدمة:

لقد شهد مطلع القرن العشرين تصاعد اضح في التنافس الاستعماري بين القوى الأوروبية الكبرى، حيث سعت كل من بريطانيا وفرنسا وألمانيا وروسيا إلى تعزيز نفوذها السياسي والاقتصادي والعسكري في مناطق حيوية من العالم وقد شكلت الدولة العثمانية، بما تمتلكه من موقع جغرافي استراتيجي وثروات كامنة، ساحة رئيسة لهذا الصراع، خصوصاً مع بروز مشاريع البنى التحتية التي ربطت بين أوروبا والشرق، وقد برز مشروع سكة حديد بغداد – برلين كإحدى أبرز المبادرات الألمانية الطموحة، إذ لم يكن مجرد مشروع اقتصادي للنقل والتجارة، بل اتخذ أبعاداً جيوسياسية واستراتيجية من شأنها إعادة تشكيل موازين القوى الدولية. فقد عنى المشروع لألمانيا توطيد حضورها في الشرق الأدنى، والوصول إلى الخليج العربي دون الاعتماد على الطرق البحرية التي تسيطر عليها بريطانيا وفرنسا، وهو ما أثار بطبيعة الحال ردود فعل متباينة من القوى الاستعمارية.

ويعد مشروع سكة حديد بغداد – برلين واحداً من أبرز المشاريع الاستراتيجية التي شغلت اهتمام القوى الكبرى مطلع القرن العشرين، لما انطوى عليه من أبعاد سياسية واقتصادية وعسكرية تمس التوازن الدولي في تلك الحقبة. فقد أرادت ألمانيا من خلاله تحقيق طموحاتها التوسعية وربط قلب أوروبا بالخليج العربي عبر الأناضول وبلاد الرافدين، بما يمنحها منفذاً مباشراً إلى طرق التجارة العالمية ومصادر الطاقة، ويحدّ في الوقت نفسه من الهيمنة البريطانية والفرنسية على الممرات البحرية التقليدية.

وقد مَثَّلَ المشروع تحدياً مباشراً لمصالح القوى الاستعمارية التقليدية في المنطقة، إذ رأت بريطانيا في الخط تهديداً لسيطرتها على الهند والخليج العربي، في حين تعاملت فرنسا معه بقدر كبير من الحذر والرفض الضمني، إدراكاً منها أن نجاحه سيضعف مكانتها السياسية والاقتصادية في المشرق العربي، ويعزز النفوذ الألماني في الشرق الأوسط على حساب مصالحها ومن هنا، تبلور الموقف الفرنسي في إطار التنافس الدولي، الذي اتخذ أبعاد دبلوماسية واستراتيجية انعكست بوضوح على سياسات فرنسا تجاه الدولة العثمانية وألمانيا على السواء.

وعند دراسة الموقف الفرنسي من مشروع سكة حديد بغداد – برلين تكشف بوضوح حجم القلق الذي أثاره المشروع لدى باريس، سواء من زاوية المنافسة الاقتصادية، أو من زاوية التوازنات السياسية في المنطقة، وأن تحليل هذا الموقف يساعد على فهم طبيعة السياسة الفرنسية في الشرق الأوسط، ومدى ارتباطها بالتحالفات الأوروبية، لاسيما مع بريطانيا وروسيا في إطار ما عرف بـ (الوفاق الثلاثي). وبذلك يشكل هذا الموضوع مدخل مهم لفهم ديناميات العلاقات الدولية عشية الحرب العالمية الأولى، ويتيح قراءة معمقة للدوافع والآليات التي حكمت الموقف الفرنسي من المشروع، باعتباره جزءاً من الصراع الأشمل على النفوذ في المشرق العربي.

وتأتي أهمية البحث في الموقف الفرنسي من مشروع سكة حديد بغداد – برلين في كونه يكشف جانب مهم من التفاعلات الدولية عشية الحرب العالمية الأولى، ويبرز طبيعة العلاقات بين القوى الأوروبية الكبرى، كما يوضح آليات الصراع على مناطق النفوذ في المشرق العربي. ومن خلال تحليل هذا الموقف يمكن الوقوف على طبيعة التفكير الاستعماري الفرنسي، وحدود قدرته على التأثير في مجريات الأحداث، لا سيما في ظل تحالفاته وعلاقاته المتشابكة مع بريطانيا وروسيا.

وبذلك يسعى هذا البحث إلى تسليط الضوء على أبعاد الموقف الفرنسي من المشروع، من خلال دراسة دوافعه ومظاهره وانعكاساته، بما يسهم في فهم أعمق للتاريخ الدبلوماسي والاستراتيجي للمنطقة في مطلع القرن العشرين.

أَوّلاً- مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث الحالي في محاولة الإجابة عن التساؤل الرئيس:

- كيف كان موقف فرنسا من مشروع سكة حديد بغداد – برلين؟ وما هي الدوافع الكامنة وراء هذا الموقف، وما انعكاساته على سياستها في المشرق العربي؟

ويتفرع عن هذا التساؤل عدد من الأسئلة الفرعية:

- ما هي الظروف الدولية التي أحاطت بمشروع سكة حديد بغداد – برلين؟
- ما طبيعة المصالح الفرنسية المهددة من المشروع؟
- كيف تجلى الموقف الفرنسي عملياً في المجالين الدبلوماسي والسياسي؟
- ما أثر هذا الموقف على طبيعة العلاقات الفرنسية – العثمانية، والفرنسية – الألمانية قبيل الحرب العالمية الأولى؟

ثانياً- أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في إلقاء الضوء على جانب مهم من التنافس الاستعماري في مطلع القرن العشرين بالإضافة إلى توضيح الأبعاد الاستراتيجية والاقتصادية للمشروع في ضوء العلاقات الدولية، وإبراز موقع فرنسا في معادلة الصراع الدولي على الشرق الأوسط. فضلاً عن المساهمة في فهم جذور التحالفات والصراعات الأوروبية التي مهدت لاندلاع الحرب العالمية الأولى.

ثالثاً- أهداف البحث:

يسعى البحث إلى:

1. تحليل الخلفية التاريخية والسياسية لمشروع سكة حديد بغداد – برلين.
2. الكشف عن دوافع فرنسا في تبني موقف معارض أو متحفظ تجاه المشروع.
3. دراسة الوسائل التي استخدمتها فرنسا للتعامل مع المشروع على المستويين الدبلوماسي والإعلامي.
4. تقييم أثر الموقف الفرنسي على التوازنات الدولية في المشرق العربي عشية الحرب العالمية الأولى.

رابعاً- منهجية البحث:

سوف يعتمد البحث الحالي على المنهج التاريخي لتتبع جذور مشروع سكة حديد بغداد – برلين، والظروف الدولية التي أحاطت به، فضلاً عن المنهج التحليلي لدراسة الموقف الفرنسي من المشروع، وتحليل أبعاده الاقتصادية والسياسية والدبلوماسية.

المبحث الأول: الخلفية التاريخية لمشروع سكة حديد بغداد – برلين 1903م

لقد شكل مشروع سكة حديد بغداد – برلين محطة فارقة في تاريخ العلاقات الدولية مطلع القرن العشرين، إذ ارتبط ظهوره بالتحولات الكبرى التي شهدتها أوروبا والشرق الأدنى على حد سواء. فلم يكن المشروع مجرد خطة اقتصادية تهدف إلى تسهيل حركة النقل والتجارة، بل كان في جوهره مشروع استراتيجي ارتبط ارتباط وثيق بالطموحات الألمانية الصاعدة وبمحاولة الدولة العثمانية استثمار مواردها وموقعها الجغرافي لمواجهة التحديات الداخلية والخارجية. ومع بروز ألمانيا كقوة صناعية واقتصادية وعسكرية منافسة للقوى الاستعمارية التقليدية، مثل بريطانيا وفرنسا، سعت برلين إلى تأمين طرق جديدة للتجارة والوصول إلى الأسواق والمصادر الطبيعية، وكان الطريق الأنسب لذلك هو الربط الحديدي بين أوروبا والشرق الأوسط. في المقابل، رأت القوى الاستعمارية الأخرى أن المشروع يشكل تهديد مباشر لمصالحها الاستراتيجية، خصوصاً أنه يفتح الباب أمام تمدد النفوذ الألماني في مناطق لطالما اعتبرتها مجال حيوي لنفوذها، والخلفية التاريخية لهذا المشروع تتيح فهماً أعمق لدوافع ألمانيا في طرحه، ولأهمية الموقع الجغرافي

والاقتصادي لبلاد الرافدين والأناضول في الاستراتيجية الأوروبية. ومن ثم، يصبح من الضروري التوقف عند ظروف نشأة الفكرة ودوافع ألمانيا في إنشائها، وكذلك عند الأهمية الاقتصادية والاستراتيجية التي اكتسبها المشروع على المستويين الإقليمي والدولي[1].

المطلب الأول: نشأة فكرة المشروع ودو افع ألمانيا في إنشائه

ظهر مشروع سكة حديد بغداد – برلين في نهاية القرن التاسع عشر كجزء من استراتيجية ألمانيا والدولة العثمانية للتحديث والبناء الاقتصادي والسياسي، أول خطوة عملية كانت مع اتفاقيات الامتياز للأناضول التي أُعطيت لشركات ألمانية، مما مكن من بناء شبكات أولية تربط بين إسطنبول وأنقرة وقونية، وهذه الشبكة مهدت الطريق نحو امتداد المشروع إلى بغداد[2].

أن الفكرة لم تقتصر على الربط الفني أو الاقتصادي، بل امتدت لتشمل دور المشروع في إظهار القوة الألمانية أمام القوى الأوروبية الأخرى، وإشراكه في المنافسة على النفوذ مع بريطانيا وفرنسا. إن إنشاء شبكات السكك الحديدية شكل نقلة نوعية كبرى في مسيرة الثورة الصناعية، إذ أدخل العالم في منتصف القرن التاسع عشر إلى عصر جديد من الحداثة والتنظيم الإداري. فقد كان لمدّ خطوط السكك الحديدية أثر بالغ في ربط أطراف الإمبراطوريات الشاسعة، مما يسر عمليات التواصل ونقل البضائع والمسافرين، وأتاح للحكومات المركزية أن تبسط سيطرتها على الأقاليم البعيدة بعد أن كانت تعيش في حالة من شبه الانعزال، وتكاد تدار بشكل مستقل عن العواصم. لقد كانت بريطانيا من أوائل الدول التي سارعت إلى تشييد شبكة واسعة من السكك الحديدية داخل أراضيها، حيث ربطت مختلف أرجاء المملكة المتحدة في منتصف القرن التاسع عشر، خدمةً لنقل الأفراد والبضائع. وفي الوقت ذاته، كانت الإمبراطورية الألمانية الصاعدة تسعى جاهدة إلى تحقيق اختراق استراتيجي يتيح لها الوصول إلى المياه الدافئة في الخليج العربي، عبر مشروع خط سكك حديدية يصل برلين مباشرة بموانئ الخليج، وهو ما كان من شأنه أن يمنح ألمانيا موقعاً منافساً لبريطانيا وفرنسا اللتين كانتا تحتكران السيطرة على الشريان التجاري الأهم المتمثل في قناة السويس. أما الدولة العثمانية، فقد كانت تمر في تلك الحقبة بمرحلة ضعف وتدهور اقتصادي وسياسي، وهو ما دفع عدداً من الإصلاحيين داخل السلطنة إلى البحث عن وسائل للنهوض بالإدارة العثمانية. غير أنّ القوى الأوروبية الكبرى – بريطانيا وفرنسا وروسيا – كانت حريصة على التدخل في شؤون الباب العالي ومحاولة فرض نفوذها على قراراته. ومع اعتلاء السلطان الشاب عبد الحميد الثاني العرش عام 1876، استبشر الإصلاحيون خيراً، ورأوا في الإعلان الدستوري الذي دشن عهده بارقة أمل في إنقاذ الرجل المريض، إلا أن السلطان لم يلبث أن أوقف العمل بالدستور، ليدخل العهد العثماني في مرحلة عرفت لاحقاً بـ الاستبداد الحميدي، حيث تزايدت سلطة السلطان الفردية وتراجعت الحياة الدستورية[3].

وفي إطار محاولات التحديث التي شهدتها السلطنة في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، حظيت مشاريع البنية التحتية، ولا سيما مد خطوط السكك الحديدية، بأهمية متزايدة، باعتبارها أداة فعالة لربط أطراف الدولة المترامية وتعزيز الإدارة المركزية. وقد ازدادت أهمية مشروع سكة حديد بغداد تحديداً في ظل الاضطرابات الداخلية والأزمات الخارجية التي تفاقمت في تسعينيات القرن التاسع عشر. ففي عامي 1895-1896، انفجرت المسألة الأرمنية لتغدو إحدى أخطر الأزمات التي واجهت السلطان عبد الحميد الثاني، وقد اتخذت بريطانيا وفرنسا وروسيا هذه القضية ذريعة للتدخل المباشر في الشؤون الداخلية العثمانية، تحت

---

[1] محمود شاكر، (2005). موسوعة تاريخ الخليج العربي، دار أسامة للنشر والتوزيع، الاردن، عمان.

[2] لؤي بحري، (1967). سكة حديد بغداد: دراسة في تطور ودبلوماسية قضية سكة حديد برلين-بغداد حتى عام 1914. بغداد: شركة الطبع والنشر الأهلية.

[3] مصلح محمد عبد، (2020). المانيا القيصرية والخليج العربي، جامعة الابار - كلية التربية للبنات / قسم التاريخ، ص4-10.

ستار حماية حقوق الأرمن غير أن مواقف هذه القوى لم تكن بريئة أو إنسانية بحتة، بل ارتبطت بمصالحها الاستراتيجية والاقتصادية في المنطقة.

وقد أبلغ وزير خارجية روسيا القيصرية (الأمير ألكسي لوبانوف روستوفسكي) (السفير الألماني في إسطنبول هوغو فون رادولين) أن تدخل بلاده جاء بالأساس لمنع بريطانيا من الانفراد بالتأثير على السلطنة. إلا أن السياسة الروسية تجاه الأرمن تغيرت بصورة ملحوظة بعد اغتيال (القيصر ألكسندر الثاني) في آذار/ مارس 1881، حيث تبنى خلفه ألكسندر الثالث سياسة قمعية صارمة، تمثّلت في إغلاق المدارس الأرمنية وتشديد الرقابة عليهم، وهو ما مثل ضربة قاسية للتطلعات الأرمنية، حافظ الألمان على موقفهم السلبي من المسألة الأرمنية، وهو ما عزز من ثقة السلطان عبد الحميد الثاني بهم، ومكنهم من الاقتراب أكثر من الدوائر العثمانية الرسمية، الأمر الذي كان له أثر مباشر في تسهيل حصولهم لاحقاً على امتيازات مشروع سكة حديد بغداد[1].

طرح السلطان عبد الحميد الثاني في منتصف تسعينيات القرن التاسع عشر مسألة مد خط حديد يصل إلى بغداد على مستشاريه، في محاولة لتعزيز نفوذ الدولة العثمانية داخلياً وخارجياً. وقد أُبلغ السفير الألماني في إسطنبول، (هوغو فون رادولين)، عام 1895 برغبة السلطان في أن تتولى شركة سكك حديد الأناضول مهمة التوسع نحو بغداد. إلا أن ممثلي الشركة أوضحوا في حينه أنّ تكاليف المشروع تفوق قدراتهم، ما دفع رادولين إلى نصح حكومته بعدم رفض الطلب العثماني بشكل قاطع، وإنما إبقاء باب المفاوضات مفتوحاً لكسب الوقت وضمان استمرار العلاقة المتميزة مع السلطان[2].

وبعد أن تعثرت محاولاته، وجه السلطان عبد الحميد رسالة شخصية إلى الإمبراطور (فيلهلم الثاني) في شباط/ فبراير 1896، طالباً منه التدخل لإقناع إحدى الشركات الألمانية المتخصصة بتنفيذ المشروع. وفي الوقت ذاته، تلقت الدولة العثمانية عروضاً متعددة من ممثلين أوروبيين منافسين للألمان، مثل (ألكسيس دوبارشي وتشارلز كوتارد وسركيس بك)، الذين اقترحوا إنشاء خط حديدي يصل إلى الخليج العربي مروراً ببغداد، مع خط فرعي يربط أنطاكيا بديار بكر. وكان السلطان يتعامل مع هذه العروض الأوروبية باعتبارها وسيلة ضغط على الألمان لدفعهم إلى تسريع خطواتهم، غير أنّ الدوافع الحقيقية لتلك المقترحات الأوروبية لم تكن بناء خطوط جديدة فحسب، بل الحيلولة دون حصول الألمان على امتياز استراتيجي يسمح لهم بالوصول من أوروبا إلى قلب الأناضول ثم الخليج العربي[3].

وقد رأت الإدارة العثمانية أن المشروع يمثل ضرورة عسكرية إلى جانب أبعاده الاقتصادية، إذ يتيح نقل الجيوش بسرعة لمواجهة الثورات الداخلية أو الحروب المحتملة. غير أن هذه الحجة ذاتها جعلت "بنك ألمانيا" يتعامل بحذر، لأن الاستثمار في أراضي إمبراطورية يكتنف مستقبلها السياسي الغموض لم يكن قراراً سهلاً. كما أن الأزمة الاقتصادية التي كانت تعصف بالسلطنة أثارت الشكوك في قدرتها على تقديم الضمانات المالية اللازمة لتنفيذ المشروع.

ومع انشغال (السلطان عبد الحميد) بأحداث أخرى، تراجع الاهتمام بالمشروع لفترة، خصوصاً بعد اندلاع الثورة في جزيرة كريت عام 1897 وتدخل اليونان بدعمها، وهو ما دفع السلطان إلى إعلان الحرب في 17 نيسان/ أبريل من العام نفسه، لتختتم المواجهة بانتصار عثماني واضح. خلال هذه الحرب، غيرت ألمانيا نهجها السابق القائم على الحياد السلبي، لتتبنى موقفاً داعماً للعثمانيين بشكل علني، حيث صرح السفير الألماني الجديد في إسطنبول، (أدولف مارشال فون بيبرشتاين)، بأن بلاده عازمة على

---

[1] علاء محمد جهاد الخفاجي، (2018). سياسة روسيا الخارجية في عهد القيصر ألكسندر الثاني، جامعة كربلاء – كلية التربية العلوم الانسانية / قسم التاريخ، ص10.

[2] لؤي بحري، (1967) مصدر سابق.

[3] محمد حسين العيدروس، (1998). تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، الطبعة 2، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، ص23.

الدفاع عن حقوق الدولة العلية مع الحفاظ في الوقت نفسه على السلم الأوروبي. وأرجع (بيبرشتاين) جانباً من الانتصار العثماني إلى خبرة الضباط الألمان، وعلى رأسهم غولتز باشا، الذين ساهموا في تدريب الجيش العثماني، مؤكداً أن ثقة المسؤولين العثمانيين بالألمان تعززت بشكل ملحوظ. ومن ثم، استؤنفت المفاوضات بين العثمانيين والألمان حول مشروع سكة حديد بغداد أواخر عام 1897، متزامنة مع انحسار آثار الأزمة الاقتصادية العالمية لعام 1893 وعودة التنافس الدولي على الامتياز. كما أسهم النصر على اليونانيين في تقوية موقع السلطان عبد الحميد داخلياً وخارجياً. وقد برزت شخصيتان محوريتان في مسار المشروع كورت زاندر، المدير الجديد لشركة سكك حديد الأناضول، الذي لعب دور في إدارة المفاوضات، ومارشال فون بيبرشتاين، السفير الألماني الذي تولى منصبه في إسطنبول ابتداءً من 15 شباط/فبراير 1897. وقد كرّس بيبرشتاين طوال خمسة عشر عاماً جهوده لتعزيز النفوذ الألماني في السلطنة، حيث نجح في إقناع السلطان بأن القوى الأوروبية الكبرى تسعى إلى إضعاف الدولة العثمانية وتفكيكها، بينما تنفرد ألمانيا بالرغبة في دعمها وتقويتها. وقد أظهر بيبرشتاين مهارة دبلوماسية لافتة مكّنته من كسب ثقة السلطان العثماني، الأمر الذي مهد الطريق لاحقاً لمنح الألمان الامتياز الحصري لمشروع سكة حديد بغداد.

شهدت الأعوام 1898 و1899 تزايداً ملحوظاً في طلبات الشركات الأجنبية الراغبة في الحصول على امتياز مدّ خط السكة الحديدية من قونية إلى بغداد. وبعد دراسة العروض المقدمة، وقع اختيار وزارة الأشغال العامة العثمانية على الجانب الألماني، الذي بادر بتأسيس شركة سكة حديد بغداد بتمويل من عدة بنوك ألمانية، في مقدمتها بنك ألمانيا (Deutsche Bank). وقد شكّل هذا الاختيار نقطة تحول مهمة في المشروع، إذ أسندت للجانب الألماني مسؤولية التنفيذ الذي بدأ فعلياً في عام 1903. وأن المرحلة الممتدة بين منح الامتياز عام 1902 وحتى اندلاع الحرب العالمية الأولى اتسمت بكونها فترة حافلة بالمفاوضات والمناورات السياسية بين القوى الأوروبية الكبرى. فقد سعت كل دولة إلى تأمين نصيب لها في المشروع، أو على الأقل منع منافسيها من المشاركة فيه. وهذه المفاوضات كانت تتأرجح بين المد والجزر، وكان من الممكن أن تؤدي إلى تفاهمات حقيقية بين الأطراف المعنية، لولا أن اندلاع الحرب العالمية الأولى قطع الطريق أمام أي تسويات محتملة. وأن إشكاليات سكة حديد بغداد لم تكن مجرد قضية اقتصادية أو إنشائية، بل تحولت إلى واحدة من أبرز عناصر الخلافات الدولية عشية الحرب العالمية الأولى. فالصراع حول المشروع مثل في جوهره صراعاً على النفوذ الاستراتيجي والهيمنة الاقتصادية في منطقة الشرق الأوسط. وبالرغم من النجاحات التي حققها الألمان في مد الخطوط على الأراضي العثمانية، إلا أنهم لم يتمكنوا من إكمال الجزء العراقي من المشروع، وهو ما آل في نهاية المطاف إلى إتمامه على يد قوات الاحتلال البريطاني. ومع ذلك، فقد أفضى هذا المسار التاريخي إلى بروز (قطار الشرق السريع)، الذي غدا رمزاً للتشابك بين السياسة الدولية والبنية التحتية في مطلع القرن العشرين، وقد استخدم المشروع كأداة سياسية لموازنة النفوذ الأوروبي في الشرق الأوسط، حيث ترى ألمانيا أن امتلاك خط بري قوي إلى بغداد يعزز من مكانتها في المفاوضات الدولية ويمنحها تأثيراً أكبر داخل الدولة العثمانية نفسها، لاسيما في السلطنة والمناطق ما وراء الأناضول [1].

المطلب الثاني: الأهمية الاقتصادية والاستراتيجية للمشروع على مستوى الشرق الأوسط وأوروبا

أَوّلاً- الأهمية الاقتصادية للمشروع:

[1] أراس حسين الفت، (2021). سكة حديد برلين-بغداد، 1880-1914: دراسة في العلاقات الدولية. القاهرة: دار جليس الزمان للنشر والتوزيع.

مثل مشروع سكة حديد بغداد- برلين تحول اقتصادي كبير، إذ كان من شأنه أن يقلل من الاعتماد على الطرق البحرية الطويلة والمكلفة، خصوصاً تلك التي تسيطر عليها بريطانيا عبر قناة السويس، فالخط كان سيختصر المسافة بين أوروبا والشرق الأوسط بشكل كبير، ويوفر وقتاً وتكلفة في النقل والتجارة، وإن الرحلة من بغداد إلى البصرة عبر السكك الحديدية كانت ستستغرق يوماً واحداً فقط، مقارنة بأربعة إلى خمسة أيام عبر النقل النهري وشركات البواخر. وهذا يشير إلى نقلة نوعية في كفاءة النقل والتجارة الإقليمية كذلك، فإن الخط كان سيؤدي إلى فتح أسواق جديدة للمنتجات الصناعية الألمانية داخل بلاد ما بين النهرين، وتسهيل تصدير المنتجات الزراعية من المنطقة إلى أوروبا، كان المشروع سيجعل من العراق مركز تجاري إقليمي يربط بين تركيا وإيران وشبه الجزيرة العربية من جهة، وأوروبا من جهة أخرى[1].

كما أن المشروع كان سيعزز من التنمية الاقتصادية المحلية، من خلال إنشاء محطات ومرافئ وخدمات لوجستية، وتحفيز النشاط العمراني والتجاري على طول الخط. وبذلك لم يكن مجرد مشروع دولي، بل أداة لتحديث البنى التحتية داخل أراضي الدولة العثمانية وخاصة العراق[2].

ثانياً- الأهمية الاستراتيجية للمشروع:

كان مشروع سكة حديد بغداد-برلين يمثل أداة سياسية لتعزيز نفوذ ألمانيا في الشرق الأوسط. فالمشروع لم يكن مجرد خط اقتصادي، بل كان جزءاً من سياسة القوة الناعمة والصلبة في آن واحد، إذ من خلاله تمكنت ألمانيا من تعزيز موقعها داخل الدولة العثمانية، ومواجهة النفوذ البريطاني والفرنسي المتزايد في المنطقة، وأن المشروع كان يهدف إلى تقليل اعتماد ألمانيا والدولة العثمانية على الطرق البحرية التي تسيطر عليها بريطانيا وفرنسا. فوجود خط بري مباشر إلى بغداد يعني تقليص النفوذ البريطاني عبر قناة السويس، وهو ما أثار قلقاً لدى القوى الاستعمارية التي رأت فيه تهديد مباشر لمصالحها في الهند والخليج[3].

أَمّا على المستوى العسكري فقد عد المشروع أداة مهمة في تسهيل تحريك القوات والإمدادات العسكرية بسرعة عبر آسيا الصغرى وبلاد الرافدين، وأن هذا المشروع لو اكتمل كان سيغير موازين القوى العسكرية في المنطقة، ويمنح ألمانيا والدولة العثمانية قدرة أكبر على مواجهة النفوذ البريطاني والروسي. كان للمشروع بعد نفطي مهم، إذ أن مد الخط عبر العراق كان يفتح المجال أمام استغلال موارد النفط في المنطقة وربطها بالأسواق الأوروبية. وقد اعتبر بعض المؤرخين أن هذا الجانب النفطي كان من بين أهم العوامل التي جعلت المشروع محل تنافس شديد بين القوى الكبرى [4].

نستنتج من ذلك أن مشروع سكة حديد بغداد-برلين لم يكن مجرد مشروع نقل اقتصادي، بل مشروع استراتيجي شامل له أبعاد تجارية، سياسية، عسكرية، ونفطية. فقد شكل خطر مباشر على النفوذ البريطاني والفرنسي، وفي الوقت ذاته فتح المجال أمام ألمانيا لتوسيع حضورها الدولي وتعزيز موقعها في الشرق الأوسط[5].

المبحث الثاني: الموقف الفرنسي من مشروع سكة حديد بغداد – برلين

---

[1] عبد العزيز، كمال (2023). مشروع سكة حديد بغداد - برلين: دراسة في أبعاده الدولية. إيلاف. استرجع من https://elaph.com : (https://elaph.com/Web/NewsPapers/2023/09/1515297.html)

[2] فاروق العامري، (2018). مشروع سكة حديد بغداد - برلين وأبعاده الاقتصادية والسياسية. موقع الكاردينيا.

[3] لؤي بحري، مصدر سابق.

[4] فاروق العامري، مصدر سابق.

[5] خالد بن حمود السعدون، (2009). سير العمل في إنشاء سكة حديد برلين-بغداد (1326-1332 هـ/ 1908-1914 م)". الدارة. المجلد 35، العدد 4، ص 115.

يعد الموقف الفرنسي من مشروع سكة حديد بغداد- برلين أحد المحاور المهمة في فهم طبيعة التنافس الدولي على الشرق الأوسط قبيل اندلاع الحرب العالمية الأولى فرنسا بوصفها إحدى القوى الاستعمارية الكبرى، رأت في المشروع الألماني تهديد مباشر لمصالحها الاقتصادية والسياسية في المنطقة، خصوصاً وأنها كانت تملك استثمارات واسعة في الامتيازات العثمانية، إضافة إلى نفوذها الثقافي والديني عبر المدارس والإرساليات، ولقد اتسمت السياسة الفرنسية تجاه المشروع بالتردد بين التعاون المحدود من جهة، والمواجهة غير المباشرة من جهة أخرى. فمن الناحية الاقتصادية، كانت فرنسا تسعى إلى الحفاظ على مصالحها المالية في السلطنة العثمانية، خاصة وأن مصارفها شاركت في تمويل بعض مراحل المشروع في بدايته. أما من الناحية الاستراتيجية، فقد اعتبرت فرنسا أن اكتمال هذا الخط سيعزز النفوذ الألماني في الشرق الأوسط ويقوّض التوازن الأوروبي الذي كانت تسعى للحفاظ عليه بالتنسيق مع بريطانيا وروسيا. وإن دراسة الموقف الفرنسي تكشف لنا كيف تداخلت الأبعاد الاقتصادية بالسياسية في صياغة المواقف الدولية من المشروع [1]، وكيف ساهمت المنافسة الفرنسية-الألمانية في زيادة التوترات التي مهدت الطريق لاحقاً إلى اندلاع الحرب العالمية الأولى.

المطلب الأول: دو افع الموقف الفرنسي

أولاً- دو افع اقتصادية:

واجهت فرنسا عدة حوافز للاعتراض أو للتحفظ على مشروع سكة حديد بغداد- برلين من الناحية الاقتصادية، إحدى هذه الحوافز كانت خوفها من أن تتجاوز ألمانيا المسارات التجارية التي تسيطر عليها فرنسا وكذلك البريطانية، فامتداد الخط الحديدي يهدد الأسواق الفرنسية في الشرق الأوسط ويخفض من عوائد النقل البحري وخدمات الموانئ التي تستفيد منها فرنسا وقوى مرتبطة بها. كما أن المستثمرين الفرنسيين رأوا في المشروع زيادة في النفوذ الألماني في السلطنة العثمانية، مما يمكن أن يقلل من فرصهم في الحصول على العقود أو الامتيازات[2].

ثانياً- دو افع استعمارية:

كانت فرنسا ترغب في الحفاظ على النفوذ الاستعماري في الشرق الأدنى (لبنان، سوريا، بلاد الشام بشكل عام) الذي اكتسبته عبر الامتيازات الدينية، التعليمية، والمصارف. مشروع بغداد-برلين قد يُقلل من هذه التبعية ويمنح ألمانيا موطئ قدم في المنطقة، مما يعني منافسة على النفوذ غير المباشر. كما أن السيطرة على الطرق البرية والنقل تعد جزءاً من القوة الاستعمارية، فكلما زادت قدرة طرف خارجي على الربط المزمع للأقاليم، كلما قلّ تأثير القوى التي تملك مصالح قائمة[3].

ثالثاً- دو افع سياسية:

لدى فرنسا كذلك دوافع سياسية واضحة للمعارضة أو التحفظ من بينها السياسة التي تربطها بالتحالفات الدولية، خاصة مع روسيا (التي كانت تعارض النفوذ الألماني في المناطق العثمانية)، وكذلك الرغبة في حماية مكانتها الدبلوماسية أمام تتوسع النفوذ الألماني. فرنسا كانت تشعر بأن مشروع سكة حديد بغداد- برلين قد يؤدي إلى ضعف دورها التفاوضي مع السلطان العثماني، ويعزز

---

[1] عباس العزاوي، (1956). تاريخ العراق بين احتلالين، بغداد، مطبعة بغداد، ص108.

[2] Taylor, A. J. P. (1954). The Origins of the First World War. London: Hamish Hamilton.

[3] Taylor, A. J. P. (1954). The Origins of the First World War. London: Hamish Hamilton.

من قدرة ألمانيا على فرض شروط في الاتفاقيات التي تشمل بنود المواصلات والتجارة والسلطة في المناطق الواقعة على المسارات المحتملة للسكة[1].

رابعاً- المنافسة مع ألمانيا وبريطانيا:

ألمانيا كانت تسعى إلى توسيع نفوذها عبر المشروع، بما في ذلك الحصول على امتيازات التعدين وامتدادات السكك الحديدية وصولاً إلى الخليج العربي، وهو ما خلق قلق لدى فرنسا بأنها ستهمش إذا تمكنت ألمانيا من استغلال مشروع كبير كهذا لتكوين شبكة نفوذ اقتصادي واستراتيجي. (The Middle East and Imperialism, PCINT).

اما بريطانيا فأنها كانت تسيطر على الممرات البحرية والتجارة مع الهند والخليج، وكان مشروع بغداد- برلين يَحاول اختراق أو تقليل أهمية هذه الممرات، وهو ما جعل بريطانيا وفرنسا على حد سواء تعارضان المشروع أو تطالبان بأن يكون تحت إشراف دولي أو أن تشاركان فيه بما يضمن مصالحهما.

المطلب الثاني: مو اقف فرنسا العملية و انعكاس ذلك على سياستها في الشرق الأوسط

أولاً- الموقف الدبلوماسي الفرنسي:

ان فرنسا استخدمت القنوات الدبلوماسية العثمانية الأوروبية للاعتراض أو للتعبير عن تحفظها تجاه امتيازات المشروع، خصوصاً عند المفاوضات التي جرت بين ألمانيا والدولة العثمانية، فقد بعثت ببعض المذكرات إلى الحكومة العثمانية تطالب بتوضيح كيف سيؤثر الخط الحديدي على النفوذ الفرنسي القائم في المشرق، وطلبت ضمانات بأن تمويل المشروع أو امتيازاته لا تنال من مصالحها في التجارة أو من النشاط التبشيري والديني. هذا النوع من المراسلات ساهم في خلق هدوء نسبي في بعض فترات التفاوض، ولكنه لم يكن كافياً لمنع المشروع من المضي قدماً، وقد حاولت فرنسا في بعض اللحظات اقتناص جزء من الامتيازات أو ضمان مشاركة في المشاريع المتصلة بالنقل والبنى التحتية في السلطنة العثمانية، إما مباشرة أو عبر شركائها، كي لا يستبعد من عقد الربط الحديدي أو الخدمات المحيطة به، وطلبت في بعض الاتفاقيات أن تؤمن حقوقها في المرور التجاري والتخليص الجمركي للنقل البري، بحيث لا تفرض قيود تفضي إلى تهميش الشركات أو التجار الفرنسيين. هذا السلوك دبلوماسي تكتيكي، لكنه دلّ على رغبة فرنسا في أن تظل المصدر المؤثر وليس مجرد منافس سلبي[2].

ثانياً- الموقف الإعلامي وتأثيره:

الإعلام الفرنسي في تلك الحقبة استُخدم كوسيلة للتأثير على الرأي العام وملأ الصحف والمجلات بالتحذيرات من المخاطر التي قد تنجم عن السيطرة الألمانية على طرق النقل إلى الشرق الأوسط. وكانت تسعى الدولة العثمانية لسيطرة أكبر على النفط، وأن مشروع السكة الحديد كان نقطة احتكاك بين المصالح الألمانية والفرنسية، مما أثار نقاش سياسي وإعلامي في باريس حول كيف تواجه فرنسا هذا التحدي.

ثالثاً- التحالفات الدولية وتأثيرها على الموقف الفرنسي:

كانت فرنسا تنسق في كثير من الأحيان، مواقفها مع بريطانيا وروسيا بشكل غير رسمي أو ضمن تفاهمات سياسية، لتقوية موقفها تجاه المشاريع التي تراها مهددة لنفوذها. التحالفات القائمة مثل الوفاق الثلاثي بين فرنسا وبريطانيا وروسيا وسيلة كانت تستخدم لتبادل المعلومات، وتشكيل جبهات دبلوماسية ضد النفوذ الألماني في مناطق النفوذ التقليدية، بما في ذلك الشام والعراق.

---

[1] المصدر نفسه.

[2] Ediger, V. Ş., & Bowlus, J. V. (2019). Greasing the wheels: the Berlin-Baghdad railway and Ottoman oil, 1888-1907. Middle Eastern Studies, 56(2), P193.

بالإضافة إلى التحالفات السياسية، مارست القوى الأوروبية، بما فيها فرنسا، ضغوط اقتصادية ومالية على الحكومة العثمانية لتعزيز الشروط التي تخدم مصالحها كـ رسوم العبور، الرسوم الجمركية، السياسات الاستثمارية، وحقوق الامتياز كانت موضع جدل كبير. فرنسا كانت من الدول التي سعت إلى أن تستفيد من هذه السياسات. هذا النوع من الضغوط ساعد في فرض شروط معينة على المشروع، مما جعل تنفيذه مع مرور الزمن أكثر تعقيد.

رابعاً- انعكاسات الموقف الفرنسي على سياستها في الشرق الأوسط والعالم:

موقف فرنسا من مشروع برلين-بغداد انعكس في أنها شددت من تدخلها في المناطق التي تعتبرها منطقة نفوذ من الناحية الثقافية والسياسية: الشام (سوريا ولبنان) والعراق. استثمارها في المدارس، وانتشاراتها التبشيرية، والشبكات المصرفية أُعيد تنشيطها أو الحفاظ عليها بشكل أقوى لضمان منافسة التضخّم الألماني. السياسة الثقافية والدينية أصبحت جزءً من الاستراتيجية السياسية. وقد أدت الخشية من فقدان بعض الفرص الاقتصادية إلى دفع فرنسا نحو تحفيز استثماراتها الخاصة في الشرق الأوسط، والمطالبة بحقوق امتياز في النقل والموانئ والبنى التحتية، وربما المشاركة في المشاريع الكبيرة كخط السكك الحديدية إذا أتيحت الفرصة. كما أنها حرصت على أن تكون جزء من الامتيازات التي تمنَح لدول أو شركات أجنبية، لتقليل الحصة الألمانية المطلقة، أو ضمان أن تكون الشروط تحمي مصالحها[1].

نتيجة للمنافسة ووجود المشروع، تبنت فرنسا سياسة أكثر حذراً في تعاملها مع الدولة العثمانية، تجمع بين التعاون عندما يكون مفيد والموقع الانتقادي عندما ترى أن المشروع سيؤثر سلباً على مصالحها. كما أنها حاولت استخدام التحالفات الدولية، الضغوط المالية، والمفاوضات السرية لتقييد التمدد الألماني. هذا التوازن انعكس لاحق في الحروب الكبرى، وفي مفاوضات ما بعد الحرب، وعند تقسيم مناطق النفوذ، والموقف الفرنسي من المشروع كان جزءً من تراكمات التوترات بين القوى الأوروبية، وبخاصة مع ألمانيا. الفعل الألماني في السكة الحديدية برلين-بغداد، مع الخشية الفرنسية من أن يؤدي هذا المشروع إلى تعزيز القوة الألمانية في الشرق الأوسط، ساعد على تشديد التنافسات الاستراتيجية والتحالفات العسكرية قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى. فرنسا رأى أن من الضروري أن تكون مستعدة لاستراتيجيات المواجهة السياسية والدبلوماسية مع ألمانيا، وهذا جزء من السياق الأوسع للنزاع الأوروبي[2].

الخاتمة

إن مشروع سكة حديد بغداد - برلين لم يكن مجرد مشروع بنية تحتية للنقل والاتصال، بل كان تجسيداً لتنافس استعماري بين القوى الأوروبية الكبرى في مطلع القرن العشرين. لقد مثّل المشروع بالنسبة لألمانيا وسيلة لتعزيز نفوذها الاقتصادي والاستراتيجي في الشرق الأوسط وربط موارد السلطنة العثمانية بالأسواق الأوروبية، بينما نظرَت فرنسا إليه باعتباره تهديداً مباشراً لمصالحها الاقتصادية في السلطنة العثمانية، ولنفوذها الثقافي والديني في بلاد الشام، فضلاً عن كونه عنصر مقلق في ميزان القوى الأوروبية.

---

[1] Ediger, V. Ş., & Bowlus, J. V. (2019). Greasing the wheels: the Berlin-Baghdad railway and Ottoman oil, 1888-1907. Middle Eastern Studies, 56(2), P193.

[2] Ediger, V. Ş., & Bowlus, J. V. (2019). Greasing the wheels: the Berlin-Baghdad railway and Ottoman oil, 1888-1907. Middle Eastern Studies, 56(2), 193..

الموقف الفرنسي اتسم بالتعقيد؛ إذ تراوح بين التحفظ والمشاركة الجزئية عبر الاستثمار في بعض مراحل التمويل، وبين المعارضة الواضحة على المستويين الدبلوماسي والإعلامي، بالتوازي مع تنسيق مواقفها مع حليفتها بريطانيا وروسيا هذا التذبذب يعكس إدراك فرنسا لصعوبة مواجهة المشروع الألماني منفردة، ومحاولتها الحفاظ على مصالحها ضمن إطار من التوازن الدولي.

أَوَّلاً- النتائج:

أ. برزت فرنسا كقوة مالية كبرى في السلطنة العثمانية، حيث امتلكت استثمارات واسعة، ما جعلها تنظر بعين القلق إلى المشروع الذي قد يقلص من نفوذها المالي.

ب. أدركت فرنسا أن المشروع قد يضعف امتيازاتها التعليمية والدينية في بلاد الشام، وهو ما دفعها إلى تشديد حضورها الثقافي والتبشيري.

ت. اعتمدت فرنسا في مواجهة المشروع على تنسيق مواقفها مع بريطانيا وروسيا في إطار الوفاق الثلاثي، باعتباره وسيلة لتطويق الطموح الألماني.

ث. لعب الإعلام الفرنسي دوراً محورياً في صياغة صورة المشروع كخطر استراتيجي، ما أسهم في تعبئة الرأي العام الفرنسي ضد التوسع الألماني.

ج. شكل الموقف الفرنسي جزءاً من شبكة أوسع من التوترات بين القوى الأوروبية، ما ساهم في تعميق الخصومات التي قادت إلى الحرب العالمية الأولى.

ثانياً- الاقتراحات:

أ. يقترح إجراء دراسات مقارنة بين الموقف الفرنسي من مشروع بغداد-برلين ومواقفها من مشاريع استراتيجية أخرى في أفريقيا وآسيا، لفهم استمرارية منطقها الاستعماري.

ب. الحاجة قائمة إلى تحقيقات أوسع في الأرشيفات الفرنسية والعثمانية، خاصة في المراسلات الدبلوماسية والوثائق الاقتصادية، لتوضيح تفاصيل الموقف الفرنسي.

ت. يمكن تطوير دراسات متخصصة عن الخطاب الإعلامي الفرنسي في تلك الفترة، وكيفية مساهمته في صياغة السياسات العامة.

ث. دراسة هذا المشروع لا تقتصر على فهم التاريخ، بل يمكن أن تساهم في تحليل استراتيجيات القوى الكبرى المعاصرة في مشاريع البنى التحتية العابرة للحدود (مثل الحزام والطريق الصيني).

قائمة المصادروالمراجع

1- لؤي بحري، (1967). سكة حديد بغداد: دراسة في تطور ودبلوماسية قضية سكة حديد برلين-بغداد حتى عام 1914. بغداد: شركة الطبع والنشر الأهلية.

2- أراس حسين الفت، (2021). سكة حديد برلين-بغداد، 1880-1914: دراسة في العلاقات الدولية. القاهرة: دار جليس الزمان للنشر والتوزيع.

3- عباس العزاوي، (1956). تاريخ العراق بين احتلالين، بغداد، مطبعة بغداد.

4- علاء محمد جهاد الخفاجي، (2018). سياسة روسيا الخارجية في عهد القيصر ألكسندر الثاني، جامعة كربلاء – كلية التربية العلوم الانسانية / قسم التاريخ.

5- خالد بن حمود السعدون، (2009). سير العمل في إنشاء سكة حديد برلين-بغداد (1326-1332 هـ / 1908-1914 م)". الدارة. المجلد 35، العدد 4.

6- يقظان سعدون (1989). الاتصالات الألمانية - العثمانية بشأن الحصول على امتياز مد سكة حديد برلين-بغداد. المؤرخ العربي. المجلد 15، العدد 39، ص 93-100.

7- محمد حسين العيدروس، (1998). تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، الطبعة 2، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية.

8- مصلح محمد عبد، (2020). المانيا القيصرية والخليج العربي، جامعة الابار - كلية التربية للبنات / قسم التاريخ.

9- محمود شاكر، (2005). موسوعة تاريخ الخليج العربي، دار أسامة للنشر والتوزيع، الاردن، عمان.

10- Ediger, V. Ş., & Bowlus, J. V. (2019). Greasing the wheels: the Berlin-Baghdad railway and Ottoman oil, 1888-1907. Middle Eastern Studies, 56(2).

11- Barth, B., & Whitehouse, J. C. (1998). The financial history of the Anatolian and Baghdad railways, 1889-1914. Financial History Review, 5(2), P115.

12- Taylor, A. J. P. (1954). The Origins of the First World War. London: Hamish Hamilton.

13- The Middle East and Imperialism. (n.d.). Dans PCINT. Retrieved from https://www.pcint.org/04_PC/104/104_moyen-orient.htm

14- عبد العزيز، كمال (2023). مشروع سكة حديد بغداد - برلين: دراسة في أبعاده الدولية. إيلاف. استرجع من: https://elaph.com (https://elaph.com/Web/NewsPapers/2023/09/1515297.html)

15- فاروق العامري، (2018). مشروع سكة حديد بغداد - برلين وأبعاده الاقتصادية والسياسية. موقع الگاردينيا.

البيوت العلمية في مدينة بلنسية في الاندلس

م.م. رقية علي عبد الزهراء الرفيعي/ كلية التربية الأساسية/ جامعة بابل/ العراق

المستخلص:

شهدت بلنسية -كجزء من الأندلس- حركة علمية وأدبية كبيرة، وازدهرت بفضل الاتصال الكبير مع المدن الإسلامية الأخرى في المشرق والمغرب، إذ احتل علماؤها مركزًا اجتماعيًا مرموقًا وحظوا باحترام الأمراء، مما شجع الناس على المشاركة في مجالس العلم فيها.

ومن عوامل ازدهار الحركة العلمية في بلنسية:

1. الاتصال العلمي والثقافي: كان لبلنسية اتصال علمي كبير مع المدن الإسلامية الأخرى في المشرق والمغرب، مما ساهم في تبادل المعرفة والأفكار.
2. مكانة العلماء واحترام الأمراء: حظي العلماء في بلنسية بمكانة اجتماعية مرموقة وثقة واحترام من قبل الأمراء والحكام، مما شجع على إقبال الناس على مجالس العلم فيها.
3. العناية بالكتب والمكتبات: كان الاهتمام الكبير بالكتب تأليفًا ونسخًا وقراءة وإنشاء المكتبات، من العوامل الرئيسية في ازدهار الحركة العلمية والأدبية في الأندلس.
4. المشاركة العلمية للخلفاء والأمراء: ساهمت مشاركة الخلفاء والأمراء في الحياة العلمية وتكريمهم للعلماء في دعم الحركة العلمية وتشجيعها.
5. الرحلات العلمية: قامت الرحلات العلمية لعلماء الأندلس إلى بلاد الحجاز والمشرق في أثرى الفكر الأندلسي وساهم في انتشار مذهب معين.

الكلمات المفتاحية: البيوت العلمية، الأسر العلمية، الحركة العلمية، بلنسية، الأندلس.

Abstract:

As part of Andalusia, Valencia witnessed a major scientific and literary movement and flourished thanks to its close contact with other Islamic cities in the East and West. Its scholars held a prestigious social position and were respected by the princes, which encouraged people to participate in its scholarly gatherings.

Factors contributing to the flourishing of the scientific movement in Valencia include:

1. Scientific and cultural contact: Valencia had significant scientific contact with other Islamic cities in the Levant and Maghreb, which contributed to the exchange of knowledge and ideas.
2. The Status of Scholars and the Respect of Princes: Scholars in Valencia enjoyed a prestigious social status and were trusted and respected by princes and rulers, which encouraged people to attend its scholarly gatherings.
3. The Care of Books and Libraries: The great interest in books—authoring, copying, reading, and establishing libraries—were key factors in the flourishing of the scientific and literary movement in Andalusia.
4. The Scientific Participation of Caliphs and Princes: The participation of caliphs and princes in scientific life and their honoring of scholars contributed to supporting and encouraging the scientific movement.
5. Scientific Journeys: The scientific journeys of Andalusian scholars to the Hijaz and the Levant enriched Andalusian thought and contributed to the spread of a particular school of thought.

Keywords: Scientific houses, Scientific families, Scientific movement, Valencia, Andalusia.

المقدّمة

تُعَدّ مدينة بلنسية ثالث مدن إسبانيا بعد مدريد وبرشلونة، وكانت من أعظم قواعد الإسلام في الأندلس، وحاضرة مملكة بلنسية هي إحدى ممالك الطوائف الأندلسية، والتي لا تزال آثارنا الإسلامية شاهدة على عظمة ما خلّفه المسلمون من تاريخ وحضارة وعمران.

وكان لبلنسية أثرًا مهمًا وخطيرًا في حوادث إسبانيا الإسلامية بوجه عام، وشرق الأندلس بصفة خاصة، لا سيّما في عصر ملوك الطوائف، فقد كانت محور الصراعات التي دارت بين دويلات الطوائف في شرق الأندلس، كما كان لها أثر هام إبان الصراع القائم بين الإسلام والنصرانية في الأندلس، فضلًا عن دورها السياسي والعسكري البارز في تاريخ إسبانيا الإسلامية والمسيحية على السواء، إذ شاركت بشكل فعال في البناء الحضاري الأندلسي، لا سيّما في عصر دويلات الطوائف.

سلّط البحث الضوء على البيوت العلمية في بلنسية، والنشاط العلمي والثقافي التي أدتها تلك البيوت والأسْر، وبيان أثر علماء المدينة والمؤسسات التعليمية في الازدهار العلمي والثقافي فيها.

اقتضت خطة البحث تقسيمه إلى: (تمهيد، ومقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة). تناول التمهيد (جغرافية مدينة بلنسية، وتاريخها أثناء الفتح الإسلامي لها). وتضمن المبحث الأول موضوع: (الحياة العلمية والثقافية في مدينة بلنسية)، وشمل المطالب الآتية: (الأساس العلمي للخلفاء الموحدين في الأندلس وتشجيعهم للعلماء، والاهتمام العلمي للمجتمع في بلنسية، ووجود العلماء الأعلام، والصلة الوثيقة بين العلماء وطلبتهم، وإيثار العلماء). وتضمن المبحث الثاني موضوع: (مراكز التعليم في بلنسية)، وشمل المطالب الآتية: (المسجد، ومنازل العلماء، والحدائق والبساتين، والدكاكين، وحوانيت الوراقين). ودرس المبحث الثالث موضوع: (علماء بلنسية). وبحث المبحث الرابع والأخير موضوع: (البيوت والأسر العلمية في بلنسية)، وشمل المطالب الآتية: (بنو جحاف، وبنو واجب، وبنو حزب الله، وبنو ميمون).

التمهيد

مدينة بلنسية

(الجغرافيا، والفتح الإسلامي)

أولًا: جغرافية بلنسية:

تقع مدينة بلنسية في إقليم شرقي الأندلس[1]، تحدّها طليطلة من الغرب وطرطوشة من الشمال ومرسية من الجنوب، وهي شرقي قرطبة وشرقي تدمر[2]، وتبعد عن البحر المتوسط مسافة تقدّر بثلاثة أميال من جهة الشرق[3]، وتقع على نهر توريا، ولها عليه بساتين وعمارات متصلة[4].

---

(1) ينظر: محمد بن عبدالمنعم الحميري (ت 723هـ)، الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1975، ص 97؛ ياقوت بن عبد الله الحموي (ت 626هـ)، معجم البلدان، ج1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1979، ص 490؛ إسماعيل بن محمد أبو الفدا (ت 733هـ)، تقويم البلدان، مطبعة باريس، 1896، ص 179؛ أحمد بن علي القلقشندي (ت 821هـ)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج5، شرح وتعليق: نبيل خالد الخطيب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987، ص223؛ أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت 1041هـ)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج1، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968، ص 179؛ شكيب أرسلان، الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، المطبعة الرحمانية، مصر، 1936، ص217.

(2) محمد عبده حتاملة، موسوعة الديار الأندلسية، ج1، عمان، 1999، ص 301.

(3) كريم عجيل حسين، الحياة العلمية في مدينة بلنسية الإسلامية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1975، ص 61.

(4) محمد بن عبدالمنعم الحميري (ت 723هـ)، صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الاقطار، نشر وتعليق: ليفي بروفنسال، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1937، ص47.

اشتهرت بلنسية بالزراعة، ولهذا أطلق عليها (مدينة التراب)[1] و(مطيب الأندلس[2])[3]، وتعود تلك التسمية إلى كثرة الأشجار وطيب ريحها[4].

اشتهرت بلنسية بالكثير من المحاصيل الزراعية، ومن أشهرها: الكمثرى، والزعفران، والقراسيا[5]، والأزهار بأنواعها[6].

وتُعَدّ صناعة النسيج البلنسي من أشهر الصناعات التي اشتهرت بها، وكان يصدّر إلى أقطار المغرب العربي كافة[7].

ازدهرت التجارة في بلنسية؛ وذلك لوقوعها بالقرب من البحر، فكانت محطة للتجار القادمين عن طريق البحر، ومركز انطلاقهم برًا إلى بقية المدن الأندلسية وإلى أوروبا، ولذلك عمّت أسواقها بالخيرات والتجار، فكانت تعرف ببلد المتجر[8].

تُعَدّ بلنسية من أمصار الأندلس الشهيرة وحواضرها المتقدمة، وقد غلب على أهلها كرم الطباع، وطيب النفوس، وهي كثيرة الفواكه والثمار، وجامعة لخيرات البر والبحر[9].

يتبع بلنسية مدن وقرى وحصون كثيرة، ومنها: مدينة دانية، ومدينة شاطبة، ومدينة أنده، وجزيرة شقر، وقرية بته، وقرية بريانة، وحصن قليرة، وحصن شيركة، وحصن كشت الحبيب، وحصن شريون، وحصن شارقة. وفيها منارة ومسارح، ومن أشهرها الرصافة ومنية أبي عامر[10].

ثانيًا: الفتح الإسلامي لبلنسية:

كانت بلنسية في العصر الإسلامي قاعدة من أهم قواعد الأندلس، ومقرًا للعمال، ومركزًا للكورة التي كانت تسمى باسمها[11]. وقد فُتحت بلنسية على يد عبد العزيز بن موسى بن نصير[12] عام (94هـ/712م)، وقيل فتحت أثناء ولايته على الأندلس بين عامي (95-97هـ/713–715م)[13]. وتذكر رواية تاريخية أخرى، أن بلنسية ضُمّت إلى الحضيرة الإسلامية على يد طارق بن زياد[14] عام (94هـ/712م)[15].

---

(1) ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1، ص490؛ علي بن موسى بن سعيد الأندلسي (ت 685هـ)، المغرب في حلى المغرب، ج2، تحقيق: شوقي ضيف، ط3، دار المعارف، القاهرة، (د.ت)، ص 293؛ شكيب أرسلان، الحلل السندسية، المصدر السابق، ص 217.

(2) المطيب: حزمة يعملها أهل الأندلس من أنواع الرياحين والنرجس والآس. ينظر: علي بن موسى بن سعيد الأندلسي، المصدر السابق، ج2، ص297؛ أحمد بن محمد المقري التلمساني، المصدر السابق، ج3، ص221.

(3) عبد الواحد بن علي المراكشي (ت 647هـ)، المعجب في تلخيص أخبار أهل المغرب، تحقيق: محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، ج1، ط7، دار الكتاب العربي، الدار البيضاء، 1978، ص370.

(4) ينظر: المصدر نفسه، ج1، ص370؛ علي بن موسى بن سعيد الأندلسي، المصدر السابق، ج2، ص297؛

(5) ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1، ص490.

(6) علي بن موسى بن سعيد الأندلسي، المصدر السابق، ج2، ص 295-298.

(7) أحمد بن محمد المقري التلمساني، المصدر السابق، ج3، ص221.

(8) محمد نايف جروان العمايرة، التاريخ السياسي لمدينة بلنسية (399-495هـ/ 1008-1102م)، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، الجامعة الأردنية، عمّان، 1995، ص10.

(9) محمد بن عبد المنعم الحميري، صفة جزيرة الأندلس، المصدر السابق، ص47.

(10) ينظر: علي بن موسى بن سعيد الأندلسي، المصدر السابق، ج2، ص297-298؛ شكيب أرسلان، الحلل السندسية، المصدر السابق، ص217.

(11) ينظر: محمد بن عبد العزيز الإدريسي (ت 560هـ)، صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس (مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الافاق)، نشر دي غويه ودوزي، ليدن، 1898، ص 191؛ ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1، ص 490؛ محمد سامي عسل، أوربا دراسة في جغرافية القارة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1975، ص 383.

(12) وهو ثاني ولاة الدولة الأموية في الأندلس خلفًا لوالده موسى بن نصير أول ولاتها، كما أنه أحد القادة الذين شاركوا في الفتح الإسلامي للأندلس. اغتيل في إشبيلية عام (97هـ/716م). للمزيد ينظر: أحمد بن محمد بن عذاري المراكشي (ت نحو ٦٩٥هـ)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج2، تحقيق: ج. س. كولان وليفي بروفنسال، ط3، دار الثقافة، بيروت، 1983، ص 15-24.

(13) المصدر نفسه، ج2، ص 14– 15.

(14) طارق بن زياد بن عبد الله بن ولغو. ولد في بلاد المغرب عام (50هـ/670م). وهو أحد أشهر القادة العسكريين في التاريخين الأيبيري والإسلامي، إذ قاد الفتح الإسلامي لشبه الجزيرة الأيبيرية بين عامي (711- 718م)، بأمر من موسى بن نصير والي أفريقية في عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك. يُنسب إليه (جبل طارق)، وهو الموضع الذي وطأه جيشه في بداية فتحه للأندلس. توفي في دمشق عام (101هـ/720م). للمزيد ينظر: المصدر نفسه، ج1، ص 43.

(15) عدّة مؤلفين، دائرة المعارف الإسلامية، مجلد (2)، ترجمة: أحمد الشنتناوي وآخرون، الشارقة، 1998، ص 119 (مادة بلنسية).

أصبحت بلنسية في العهد الإسلامي مدينة كبيرة مسوّرة بسور متين مبني بالحجارة والطوابي[1]، وعليه أبراج دفاعية، وبها مسجد جامع، وعدد من الأسواق المزدهرة، فضلًا عن العديد من الأحياء[2].

تولى عبد الله البلنسي بن عبد الرحمن[3] الداخل أعمال بلنسية في عهد الإمارة الأموية (136-318هـ/755-929م)[4]، واتخذها موطنا له فنسب إليها[5].

وحكم عبد الرحمن الأوسط بن الحكم بن هشام الربضي[6] (206-238هـ/821–852م) إمارة الأندلس، فاسترجع بلنسية، وعين ابن ميمون واليًا عليها عام (234هـ/ 848م)[7].

وتولى عبد الرحمن الناصر[8] إمارة الأندلس بين عامي (300-316هـ/912–928م)، وعيّن عبد الله بن محمد بن عقيل واليًا على بلنسية. وقد تعاقب عليها عددًا من العمال، ومن أشهر قُضاتها في تلك الحقبة فهو جحاف بن يمن بن سعيد المعافري (ت 327هـ/938م)[9].

انتهى عهد الخلافة الأموية في الأندلس عام (422هـ/1031م)، حيث سقطت الخلافة. وبعد حرب أهلية استمرت أعوام بين الأمراء الأمويين، الذين تنازعوا الخلافة فيما بينهم، قُسّمت الخلافة إلى عدد من الممالك المستقلة[10].

وبسقوط الخلافة الأموية في قرطبة، بدأت مرحلة جديدة في تاريخ بلنسية تلاحقت فيها الحوادث، وشهدت المدينة ذروة ازدهارها السياس والحضاري على السواء، كقاعدة لمملكة لها أهميتها بين دويلات الطوائف[11].

المبحث الأول

الحياة العلمية والثقافية

في مدينة بلنسية

من أهم العوامل المؤثرة في الحياة العلمية والثقافية في مدينة بلنسية:

أولًا: الأساس العلمي للخلفاء الموحدين في الأندلس وتشجيعهم للعلماء:

---

(1) محمد بن عبدالمنعم الحميري، الروض المعطار، المصدر السابق، ص 97.

(2) محمد عبده حتاملة، المصدر السابق، ج1، ص 305.

(3) عبد الله بن عبد الرحمن الداخل المعروف بلقب عبد الله البلنسي، ولد في قرطبة. ثار على خلفاء أبيه، بداية من أخيه هشام الرضا، فابن أخيه الحكم الربضي، ثم حفيد أخيه عبد الرحمن الأوسط. توفي في بلنسية عام 208هـ للمزيد ينظر: أحمد بن محمد بن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج2، ص 61-74.

(4) علي بن محمد الشيباني المعروف بابن الأثير (ت630هـ)، الكامل في التاريخ، ج6، تحقيق: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ/2003م، ص 370.

(5) ينظر: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت 808هـ)، تاريخ ابن خلدون (المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر)، ج4، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، 1979، ص 156–158؛ عبد العزيز سالم، تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، القاهرة، 1985، ص89.

(6) عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن، المعروف بلقب عبد الرحمن الأوسط أو الثاني. ولد في طليطلة عام (176هـ/792م). وهو رابع أمراء الدولة الأموية في الأندلس. كان له دور بارز في إنشاء أول أسطول حربي كبير في الأندلس، فكان بذلك عصره بداية للنهضة الثقافية والحضارية التي شهدتها الأندلس. توفي في قرطبة عام (238هـ/852م). للمزيد ينظر: أحمد بن محمد بن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج2، ص 77-84.

(7) محمد عبده حتاملة، المصدر السابق، ج1، ص 305.

(8) أبو المُطرّف عبد الرحمن الناصر لدين الله. ولد في قرطبة عام (277هـ/891م). وهو ثامن حكام الدولة الأموية في الأندلس، وأول خلفاء قرطبة بعد أن أعلن الخلافة في قرطبة عام (316هـ/928م). تمكّن من إخماد التمردات الداخلية على سلطة الدولة، فاستعاد هيبة الدولة، وبسط سلطته على أنحاء دولته كافة. توفي في مدينة الزهراء عام (350هـ/961م). للمزيد ينظر: أحمد بن محمد بن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج2، ص 150-163.

(9) المصدر نفسه، ج2، ص61-62.

(10) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج4، المصدر السابق، ص 194.

(11) كمال السيد أبو مصطفى، تاريخ مدينة بلنسية الأندلسية في العصر الإسلامي (95-495هـ/714-1102م)، مطبعة الإشعاع، الإسكندرية، (د.ت)، ص 311.

يُعَدّ مؤسس الدولة الموحدية[1] محمد بن تومرت[2] (515-524هـ/1121-1129م) من كبار العلماء في عصره، وقد عُرف منذ صغره بحبه للعلم، ورحل إلى العديد من المدن، وأخذ من علمائها، واستمرت رحلته العلمية (15) عامًا[3]. وقد قال عنه القسنطيني (ت 809هـ/ 1406م): "شب قارئًا للعلم، ورحل إلى المشرق في شبابه طالبًا للعلم، ومر بالأندلس، ودخل قرطبة وبغداد، فلقي جلة العلماء وفحول النظار، وأفاد علمًا واسعًا"[4].

ويُعَدّ الخليفة الموحدي يعقوب بن يوسف[5] (٥٨٠-595هـ/1184-1199م) من كبار علماء عصره في علوم القرآن ومتون الأحاديث واللغة والنحو[6]، كما كان فقيهًا يرجع إليه علماء عصره، وشهد عهده ازدهارًا في الحياة العلمية[7].

وكان أبو الرّبيع سليمان بن موسى الكلاعي البلنسي (ت 634هـ/1236م) المتكلم عن الملوك في مجالسهم، والمبيّن لما يريدونه على المنبر في المحافل[8].

ثانيًا: الاهتمام العلمي للمجتمع في بلنسية:

كان للاهتمام بالعلم والرغبة في تحصيله، أثر كبير في تقدم الحياة العلمية والثقافية في بلنسية، وهو كفيل بتذليل كل المصاعب التي تعترض الحصول عليه، فحرص العلماء على طلب العلم، والارتحال من أجله، ولم يقتصر طلبهم ذلك على التنقل بين المراكز العلمية في الأندلس فحسب، بل طمحوا الرحيل إلى أماكن بعيدة، ومحاولين التتلمذ على أكبر عدد من العلماء. فكان الحافظ أبو الخطاب بن دحية البلنسي (ت 633هـ/1235م) من أعيان العلماء ومشاهير الفضلاء، الذين سعوا في طلب الحديث في أكثر بلاد الأندلس الإسلامية، ولقي بها العلماء والمشايخ، وذهب إلى مراكش واجتمع بفضلائها، وارتحل إلى إفريقيا ومنها إلى مصر وإلى الشام والعراق ودخل خراسان، كل ذلك في طلب الحديث والاجتماع بأئمته والأخذ عنهم[9].

ويُعَدّ أبو الحسن بن علي بن النعمة البلنسي (ت 567هـ/1171م) خاتمة العلماء بشرق الأندلس في عصره؛ بسبب براعته في العديد من العلوم، ومنها (القراءات، وعلوم الحديث، والفقه، والتفاسير، ومعاني الآثار)، وعلى الرغم من أنه كان ابنًا لرجل يمتهن صقل السيوف، وكان والده يستعين به في عمله، إلا أنه لم يترك حلقات العلم، وكان راغبًا في العلم والاجتهاد في تحصيله[10].

ثالثًا: وجود العلماء الأعلام:

---

(1) الخلافة الموحدية أو الدولة الموحدية: هي دولة أمازيغية مسلمة، قامت في شمال إفريقيا بين عامي (515- 668هـ/1121– 1269م)، وسيطرت على بلاد المغرب العربي وأجزاء من شبه الجزيرة الإيبيرية (الأندلس)، ويُعَدّ محمد بن تومرت مؤسس الحركة الموحدية. للمزيد ينظر:
Maribel Fierro, The Almohads (524-668 AH/1130-1269 AD) and the Hafsids (627-932 AH/1229-1526 AD), Vol. (2), Cambridge University Press, 2010.

(2) محمد بن تومرت بن عبد الله من قبيلة مصمودة الأمازيغية. ولد عام (471هـ/1077م). وهو سياسي وداعية إسلامي، ويُعَدّ مؤسس الدولة الموحدية، واشتهر بدعوته الدينية المستندة إلى مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وادعائه بأنه المهدي المنتظر. توفي عام (524هـ/ 1130م). للمزيد ينظر: علي بن أبي زرع الفاسي (ت 741هـ)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، طبعة دار المنصور، الرباط، 1972، ص 181.

(3) ينظر: ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج6، المصدر السابق، ص446؛ يوسف بن علي بن إبراهيم العريني، الحياة العلمية في الأندلس في عصر الموحدين، الرياض، 1995، ص36-37.

(4) أحمد بن حسن بن علي الخطيب القسنطيني (ت 809هـ)، الوفيات، تحقيق: عادل نويهض، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، 1971، ص273-274.

(5) أبو يوسف يعقوب بن يوسف المنصور بالله. ولد عام (538هـ/1160م). وهو ثالث خلفاء الموحدين ببلاد المغرب، إذ حكم بين عامي (٥٨٠-595هـ/1184-1199م). تميز عهده بالمشاريع الكبيرة لا سيّما في العمارة والجيش. توفي في مراكش عام (595هـ/1199م). للمزيد ينظر: خير الدين بن محمود بن محمد الزركلي (ت ١٣٩٦هـ)، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج8، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002، ص 203.

(6) يوسف بن علي بن إبراهيم العريني، المصدر السابق، ص41.

(7) أحمد بن محمد المقري التلمساني، المصدر السابق، ج3، ص 102.

(8) عبد الحي بن العماد الحنبلي (ت 1089هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج5، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت)، ص 164.

(9) أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت 681هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج3، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1986، ص 449.

(10) محمد بن عبد الملك المراكشي (ت 703هـ)، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، السفر الخامس، القسم الأول، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، (د.ت)، ص 229-230.

ساعدت شهرة العالم على ازدهار الحياة العلمية، مما أدت بالتالي إلى انجذاب الطلبة إليه والأخذ منه ونشر هذا العلم إلى طلبة آخرين. فكان ابن نوح الغافقي البلنسي (ت 614هـ/1217م) من الراسخين في العلم، إذ برع في علم القراءات والعربية والفقه، فرحل الطلبة إليه[1].

وعلى الرغم من تدهور الحياة العلمية في المدن الأندلسية، التي سقطت أثناء الزحف الإسباني بعد وقعة العقاب عام (609هـ/1212م) التي هُزم فيها الموحدون، إلا أن ذلك ساعد بعد ذلك على ازدهار الحياة العلمية في المدن الأندلسية التي هاجر إليها العلماء، إذ مارسوا التعليم والتأليف في الأماكن التي هاجروا إليها لاحقًا[2].

رابعًا: الصلة الوثيقة بين العلماء وطلبتهم:

تُعَدّ ملازمة الطالب لمعلمه والسماع له من العوامل الرئيسة في زيادة المعرفة، فكان ابن الأبّار محمد بن عبد الله القضاعي البلنسي (ت 658هـ/1259م) على اتصال وثيق بشيخه أبو الرّبيع سليمان بن موسى الكلاعي (ت 634هـ/1237م) كبير محدّثي الأندلس لأكثر من عشرين عامًا[3].

خامسًا: إيثار العلماء:

فضّلَ العلماء مصلحة الطالب على مصالحهم الشخصية، فكان طلاب علي بن محمد بن هذيل البلنسي (ت 564هـ/1168م) صدر المقرئين وإمام المجودين يقصدونه نهارًا وليلًا حتى في غير الأوقات المعتادة للدرس، بدون أن يسأم أو يضجر. وعندما كان يخرج لضيعة له خارج بلنسية للراحة والاستجمام، كان طلابه يصحبونه ليقرؤا عليه ويسمعوا منه، فيجدون منه الحرص على تعليمهم بكل رحابة صدر[4].

واقتطع عدد من علماء بلنسية جزء من وقتهم لتدريس ما لديهم من علم، ولم يمنعهم من ذلك انشغالهم بأعمالهم الرسمية. فكان داود بن سليمان بن حوط الله (ت 621هـ/1262م) وأخوه عبد الله (ت 662هـ/1263م) من قُضاة بلنسية الذين تولوا القضاء في أماكن متعددة وأوقات مختلفة، وعلى الرغم من ذلك كانا يمكّنان طلبة العلم في أي بلد يحلّان فيه من الأخذ عنهما والسماع منهما، وضمّت مجالسهما أعدادًا من طلبة العلم الذين يفدون من جميع أنحاء الأندلس[5].

المبحث الثاني

مراكز التعليم في بلنسية

أولًا: المسجد:

لازمت ظاهرة التعليم في المسجد وجود المجتمعات الإسلامية لمدّة طويلة، وظلت المساجد تقوم برسالتها حتى عندما افتتحت المدارس النظامية. وفي الأندلس حيث لم تقم مدارس نظامية، كانت المساجد تقوم بدور كبير في احتضان الحركة التعليمية إلى

---

(1) محمد بن عبد الله بن عثمان الذهبي (ت 748هـ)، معرفة القراء الكبار على الطبقات والإعصار، ج2، تحقيق: بشار عواد معروف وآخرون، مؤسسة الرسالة، دمشق، 1984، ص 594-595.

(2) يوسف بن علي بن إبراهيم العريني، المصدر السابق، ص 64-65.

(3) ينظر: محمد بن الأبّار القضاعي البلنسي (ت 658هـ)، ديوان ابن الأبّار، قراءة وتعليق: الدكتور عبد السلام الهراس، الدار التونسية للنشر، تونس، 1985، ص 9؛ عدّة مؤلفين، المصدر السابق، مجلد (1)، ص68 (مادة ابن الأبّار).

(4) محمد بن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، السفر الخامس، القسم الأول، المصدر السابق، ص370.

(5) علي بن محمد بن علي الرعيني الاشبيلي (ت 666هـ)، برنامج شيوخ الرعيني، تحقيق: إبراهيم شبوح، دمشق، 1962، ص 56.

جانب المهمة الدينية والمهمة السياسية والقضاء[1]. وظل الأندلسيون على التزامهم بوظيفة المسجد الأولى، كونه موضعًا للعبادة والعلم أيضًا، فكانوا يقرؤون جميع العلوم في المساجد بأجرة[2]، ولتحفيظ الأطفال القرآن الكريم وللدراسات العليا[3].

كان في بلنسية العديد من المساجد، ومنها:

1. **المسجد الجامع (جامع بلنسية):** كان يؤلف المركز الديني للمدينة الإسلامية، فكان يتحكم في حياتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، كما كان مدرسة علمية تقام فيه حلقات الدروس[4].
2. **مسجد بنو حزب الله:** أسسه بنو حزب الله داخل المدينة في عصر الطوائف، وتُعَدّ هذه الأسرة من أشهر أسر بلنسية المعروفة بالعلم والنباهة، وقد برز منهم عدد كبير من الفقهاء[5].
3. **مسجد ابن سرنباق (مسجد الغرفة):** وينسب إلى محمد بن الحسن بن محمد العبدري البلنسي ويعرف بابن سرنباق، وهو من ذوي الثراء في بلنسية، ويُذكر أنه كان قائمًا منذ عصر الطوائف[6].
4. **مسجد رحبة القاضي:** يقع في رحبة القاضي بالقرب من مركز مدينة بلنسية، وكان حمدون بن محمد البلنسي المعروف بابن المعلم بتولى الصلاة والخطبة فيه، وقد تحول بعد ذلك إلى كنيسة عُرفت باسم سانت كاتالينا[7].
5. **مسجد الشراجب**[8]: من الذين أموا بالناس في هذا المسجد عبيد الله بن عبد الله بن خلف الأزدي (ت بعد 600هـ)، وهو من أهل إشبيلية وقد سكن بلنسية[9].
6. **مسجد حميد:** لم تشر المصادر إلى موقعه في بلنسية، وكان يحيى بن عبد الرحمن بن خلف المُكتِب البلنسي (ت 570هـ/1174م) معلمًا بالقرآن وإماما في صلاة الفريضة في هذا المسجد[10].
7. **مسجد ابن عيشون:** يقع على مقربة من باب القنطرة من داخل بلنسية، وقد بناه عبيد الله بن عبد الله بن عيشون المعافري البلنسي (ت 573هـ/1178م)[11].
8. **مسجد السيدة:** يقع داخل المدينة، وينسب إلى والدة فرج بن حديدة المقري الظاهري التي كانت تُعرف بالسيدة، وكانت قد بنيت هذا المسجد المنسوب إليها[12].

وهناك مساجد أُخرى من أعمال بلنسية التابعة لها، وكانت مراكز للتعلم أيضًا، وتقام فيها الدروس، ومنها: مسجد مربيطر[13]، ومسجد دانية[14]، ومسجد لرية[15].

ثانيًا: منازل العلماء:

---

(1) إبراهيم علي العكش، التربية والتعليم في الأندلس، دار عمار والفيحاء، عمان، 1986، ص 168.

(2) أحمد بن محمد المقري التلمساني، المصدر السابق، ج3، ص 220.

(3) خوليان ريبيرا، التربية الإسلامية في الأندلس أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية، ترجمة: الدكتور الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، القاهرة، 1919، ص 135.

(4) كمال السيد أبو مصطفى، المصدر السابق، ص 205.

(5) المصدر نفسه، ص 207.

(6) المصدر نفسه، ص 207.

(7) المصدر نفسه، ص 207.

(8) المصدر نفسه، ص 208.

(9) محمد بن الأبّار القضاعي البلنسي (ت 658هـ)، التكملة لكتاب الصلة، ج2، تحقيق: عبد السلام الهراس، دار الفكر، بيروت، 1995، ص314.

(10) المصدر نفسه، ج4، ص 178.

(11) المصدر نفسه، ج2، ص 312-313.

(12) المصدر نفسه، ج2، ص 312-313؛ شكيب أرسلان، الحلل السندسية، المصدر السابق، ص 211؛ كمال السيد أبو مصطفى، المصدر السابق، ص 208.

(13) محمد بن الأبّار القضاعي البلنسي، التكملة لكتاب الصلة، ج2، المصدر السابق، ص73.

(14) المصدر نفسه، ج2، ص 138.

(15) المصدر نفسه، ج2، ص 24.

تُعَدّ منازل العلماء واحدة من أهم مراكز التعليم، التي ساهمت بنصيب كبير في الحركة التعليمية. فكان ابن الأبّار يتلقى العلم في دار أستاذه الحسين بن يوسف بن زلال البلنسي الضرير (ت 613هـ/1216م)[1].

ثالثًا: الحدائق والبساتين:

تميزت مدينة بلنسية بخصوبة أرضها وكثرة بساتينها وطبيعتها الخلّابة، وكان لتلك الطبيعة أثرها على أهلها في قضاء أوقات فراغهم فيها، وكان الطلاب إذا عجزوا عن الوصول إلى المعلم في بيته، توجهوا إليه أما في منطقة عمله أو ضيعته أو بستانه[2]. فكان العالم علي بن محمد بن هذيل البلنسي متى توجه إلى ضيعتهِ في غربي بلنسية ليقضي أوقات فراغه، صحبه طلبته للقراءة عليه والسماعِ منه، كما ذكرنا ذلك آنفًا[3].

رابعًا: الدكاكين:

تُعَدّ الدكاكين واحدة من مراكز التعلم المهمة في بلنسية، فقد تسابق طلاب العلم فيها إلى أصحابها ليأخذوا العلم عنهم، أو ليلتقوا بعلماء آخرين جاءوا إليها[4]. ومن العلماء الذين كانوا يدرسون في الدكاكين: محمد بن أحمد بن محمد البلنسي (ت 624هـ/1226م)، قال عنه ابن الأبّار: "كان عدلًا مرضيًا، له دكان بالعطارين، يقعد فيها أحيانًا، سمعت منه أخبارًا، وناولني، وأجاز لي"[5]. وعلي بن هلال بن علي البلنسي (ت 670هـ/1271م) الطبيب البارع، وكان لا يُتلمذ له أحد عز أو هان إلا واقفًا أسفل دكانهِ، الذي تصدى فيه للفتاوى الطبية[6].

خامسًا: حوانيت الوراقين:

واحدة من مراكز التعليم المهمة في بلنسية هي حوانيت الوراقين، وهي أماكن خاصة ببيع الكتب. وعلى الرغم من أنها فُتحت لأغراض تجارية، ألا إنها تحولت إلى منتدى للثقافة والحوار العلمي، فكان الوراقون ينسخون الكتب الهامة، ومن ثم يعرضونها للراغبين فيها، وبهذا أصبحت حوانيتهم ملتقى للطلبة والعلماء على حدٍ سواء، يتذاكرون فيها ويتناقشون. وقد وجدت صناعة الوراقين بعد اتساع نطاق الدولة، وزيادة التأليفات العلمية والدواوين، وحرص الناس على تناقلهما، فانتسخت، وجلّدت للانتساخ والتصحيح والتجليد وسائر الأمور الكتبية[7].

ومن العلماء الذين احترفوا مهنة الوراقين، والتقوا في حوانيتهم العلماء والطلبة: محمد بن سليمان الكلابي الوراق (ت 548هـ/1153م)، وكان يبيع الكتب في دكان لهُ[8]. وإبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مفرج البلنسي الوراق: وكان محترفًا بالوراقة، ذا إتقان وضبط[9]. ومحمد بن محمد بن سليمان الأنصاري (ت610هـ/1213م)، وقد كتب بخطه علمًا جمًا، وتعيّش من الوراقة[10]. وعبد الله بن إبراهيم بن الحسن الوراق البلنسي (ت 611هـ/1214م)، وكان له دكان بالقيسارية يقعد فيها للتجارة وبيع الكتب[11].

المبحث الثالث

علماء بلنسية

---

(1) المصدر نفسه، ج1، ص 223.

(2) إبراهيم علي العكش، المصدر السابق، ص 172.

(3) ينظر: محمد بن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، السفر الخامس، القسم الأول، المصدر السابق، ص 370؛ محمد بن الأبّار القضاعي البلنسي، التكملة لكتاب الصلة، ج3، المصدر السابق، ص 201-202.

(4) يوسف بن علي بن إبراهيم العريني، المصدر السابق، ص 146.

(5) محمد بن الأبّار القضاعي البلنسي، التكملة لكتاب الصلة، ج2، المصدر السابق، ص 127.

(6) محمد بن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، السفر الخامس، القسم الأول، المصدر السابق، ص 419-420.

(7) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت 808هـ)، مقدمة ابن خلدون، دار العلم للجميع، بيروت، (د. ت)، ص 421.

(8) محمد بن الأبّار القضاعي البلنسي، التكملة لكتاب الصلة، ج2، المصدر السابق، ص 15.

(9) المصدر نفسه، ج1، ص 130.

(10) المصدر نفسه، ج2، ص 143.

(11) المصدر نفسه، ج2، ص 287.

شغف أهل الأندلس بالعلم، وأخذوا يطلبونه رغبةً منهم في تحصيله، مما جعل بعضهم مضطرًا إلى ترك العمل الذي يستفيد منه، لينفق مما عنده للتعلم[1].

ومن أهم علماء بلنسية:

1. سعد الخير بن محمد بن سهل بن سعد الأنصاري البلنسي (ت 541هـ/1146م): كان حافظًا زاهدًا ثقةً فاضلًا[2].
2. محمد بن إدريس بن عبيد الله البلنسي (ت 546هـ/1151م): كان من أهل الآداب واللغة، متحققًا بذلك، متقنًا له، وكانت له مشاركة في علم الحديث، فقد ميز رجاله والكلام على معانيه[3].
3. محمد بن سليمان الكلابي الوراق (ت 548هـ/1153م): سكن بلنسية، وكان يبيع الكتب في حانوت لهُ[4].
4. إبراهيم بن علي بن ترحيب المُكتب (ت 550هـ/1155م): وكان يُستخلف أيضًا على الصلاة والخطبة بالجامع؛ لصلاحه وميل الناس إليه[5].
5. عبد الوهاب بن محمد بن أحمد التجيبي البلنسي (ت 552هـ/1157م): كان مشاركًا في علم اللغة[6].
6. محمد بن خلف بن محمد بن يونس البلنسي (ت 557هـ/1161م): من العلماء الذين درسوا في مسجد لرية، وقد ولي الصلاة والخطبة به[7].
7. محمد بن موفق المُكتب (ت 563هـ/1167م): كان يُعلم القرآن[8].
8. علي بن محمد بن هذيل البلنسي (ت 564هـ/1168م): كان طلبته دائمًا ما يصحبونه أينما ذهب، والسماع منه أزيد من عشرين عامًا[9].
9. محمد بن أحمد البلنسي (ت 567هـ/1171م): ولي قضاء مربيطر (من أعمال بلنسية)، مضافًا إلى الصلاة والخطبة بجامعه[10].
10. علي بن النعمة بن عبد الله بن خلف الأنصاري البلنسي (ت 567هـ/1171م): كان حافظًا للفقه والتفاسير ومعاني الآثار والسنن، وقد تولى رئاسة الاقراء والفتوى، ووصف بأنه خاتمة علماء شرق الأندلس[11].
11. يحيى بن عبد الرحمن بن خلف المُكتب (ت 570هـ/1174م): كان معلمًا بالقرآن وإماما في صلاة الفريضة بمسجد حميد في بلنسية[12].
12. عبيد الله بن عبد الله بن عبد الرحمن بن مسعود بن عيشون المعافري البلنسي (ت 573هـ/1178م): كان اخباريًا ومحققًا، وأقتنى من الدواوين والدفاتر كثيرًا[13].
13. محمد بن محمد بن عبد الرحمن البلنسي (ت 575هـ/1179م): أقرأ القرآن بجامع بلنسية[14].

---

(1) أحمد بن محمد المقري التلمساني، المصدر السابق، ج3، ص 220-221.

(2) محمد بن الأبّار القضاعي البلنسي، التكملة لكتاب الصلة، ج4، المصدر السابق، ص 132.

(3) المصدر نفسه، ج2، ص 9.

(4) المصدر نفسه، ج2، المصدر السابق، ص 15.

(5) المصدر نفسه، ج1، ص 128.

(6) المصدر نفسه، ج2، ص 107-108.

(7) المصدر نفسه، ج2، ص 24.

(8) المصدر نفسه، ج2، ص 33 .

(9) المصدر نفسه، ج3، ص 202.

(10) المصدر نفسه، ج2، ص 40.

(11) أحمد بن يحيى بن عميرة الضبي، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكاتب العربي، 1967، ص 424.

(12) محمد بن الأبّار القضاعي البلنسي، التكملة لكتاب الصلة، ج4، المصدر السابق، ص 178-179.

(13) المصدر نفسه، ج2، ص 312-313.

(14) المصدر نفسه، ج2، ص 50.

14. أحمد بن أبي المطرف البلنسي (ت 583هـ/1187م): غلب عليه علم الفرائض والحساب، وقعد للتعليم في جامع بلنسية[1].
15. محمد بن عمر بن واجب البلنسي (ت 583هـ/1187م): قدم للشورى والخطبة بالمسجد الجامع[2].
16. أيوب بن محمد بن يحيى بن غالب المُكتِب (ت 584هـ/1188م): تصدر للأقراء والتعليم، وهو من أهل الصلاح والتحقيق والتجويد والقيام على كتاب الله[3].
17. محمد بن جعفر بن أحمد بن خلف البلنسي (ت 586هـ/1190م): رحل إلى غرناطة وأشبيليه فأخذ القراءات بهما، ورجع إلى بلده بعلمٍ جم ورواية عالية، فأقرأ وحدّث وعلم بالعربية[4].
18. محمد بن محمد بن عبد العزيز بن واجب البلنسي (ت 586هـ/1190م): كان يقرئ القرآن بمسجد ابن حزب الله، ويؤم به الناس في صلاة الفريضة[5].
19. محمد بن إبراهيم بن خلف الأنصاري البلنسي (ت 590هـ/1193م): سمع من جلةٍ علماء، وحدّث عنهُ أئمة[6].
20. إبراهيم بن عبد الله البلنسي (ت 590هـ/ 1193م): قال عنه ابن الأبّار: "قيّد من منثور الحديث ما يخرج عن الإحصاء"[7].
21. أبو القاسم الشاطبي البلنسي الضرير (ت 590هـ/1193م): من علماء بلنسية الذين درسوا خارجها، فقد قَدِمَ الإسكندرية عام (590هـ/1193م)، وولاه القاضي الفاضل مشيخة الأقراء بمدرسته (المدرسة الفاضلية)، وتوفي في العام نفسه[8].
22. محمد بن يوسف بن مفرج البلنسي (ت 593هـ/1196م): برع في علم القراءات، وقدم للصلاة والخطبة بجامع مربيطر[9].
23. محمد بن يحيى بن محمد الأنصاري البلنسي (ت 597هـ/1200م): كان من بيت نباهة وعلم وزهادة[10].
24. عبد الله بن أحمد بن محمد بن سالم البلنسي (ت 601هـ/1204م): كان من المقرئين المجتهدين كثيري التلاوة، وكان من أهل الصلاح والاجتهاد في العبادة[11].
25. محمد بن يحيى بن خزعل بن سيف الطلحي البلنسي (ت 604هـ/1207م): كان من العلماء الذين اشتغلوا بدراسة علم اللغة[12].
26. محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن سلمان البلنسي (ت 605هـ/1208م): كان عالمًا بالفقه والقراءات[13].
27. محمد بن أيوب بن محمد بن الغافقي البلنسي (ت 608هـ/1211م): كان قاضيًا، ومن الراسخين في العلم، والبارعين في علم القراءات والعربية وعلوم اللسانِ، وقد خطب بجامع بلنسية وقتًا[14].

---

(1) المصدر نفسه، ج1، ص 77.
(2) المصدر نفسه، ج2، ص 59.
(3) المصدر نفسه، ج1، ص167.
(4) المصدر نفسه، ج2، ص 62.
(5) المصدر نفسه، ج2، ص65.
(6) المصدر نفسه، ج2، ص 69.
(7) المصدر نفسه، ج1، ص 137.
(8) ينظر: محمد بن عبد الله بن عثمان الذهبي (ت 748هـ)، العبر في خبر من غبر، ج3، تحقيق: السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت)، ص102؛ إسماعيل بن عمر بن كثير (ت 774هـ)، البداية والنهاية، مجلد (7)، ج13، تحقيق: أحمد أبو ملحم وآخرون، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987، ص11؛ محمد بن أحمد بن كنعان، وفيات الأعلام والمشاهير. خلاصة تاريخ ابن كثير، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، (د.ت)، ص380-381.
(9) محمد بن الأبّار القضاعي البلنسي، التكملة لكتاب الصلة، ج2، المصدر السابق، ص 73.
(10) المصدر نفسه، ج2، ص 78.
(11) المصدر نفسه، ج2، ص 284.
(12) المصدر نفسه، ج2، ص 90.
(13) المصدر نفسه، ج2، ص 91.
(14) ينظر: المصدر نفسه، ج2، ص 97-98؛ محمد بن عبد الله بن عثمان الذهبي، معرفة القراء الكبار، ج2، المصدر السابق، ص 594–595؛ محمد بن محمد بن الجزري (ت 833هـ)، غاية النهاية في طبقات القراء، ج2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1932، ص 103.

28. محمد بن محمد بن سليمان البلنسي الأنصاري (ت 610هـ/ 1213م): كان أصله من سرقسطة، وقد كتب بخطه علمًا جمًا، وربما تعيّش من الوراقة[1].
29. عبد الله بن إبراهيم بن الحسن الوراق البلنسي (ت 611هـ/1214م): كان من الوراقين، وله دكان بالقيسارية، يقعد فيها للتجارة ويبيع الكتب[2].
30. محمد بن عبد الجبار بن محمد بن خلف البلنسي (ت 611هـ/1214م): أقرأ القرآن بمسجد ابن عيشون، وأم في صلاة الفريضة، وكانت له حلقة بالجامع[3].
31. الحسين بن يوسف بن زلال البلنسي الضرير المُقري (ت 613هـ/1216م)[4]: تميز بالفطنة والحدس على عمى بصره، وهو أستاذ ابن الأبّار، وكان يتلقى العلم في داره[5].
32. أحمد بن محمد بن عمر بن محمد بن واجب البلنسي (ت 614هـ/1217م): وصف بأنه كان حامل راية الرواية بشرق الأندلس، وأنه آخر المحدثين المسندين، وله عناية بصناعة الحديث، وكانت حلقات درسه في جامع بلنسية تمتد إلى أوقات متأخرة من الليل[6].
33. محمد بن علي بن محمد بن علي بن هذيل البلنسي (ت 614هـ/1217م): كان من أهل الصلاح والورع والعبادة والزهد، شديد الانقباض عن الناس[7].
34. محمد بن أحمد بن جبير الكناني البلنسي (ت 614هـ/1217م): صاحب الرحلة الشهيرة (رحلة ابن جبير)، وهو من العلماء الذين اشتهروا بطلب العلم، إذ رحل قاصدًا الحجاز عام (578هـ/1182م)، ومكة، ودمشق، ثم رحل إلى المشرق عام (585هـ/1189م)، وعاد إلى المغرب، ثم رحل بعد عام (601هـ/1204م)، وحدّث في مكة، والقدس، وتوفي بالإسكندرية[8].
35. عبد الله بن أبي بكر بن عبد الله البلنسي (ت 619هـ/1222م): كان من العلماء الذين درسوا في مسجد السيدة[9].
36. علي بن محمد بن أحمد بن حريق البلنسي (ت 622هـ/1225م): كان شاعرًا، ومستبحرًا في الآداب واللغات، وكان حافظًا لأيام العرب ولغاتها، وبليغ اللسان والقلم[10].
37. علي بن عمر بن أبي الفتح الجيبي البلنسي (ت 623هـ/1226م): كان من أهل المعرفة بالفقه والحفظ والمسائلة، وشارك أيضًا في أصول الفقه، وقد تفقه عليه ابن الأبّار وحضر المناظرة بمسجد ابن سرنباق في بلنسية[11].
38. حسن بن أحمد بن محمد الأنصاري البلنسي (ت 624هـ/1226م): كان يؤم الناس في صلاة الفريضة نحو أربعين عامًا بمسجد ابن حزب الله[12].

---

(1) محمد بن الأبّار القضاعي البلنسي، التكملة لكتاب الصلة، ج2، المصدر السابق، ص 143.

(2) المصدر نفسه، ج2، ص 287.

(3) المصدر نفسه ،ج2 ، ص 16.

(4) المصدر نفسه، ج2، ص 600.

(5) المصدر نفسه، ج1، ص223.

(6) ينظر: المصدر نفسه، ج1، ص 94-95، و ج2، ص 651؛ محمد بن عبد الله بن عثمان الذهبي (ت 748هـ)، سير أعلام النبلاء، ج22، تحقيق: بشار عواد معروف ومحيي هلال السرحان، مؤسسة الرسالة، 1985، ص 44-45.

(7) ينظر: محمد بن الأبّار القضاعي البلنسي، التكملة لكتاب الصلة، ج2، المصدر السابق، ص 112؛ محمد بن محمد بن الجزري، المصدر السابق، ج2، ص 208.

(8) محمد بن الأبّار القضاعي البلنسي، التكملة لكتاب الصلة، ج2، المصدر السابق، ص 109-110.

(9) المصدر نفسه، ج2، ص 291.

(10) ينظر: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت 817هـ)، البلغة في تاريخ أئمة اللغة، ج1، تحقيق: محمد المصري، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1972، ص 165؛ محمد بن عبد الله بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج22، المصدر السابق، ص295-296.

(11) محمد بن الأبّار القضاعي البلنسي، التكملة لكتاب الصلة، ج3، المصدر السابق، ص 234.

(12) المصدر نفسه، ج1، ص 215.

39. محمد بن أحمد بن محمد البلنسي (ت 624هـ/1226م): كان عالمًا عدلًا مرضيًا، له دكان بالعطارين، يقعد فيها أحيانًا[1].
40. محمد بن أحمد بن عبد الله البلنسي المُكتِب (ت 633هـ/1235م): كان بارعًا في علم القراءات، وصلى بالناس في مسجد رحبة القاضي دهرًا طويلًا[2].
41. عمر بن الحسن بن علي البلنسي (ت 633هـ/1235م): كان من مشاهير الفضلاء وأعيان العلماء، العارفين باللغة والنحو[3].
42. علي بن عبد الله بن محمد بن خيرة البلنسي (ت 634هـ/1236م): كان مقرئًا مجودًا للقرآن، وولي الصلاة بجامع بلنسية والخطبة به نحو أربعين عامًا، وخطب به منفردًا إلى أن أسن فناوبه جماعة[4].
43. سليمان بن موسى الكلاعي البلنسي (ت 634هـ/1236م): كان بصيرًا بالحديث، عارفاً بالجرح والتعديل، ذاكرًا للمواليد والوفيات[5].
44. محمد بن إبراهيم بن عيسى البلنسي (ت 636هـ/1238م): اعتنى بدراسة الفقه، وولي قضاء دانية، والخطبة بجامعها[6].
45. أم المعز بنت أحمد بن علي بن هذيل البلنسي (ت 636هـ/1238م): وهي من النساء اللاتي اشتهرن بالإقراء في بلنسية[7].
46. عبد الله بن يوسف بن أحمد البلنسي (ت 638هـ/1240م): برع في علم القراءات، وولي صلاة الفريضة والخطبة بجامع بلنسية، وانتقل إلى مدينة دانية (من أعمال بلنسية) وولي الخطبة بجامعها[8].
47. محمد بن عبد الله بن خلف الأنصاري البلنسي (ت 640هـ/1242م): أقرأ القراءات، وله كتاب (نسيم الصبا) في الوعظ على طريقة ابن الجوزي، وكتاب آخر في الخطب[9].
48. علي بن هلال بن علي البلنسي (ت 670هـ/1271م): كان طبيبًا بارعًا، شرسًا عند التعليم[10].

المبحث الرابع

البيوت والأسْر العلمية في بلنسية

فضلًا عن العلماء والوعاظ والمعلمين والمؤدبين الذين خرجوا من رحم بلنسية، فقد حفلت المدينة بظهور أسْر تخصّصت في مختلف العلوم وتوارثتها، وكان لها أثر كبير في الحياة العلمية والأدبية والسياسية فيها، ومن أبرز تلك البيوت والأسْر:

أولًا: بنو جحاف:

وهم من أهل علم ورئاسة، وينتسبون إلى قبيلة معافر اليمينة، وقد تداولوا منصب القضاء مدّة طويلة، ومن أشهرهم:

1. الفقيه جحاف بن يمن بن سعيد المعافري (ت 327هـ/938م): لمع في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر، وتولى قضاء بلنسية[11].

---

(1) المصدر نفسه، ج2، ص 127.

(2) المصدر نفسه، ج2، ص 135.

(3) أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، المصدر السابق، ج3، ص 448-449.

(4) محمد بن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، السفر الخامس، القسم الأول، المصدر السابق، ص 160-161.

(5) ينظر: محمد بن عبد الله بن عثمان الذهبي، العبر، ج3، المصدر السابق، ص219؛ عبد الحي بن العماد الحنبلي، المصدر السابق،، ج5، ص 164؛ عبد الله بن أسعد بن علي اليافعي (ت 768هـ)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ج4، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997، ص 68.

(6) م حمد بن الأبّار القضاعي البلنسي، التكملة لكتاب الصلة، ج2، المصدر السابق، ص 138.

(7) المصدر نفسه، ج4، ص 264.

(8) المصدر نفسه، ج2، ص 297.

(9) المصدر نفسه، ج2، ص 645.

(10) محمد بن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، السفر الخامس، القسم الأول، المصدر السابق، ص 419-420.

(11) ينظر: محمد بن عبدالمنعم الحميري، صفة جزيرة الأندلس، المصدر السابق، ص 190؛ عياض بن موسى السبتي (ت 544هـ/1149م)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ج2، تحقيق: أحمد بكير محمود، بيروت، (د.ت)، ص 463.

2. عبد الرحمن بن جحاف بن يمن بن سعيد المعافري (ت 351هـ/962م): قلّده الخليفة الحكم المستنصر بالله[1] خطة القضاء ببلنسية[2].
3. عبد الله بن عبد الرحمن بن جحاف الملقّب بحيدرة (ت 417هـ/1026م): كان من العلماء الجلّة الثقة، وكان فاضلًا، قال عنه ابن حزم: "أفضل قاض رأيته دينًا وعلمًا وتصاونًا مع حظه الوافر من العلم"[3].
4. جعفر بن عبد الله بن جحاف (488هـ/1095م): وكان من أبرز قضاة بني الجحاف جميعًا، وهو من أبرز علماء الفقه والحديث في الاندلس، وكان صاحبًا للأحكام[4] في بلنسية، ثم أسندت إليه خطّة القضاء، وقد تولى مملكة بلنسية عقب مقتل القادر عام (485هـ/1092م)، وظل يتولى شؤون المملكة إلى أن قُتل عام (488هـ/1095م)[5].

ثانيًا: بنو واجب:

وهم من أعيان بلنسية، وينتسبون إلى قبلية قيس، وقد برز منهم:

1. أبو حفص عمر بن واجب (ت 470هـ/1077م): كان فقيهًا عالمًا فاضلًا، تخصّص في القراءات والحديث، وقد تولّى منصب صاحب أحكام المدينة[6].
2. أبو الحسن بن واجب (ت 591هـ/1125م): كان عالمًا، وهو صاحب الأحكام أثناء مدّة حكم القاضي ابن جحاف، وكان موضع تقدير أهل بلده، وقد تمتع لذلك بمكانة مرموقة[7].

ثالثًا: بنو حزب الله:

يُعَدّ بنو حزب الله من أشهر الأسْر والبيوت العلمية في بلنسية، وهم أهل علم ونباهة، وإليهم ينسب المسجد الذي أقاموه (مسجد ابن حزب الله) في داخل بلنسية[8]، وقد نبغ منهم:

1. محمد بن عبد الله بن حزب الله (ت 403هـ/1012م): كان فقيهًا، وقد تفقّه في الفقه المالكي، وتولّى الإفتاء ببلنسية[9].
2. أبو الحسن أحمد بن حزب الله (495هـ/1066م): تولّى الإفتاء ببلده، وكان عالمًا بالشروط[10].
3. عبد الله بن محمد بن حزب الله: كان محدّثًا فقيهًا[11].

رابعًا: بنو ميمون:

ينتسبون إلى بني مخزوم المضريين، وكانت منازلهم بجزيرة شقر، ونبغ منهم:

1. أبو بكر بن يحيى بن ميمون (ت 461هـ/1068م): كان قد تولّى قضاء شقر[12].

---

(1) الحكم بن عبد الرحمن بن محمد المستنصر بالله. ولد في قرطبة عام (302هـ/915م). وهو تاسع أمراء الدولة الأموية في الأندلس، وثاني خلفاء الأندلس بعد أبيه عبد الرحمن الناصر لدين الله. كان عصره امتدادًا لحقبة أبيه وهي زهوة الدولة الأموية في الأندلس، وقد اشتهر بعشقه للعلم واقتناء الكتب. توفي في قرطبة عام (366هـ/976م). للمزيد ينظر: أحمد بن محمد بن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج2، ص 233-239.

(2) المصدر نفسه، ج2، ص 235.

(3) ينظر: محمد بن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، السفر الخامس، القسم الأول، المصدر السابق، ص 262؛ شكيب أرسلان، الحلل السندسية، المصدر السابق، ص 89.

(4) يبدو أن المقصود بصاحب الأحكام هنا هو المحتسب، الذي كان يعرف في الأندلس بصاحب أحكام السوق؛ لأن معظم نشاطه ينحصر في الأسواق والأماكن العامة. ينظر: موسى لقبال، الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي، الجزائر، 1971، ص 34.

(5) ينظر: أحمد بن يحيى بن عميرة الضبي، المصدر السابق، ص 257؛ محمد بن الأبّار القضاعي البلنسي، التكملة لكتاب الصلة، ج1، المصدر السابق، ص 239-240.

(6) محمد بن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، السفر الخامس، القسم الثاني، المصدر السابق، ص 403.

(7) المصدر نفسه، ص 574.

(8) ينظر: محمد بن الأبّار القضاعي البلنسي، التكملة لكتاب الصلة، ج2، المصدر السابق، ص 785؛ كمال السيد أبو مصطفى، المصدر السابق، ص 207.

(9) محمد بن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، السفر الخامس، القسم الأول، المصدر السابق، ص 60.

(10) المصدر نفسه، ص 60.

(11) محمد بن الأبّار القضاعي البلنسي، التكملة لكتاب الصلة، ج2، المصدر السابق، ص 785.

(12) المصدر نفسه، ج1، ص 20.

2. جعفر بن يحيى بن ميمون (ت 553هـ/1158م): كان فقيهًا من أهل شقر، وقد رحل إلى بلنسية واستقر بها، وشارك في تدريس الفقه والحديث فيها[1].

الخاتمة

وعرض الاستنتاجات

تُعَدّ مدينة بلنسية من قواعد الأندلس الكبرى، وتقع في شرقها، وتحتل موقع استراتيجي متميز، ساعدها على أن تكون مركزًا إداريًا مهمًا. وهي مدينة قديمة أسسها الرومان عام (138 ق.م)، واستولى عليها القوط الغربيون عام (413م)، إلى أن فتحها المسلمون عام (92هـ/714م)، وكانت حينها مجرد مرسى صغير يطلق عليها فلنثيا، ولكن المسلمون نطقوا اسمها بلنسية، وذكرت في كتبهم التاريخية والجغرافية بهذا الاسم.

شهدت بلنسية تطورًا كبيرًا في الحياة العلمية والثقافية، لا سيّما في عهد الموحدين، وكان لتشجيع أمراءها أثرًا مهمًا في نهضة الحركة الفكرية بها.

تعددت المراكز العلمية في بلنسية، وكان من أهمها: (المساجد، ومنازل العلماء، والدكاكين، وحوانيت الوراقين، الحدائق والبساتين)، إذ كان الطلاب يرتحلون لطلب العلم أينما توجه العالم، وكانوا حريصون على عدم ضياع الوقت، وأخذ العلوم التي يحتاجونها.

ويُعَدّ النشاط العلمي والثقافي في مدينة بلنسية من نتاج مجموعتين من العلماء: الأولى- من أبناء المدينة نفسها. والثانية- من أبناء المدن الأندلسية الذين دخلوا المدينة وساهموا في نشاطها الثقافي (دراسة وتدريسًا وتأليفًا). وقد غلبت الشمولية على علماء بلنسية، إذ برزوا في أكثر من مجال من مجالات العلوم المختلفة.

عُرفت بلنسية بالعديد من البيوت والأسْر العلمية، فضلًا عَمَّا تميزت به من كثرة العلماء في التخصصات الإنسانية والعلمية كافة، وقد تخصّصت تلك البيوت والأسرْ بمختلف العلوم التي توارثتها من أسلافهم، وقد أدّت دورًا متميزًا في الحياة العلمية والسياسية والأدبية في المدينة، ومن أبرزهم: (بنو جحاف، وبنو واجب، وبنو حزب الله، وبنو ميمون).

قائمة المصادروالمراجع:

أولًا: المصادر:

أحمد بن حسن بن علي الخطيب القسنطيني (ت 809هـ)، الوفيات، تحقيق: عادل نويهض، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، 1971.

أحمد بن علي القلقشندي (ت 821هـ)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، شرح وتعليق: نبيل خالد الخطيب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987.

أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت 1041هـ)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968.

أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت 681هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1986.

أحمد بن محمد بن عذاري المراكشي (ت نحو ٦٩٥هـ)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج. س. كولان وليفي بروفنسال، ط3، دار الثقافة، بيروت، 1983.

---

[1] المصدر نفسه، ج1، ص 242.

أ) **الكتب باللغة الإنجليزية:**

– Maribel Fierro, The Almohads (524-668 AH/1130-1269 AD) and the Hafsids (627-932 AH/1229-1526 AD), Cambridge University Press, 2010.

إسماعيل بن عمر بن كثير (ت 774هـ)، البداية والنهاية، تحقيق: أحمد أبو ملحم وآخرون، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987.
إسماعيل بن محمد أبو الفدا (ت 733هـ)، تقويم البلدان، مطبعة باريس، 1896.
عبد الحي بن العماد الحنبلي (ت 1089هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت).
عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت 808هـ)، تاريخ ابن خلدون (المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر)، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، 1979.
ـــــ، مقدمة ابن خلدون، دار العلم للجميع، بيروت، (د.ت).
عبد الله بن أسعد بن علي اليافعي (ت 768هـ)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997.
عبد الواحد بن علي المراكشي (ت 647هـ)، المعجب في تلخيص أخبار أهل المغرب، تحقيق: محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، ط7، دار الكتاب العربي، الدار البيضاء، 1978.
علي بن أبي زرع الفاسي (ت 741هـ)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، طبعة دار المنصور، الرباط، 1972.
علي بن محمد الشيباني المعروف بابن الأثير (ت630هـ)، الكامل في التاريخ، تحقيق: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ/2003م.
علي بن محمد بن علي الرعيني الاشبيلي (ت 666هـ)، برنامج شيوخ الرعيني، تحقيق: إبراهيم شبوح، دمشق، 1962.
علي بن موسى بن سعيد الأندلسي (ت 685هـ)، المغرب في حلى المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، ط3، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).
عياض بن موسى السبتي (ت 544هـ/1149م)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق: أحمد بكير محمود، بيروت، (د.ت).
مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت 817هـ)، البلغة في تاريخ أئمة اللغة، تحقيق: محمد المصري، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1972.
محمد بن الأبّار القضاعي البلنسي (ت 658هـ)، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عبد السلام الهراس، دار الفكر، بيروت، 1995، ص314.
ـــــ، ديوان ابن الأبّار، قراءة وتعليق: الدكتور عبد السلام الهراس، الدار التونسية، تونس، 1985.
محمد بن عبد العزيز الإدريسي (ت 560هـ)، صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس (مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الافاق)، نشر دي غويه ودوزي، ليدن، 1898.
محمد بن عبد الله بن عثمان الذهبي (ت 748هـ)، العبر في خبر من غبر، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).
ـــــ، سير أعلام النبلاء، تحقيق: بشار عواد معروف ومحيي هلال السرحان، مؤسسة الرسالة، 1985.
ـــــ، معرفة القراء الكبار على الطبقات والإعصار، تحقيق: بشار عواد معروف وآخرون، مؤسسة الرسالة، دمشق، 1984.
محمد بن عبد الملك المراكشي (ت 703هـ)، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، السفر الخامس، القسم الأول، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، (د.ت).
محمد بن عبد المنعم الحميري (ت 723هـ)، الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1975.
ـــــ، صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الاقطار، نشر وتعليق: ليفي بروفنسال، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1937.
محمد بن محمد بن الجزري (ت 833هـ)، غاية النهاية في طبقات القراء، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1932.

ياقوت بن عبد الله الحموي (ت 626هـ)، معجم البلدان، دار الكتاب العربي، بيروت، 1979.

ثانيًا: المراجع:

الرسائل والأطروحات الجامعية:

محمد نايف جروان العمايرة، التاريخ السياسي لمدينة بلنسية (399-495هـ/ 1008-1102م)، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، الجامعة الأردنية، عمّان، 1995.

الكتب المعرّبة:

عدّة مؤلفين، دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة: أحمد الشنتناوي وآخرون، الشارقة، 1998.

خوليان ريبيرا، التربية الإسلامية في الأندلس أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية، ترجمة: الدكتور الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، القاهرة، 1919.

الكتب العربية:

إبراهيم علي العكش، التربية والتعليم في الأندلس، دار عمار والفيحاء، عمان، 1986.

أحمد بن يحيى بن عميرة الضبي، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكاتب العربي، 1967.

خير الدين بن محمود بن محمد الزركلي (ت ١٣٩٦هـ)، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002.

شكيب أرسلان، الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، المطبعة الرحمانية، مصر، 1936.

عبد العزيز سالم، تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، القاهرة، 1985.

كريم عجيل حسين، الحياة العلمية في مدينة بلنسية الإسلامية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1975.

كمال السيد أبو مصطفى، تاريخ مدينة بلنسية الأندلسية في العصر الإسلامي (95-495هـ/714-1102م)، مطبعة الإشعاع، الإسكندرية، (د.ت).

محمد بن أحمد بن كنعان، وفيات الأعلام والمشاهير. خلاصة تاريخ ابن كثير، مؤسسة المعارف، بيروت، (د.ت).

محمد سامي عسل، أوربا دراسة في جغرافية القارة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1975.

محمد عبده حتاملة، موسوعة الديار الأندلسية، عمّان، 1999.

موسى لقبال، الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي، الجزائر، 1971.

يوسف بن علي بن إبراهيم العريني، الحياة العلمية في الأندلس في عصر الموحدين، الرياض، 1995.

الكتب باللغة الإنجليزية:

Maribel Fierro, The Almohads (524-668 AH/1130-1269 AD) and the Hafsids (627-932 AH/1229-1526 AD), Cambridge University Press, 2010.

العمل الدبلوماسي للبرلمان البريطاني والإسباني

إعداد/ قطيفة القرقري - باحثة دكتوراه تخصص القانون العام والعلوم السياسية، بجامعة محمد الخامس الرباط
د. عبد الإله العبدي - أستاذ القانون العام، العلوم السياسية بجامعة محمد الخامس بالرباط

المستخلص:

يشكل البرلمان بنية أساسية مهمة داخل جميع الأنظمة السياسية المعاصرة فكيفما كان شكل الدولة ونظامها السياسي والدستوري، يبقى البرلمان سلطة ذات بعد مؤسساتي محدد لمدى ديمقراطية هذه الأنظمة من عدمها، ويهدف تحليل الأنظمة السياسية إلى اكتشاف هوية العناصر التي تشكلها، وطبيعة علاقاتها المتبادلة، فضلا عن اكتشاف التغييرات التي تمر بها داخليا وعلاقاتها مع الخارج.

ويسعى دافيد إيستون[1] إلى شرح كيفية استمرار الأنظمة السياسية في البيئات المتغيرة والضغوط الداخلية والخارجية، فبالنسبة له فإن الحياة السياسية ليست أكثر من نظام يتكون من عوامل مختلفة تتفاعل مع بعضها البعض وتتفاعل مع الخارج، ويخلص هذا التفاعل إلى ديمومة النظام أو تحوله أو موته، وتتمثل هذه العوامل إما في مؤسسات أو أفراد أو قيم[2] .

ومن الضروري هنا التمييز بين الجزء الداخلي والجزء الخارجي من النظام، حيث يشير الجزء الداخلي إلى القيم والمؤسسات والمنظمات والجزء الخارجي إلى المنتظم الدولي والقطاع فوق المنظومة الذي يتفاعل معه النظام السياسي. ولا يمكن فهم واستيعاب دور البرلمان في السياسة الخارجية إلا عن طريق فهم النظام السياسي للدولة والاختصاصات الدستورية والقانونية لكل سلطة داخل نوع النظام.

الكلمات المفتاحية: العمل الدبلوماسي للبرلمان، بناء الديمقراطيات الحديثة، دور البرلمان في السياسة الخارجية.

Abstract:

The parliament forms an important foundational structure within all contemporary political systems. Regardless of the shape of the state and its political and constitutional system, the parliament remains an authority with a defined institutional dimension that indicates the extent to which these systems are democratic or not. The analysis of political systems aims to discover the identity of the elements that constitute them and the nature of their mutual relationships, as well as to uncover the changes they undergo internally and their relations with the outside world.

---

[1]- يعتبر دافيد ايستون أن هناك مدخلين هما:

- مدخل وظيفي: يركز على وظيفة الجهاز السياسي فاعتبر أن الوظيفة السياسية تعني "بث القيم بثا سلطوياً على مستوى المجتمع الكلي "أي تنحصر لديه في إصدار القرارات والقواعد الملزمة ويعتبر ايستون من كبار المتخصصين الذين طوروا مسار المدرسة الوظيفية التي تظهر وكأنها المجال الطبيعي للتحليل النسقي.
- مدخل نسقي: المدرسة النسقية وضعت بنيات منهجية ومفاهيمية جديدة ذات بعد عام ديناميكي للحياة السياسية حيث إن أصحاب التحليل النسقي وفي مقدمتهم دافيد ايستون يرتكزون إلى مفهومي (النسق- الإتزان) ولفظة النسق تعني بمدلولها المنهجي الحالة التي عليها علاقات أية مجموعة في الحياة الإجتماعية (كالنسق السياسي) والتي يتحقق بها إستمرار تلك العلاقات ككل متزن. وتبعا لذلك فإن لفظة النسق عبارة عن تصور ذهني لحالة التكامل السياسي والإجتماعي ولفظة التكامل هنا تعني حالة الترابط التي لا تدع مجالاً للتفاوت والتكامل.

[2]- Carlos García Rivero, introducción al Sistema politico español 1 joaquín martín cubas (coord.), 2023, p 6.

David Easton seeks to explain how political systems persist in changing environments and under internal and external pressures. For him, political life is nothing more than a system comprised of various factors that interact with each other and with the outside. This interaction results in the durability, transformation, or death of the system. These factors can be institutions, individuals, or values. It is essential to distinguish between the internal part and the external part of the system, where the internal part refers to values, institutions, and organizations, while the external part pertains to the international order and the supranational sector with which the political system interacts.

The role of parliament in foreign policy cannot be understood and comprehended except through understanding the political system of the state and the constitutional and legal competencies of each authority within the type of system.

Keywords: parliamentary diplomatic work, building modern democracies, the role of parliament in foreign policy.

1- مقدمة:

يتمتع البرلمان في الأنظمة الديمقراطية، بسلطات واسعة تمكنه من التأثير في السياسات الخارجية، حيث تمنح للجان الشؤون الخارجية استقلالية أكبر، مما يعزز دور الدبلوماسية البرلمانية، كما يسمح هذا النموذج لأعضاء البرلمان بالتفاعل المباشر مع الهيئات التشريعية الخارجية، والمشاركة في المؤتمرات الدولية، وبناء شبكات دبلوماسية تعزز العلاقات الثنائية والمتعددة الأطراف.

كما يعتبر النظام البرلماني من بين أهم الأنظمة الرئيسية التي تساهم في بناء الديمقراطيات الحديثة، حيث يشكل البرلمان الإسباني و البرلمان البريطاني نموذجين ناجحين لها، ويشكل البرلمان الإسباني "Cortes Generales " أحد أهم المؤسسات التي يوكل إليها بمقتضى القانون صلاحيات مهمة، لكن بالرغم من هذه الصلاحيات الممنوحة له دستوريا إلا أن دوره يبقى قاصرا ومحدودا على مستوى الواقع، فالحكومة تتعدى سلطة البرلمان في الكثير من الحالات وعلى رأسها السياسة الخارجية[1]، وهذا ما يمكن أيضا ملاحظاته من خلال اختصاصات البرلمان البريطاني في هذا المجال.

ويشكل العمل الدبلوماسي البرلماني أحد أبرز مظاهر تطور العلاقات الدولية في القرن الواحد والعشرين، حيث لم تعد الدبلوماسية حكرا على الجهاز التنفيذي فقط، بل باتت البرلمانات الوطنية فاعلا محوريا في رسم السياسات الخارجية، والدفاع عن المصالح الوطنية، وتعزيز الحضور الدولي للدول. وفي هذا الإطار، يبرز نموذجان مهمان في أوروبا هما البرلمان البريطاني والبرلمان الإسباني، باعتبارهما من المؤسسات التشريعية التي لعبت أدوارا متقدمة في مجال الدبلوماسية البرلمانية، سواء من خلال لجانهما المختصة أو من خلال علاقاتهما متعددة الأطراف والثنائية مع برلمانات دول أخرى.

[1]- عبد الرزاق الخاوي، **"محدودية الاختصاص المالي للبرلمان الاسباني"**، مجلة القانون والأعمال الدولية، يونيو 2020، تم الاطلاع عليه بتاريخ 2023/03/12، على الرابط التالي: https://www.droitetentreprise.com/20101/

كما تكتسي دراسة العمل الدبلوماسي لهاتين المؤسستين أهمية خاصة، بالنظر إلى السياقات السياسية والتاريخية المختلفة التي تؤطر عمل كل منهما، حيث يعد البرلمان البريطاني مرآة لتقاليد برلمانية عريقة وممارسة دبلوماسية راسخة، في حين يعكس البرلمان الإسباني تطوراً حديثاً نسبياً في الممارسة البرلمانية بعد الانتقال الديمقراطي في أواخر القرن العشرين.

وينطلق هذا الموضوع من إشكالية مركزية مفادها: ما مدى فعالية العمل الدبلوماسي لكل من البرلمان البريطاني والبرلمان الإسباني في التأثير على السياسات الخارجية لبلديهما، وفي خدمة القضايا الوطنية على المستوى الدولي؟ وما هي أوجه التشابه والاختلاف بين النموذجين من حيث الأدوار، الآليات، والنتائج؟

ومن أجل معالجة هذه الإشكالية، سيتم اعتماد مجموعة من المناهج العلمية المتكاملة: المنهج المقارن لمقارنة الأطر القانونية والعملية لدور البرلمانين في المجال الدبلوماسي. والمنهج الوصفي والتحليلي لرصد وتحليل أبرز الآليات والمبادرات التي قام بها كل من البرلمان البريطاني والإسباني في الساحة الدولية. والمنهج التاريخي لتتبع تطور العمل الدبلوماسي للبرلمانين في سياقه الزمني والسياسي. ثم المنهج المؤسسي لتحليل بنية المؤسسات البرلمانية وآليات اتخاذ القرار فيها فيما يتعلق بالدبلوماسية.

وسيتم تناول الموضوع من خلال محورين:

المحور الأول: السياسة الخارجية ببريطانيا: بين طبيعة النظام السياسي وأدوار المؤسسات المنتخبة

المحور الثاني: السياسة الخارجية الاسبانية بين الحكومة والكورتيس

2- السياسة الخارجية ببريطانيا: بين طبيعة النظام السياسي وأدوار المؤسسات المنتخبة

من خلال هذا المحور سيتم الحديث عن طبيعة النظام السياسي البريطاني والتطور التاريخي الذي عرفه، بداية من نظام ملكية مطلقة، مرورا بنظام ملكية مقيدة، وصولا إلى نظام برلماني دعائمه ثنائية السلطة التنفيذية (الملك ورئيس الحكومة)، والثنائية البرلمانية (مجلس العموم ومجلس اللوردات)، إضافة إلى الفصل المرن للسلطة المقرون بالتعاون بين السلطتين التنفيذية والتشريعية. وسنتطرق إلى السياسة الخارجية ببريطانيا من خلال:

الفقرة الأولى: طبيعة النظام السياسي البريطاني

الفقرة الثانية: دور المؤسسات السياسية البريطانية في صنع السياسة الخارجية

2.1-طبيعة النظام السياسي البريطاني

يرتبط اسم النظام السياسي البرلماني بشكل كبير بالنظام السياسي البريطاني، اعتبارا لسياقات تشكيله وظروف نشأته. فلم ينشأ بمعزل عن السياقات السياسية والاجتماعية التي كانت تعرفها بريطانيا آنذاك، ولم يكن بمعزل عن الصراع القائم بين الملكية والأطياف الأخرى، ولكن كانت جزءا أساسيا في نشأته وتطوره وبناء نجاحه، إلى أن أصبح اليوم نظام ملكية برلمانية يستشهد به كنموذج لهذا النوع من الأنظمة.

يجسد النظام السياسي البريطاني المثال الحي والواقعي للنظام البرلماني، والذي يقوم على أساس مبدأ التعاون بين السلطات في الدولة، باعتباره قاعدة أساسية تضمن حياته واستمراريته. كما يمتاز بالاستقرار، من خلال استناده على المحطات التاريخية التي مر بها، الأمر الذي جعل المواطن البريطاني ينسجم معه ويميل إلى المحافظة عليه. فإلى غاية نهاية القرن التاسع عشر،

وبداية القرن العشرين، انتقل النظام السياسي البريطاني من كونه نظام ملكي عمر لقرون كثيرة، إلى نظام برلماني يقوم على أساس الثنائية البرلمانية[1].

إن ولادة أي نظام سياسي وكيفية اشتغال آلياته، يبقى مرتبط بشكل وثيق بظروفه التاريخية والسياسية التي مر منها، ولقد سار النظام السياسي البريطاني في نفس السياق، ولم يخرج عن هذه القاعدة، بل كرسها في أبهى تجلياتها، إذ تبلور كنتيجة تطور تاريخي بطيء. فانبثقت المؤسسة الملكية كرمز للأمة البريطانية، إلى جانب الحكومة التي تعتبر الجهاز الفعلي لتدبير الشأن العام. فيما تتجلى صلاحيات البرلمان في مراقبة عمل الحكومة وإصدار القوانين من خلال مجلس العموم ومجلس اللوردات[2].

إن التغييرات الجوهرية التي عرفها النظام السياسي البريطاني، والتحول الذي عرفه من ملكية مطلقة، إلى ملكية مقيدة، أفرز هيئة تمثيلية عملت بجانب الملك في تدبير شؤون الدولة وأفسحت المجال أمام إرساء أسس الديمقراطية الليبرالية كتصور جديد لنظام الحكم، من خلال بلورة قواعد النظام البرلماني[3].

وللإشارة فإن النظام السياسي البريطاني ورغم عراقته إلا أنه لا يتوفر على دستور مدون، وهذا الأمر لا يعني عدم وجود قواعد دستورية تنظم الحياة العامة في الدولة، والعلاقات بين الحاكمين والمحكومين، وإنما يعتمد بشكل كبير على مجموعة من القواعد الدستورية التي أفرزها الصراع بين البرلمان والملك، ومن أبرزها وثيقة "الماغناكارت" أو ما يطلق عليه بالميثاق الأعظم لسنة 1215، إضافة إلى وثيقة الحقوق لسنة 1679. وهي وثائق تتصف بالواقعية باعتبارها خالية من الروح الفلسفية. إضافة الى ذلك تعتبر التشريعات التي أقرها البرلمان والمرتبطة بالإصلاحات السياسية والدستورية أساسية في بناء القواعد العرفية الدستورية المنظمة للحكم[4].

وانطلاقا من بناء القواعد الدستورية بشكل عرفي، كان النظام البريطاني ملهما للمفكرين في فترة تشكله. فلقد تأثر المفكر الإنجليزي "جون لوك" به من خلال إيمانه بفكرة سيادة الأمة، وفكرة النيابة. والحال ذلك بالنسبة للمفكر "مونتسكيو"، الذي استوحى فكرة الفصل بين السلطات من واقع الممارسة في النظام السياسي البريطاني في عصره. فمن ملاحظته تبين له أنه لا يمكن إيقاف قوة معينة إلا من خلال قوة أخرى موازية لها، وهو ما تجلى في العلاقة بين السلطات وخصوصا السلطة التشريعية التي تقوم بوظيفة التشريع والمتمثلة في البرلمان، والسلطة التنفيذية المتمثلة آنذاك في الملك والذي يقوم بوظيفة التنفيذ[5]. فجاء بفكرة التوازن بين السلطتين أو القوتين للحفاظ على عدم انحراف الحكم نحو حكم استبدادي سلطوي كما كان عليه الحال سابقا.

إذن فالنظام السياسي البريطاني ليس وليد نظرية سياسية معينة متعلقة بالحكم، وليس ثمرة التفكير في كيفية إرساء نظام حكم معين، فلم يبحث البريطانيون في أي وقت في بناء نظام سياسي معين، سواء كان برلمانيا أو غير برلماني، وإنما بني من خلال ممارسة القواعد المتفق عليها بشكل يومي تحت تأثير الظروف والسياقات السياسية. أي أنه كلما واجهوا حالة معينة وجب التدخل

---

[1]- محمد زين الدين، **"الأنظمة السياسية المقارنة"**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1 2018، ص 27.

[2] - المرجع نفسه، ص 31.

[3]- محمد زين الدين، **"الأنظمة السياسية المقارنة"**، المرجع السابق، ص 30.

[4]- عادل ثابت، **"النظم السياسية، دراسة للنماذج الرئيسية الحديثة ونظم الحكم في البلدان العربية وللنظام السياسي الإسلامي"**، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، 2017، ص 100.

[5]- عادل ثابت، **"النظم السياسية، دراسة للنماذج الرئيسية الحديثة ونظم الحكم في البلدان العربية وللنظام السياسي الإسلامي"**، مرجع سابق، ص 101.

لحلها، وهذه المواجهة كانت تتأثر بتحول موازين القوى داخل المجتمع البريطاني. وهكذا انتقل الحكم من الملك إلى البرلمان، ومن البرلمان إلى الحكومة أو إلى الحزب الأكثر أغلبية. وبالتالي فالمؤسسات السياسية البريطانية الحاكمة هي وليدة التاريخ، ومن خلالها اكتشف البريطانيون أن لهم دستور، ولكن ليس دستور مكتوب وإنما دستور عرفي بتعبير مونتسكيو[1].

وبفعل هذه الحركية السياسية تشكلت السلطة التنفيذية في النظام البرلماني البريطاني من بنية مزدوجة، تقوم على أساس الفصل بين وظيفتي الملك (رئيس الدولة) ورئيس الحكومة (رئيس الوزراء)، بعبارة أخرى وجود فصل في الوظائف بين المنصبين، فالملك يمتلك السلطة التاريخية الرمزية أو ما يطلق عليه بسلطة التاج البريطاني، ورئيس الحكومة الذي يمتلك السلطة الفعلية المستمدة من الأغلبية البرلمانية. أي أن رئيس الحكومة يتحمل المسؤولية السياسية، وأعضاء الحكومة مسؤولون عن شؤون الحكم أمام أعضاء البرلمان[2].

رغم أنها تخضع نظريا لرقابة الملك والبرلمان، إلا أن الحكومة تمارس اختصاصات تنفيذية واسعة، من أهمها: صناعة وتنفيذ السياسة العامة للدولة. السهر على حسن تنفيذ قرارات الحكومة في مختلف القطاعات. مشاركة البرلمان في الحق في وضع المبادرات التشريعية، حيث تقوم الحكومة بطرح مشاريع قوانين كثيرة مقارنة مع البرلمان (حوالي 90% من القوانين ذات الأصل الحكومي)[3] بغية تقليص الزمن التشريعي حتى لا يضيع البرلمان في البحث عن قوانين ناقصة يتقدم بها أعضاءه ثم ترفض بعد مناقشات طويلة[4]. كذلك تمتلك الحكومة صلاحيات إصدار القوانين دون العودة لمصادقة البرلمان وذلك بتفويض منه.

إضافة إلى اختصاصات يمارسها رئيس الحكومة، والتي هي اختصاصات الملك، من أهمها: دعوة البرلمان لانعقاد دوراته، الحق في منح الألقاب والمناصب الشرفية وحق حل مجلس العموم والحق في اختيار أعضاء الحكومة. إن قوة الصلاحيات الواسعة التي يتمتع بها رئيس الحكومة، يستمدها من المشروعية التي أفرزتها صناديق الاقتراع، أي أن الشعب البريطاني عندما ينتخب البرلمان فهو في نفس الوقت ينتخب الحكومة بكامل أعضاءها، بما فيهم رئيس الحكومة من خلال الحزب الفائز في الانتخابات البرلمانية[5].

أما على مستوى البرلمان فقد تطورت سلطاته في القرن الخامس عشر حيث لم تعد وظيفته تقتصر على الوظيفة الاستشارية للملك، وإنما بدأ في تنفيذ ما نصت عليه وثيقة الماكنا كارتا من حقوق وحريات. من بينها عدم جواز فرض الضرائب على الشعب من طرف الملك دون موافقة البرلمان، أي أنه لا يمكن فرض الضرائب على الشعب دون موافقة ممثليه، ومنه إلا التشريعات الاخرى حيث كان البرلمان يقدم طلبات للملك بعد مناقشتها بشكل تفصيلي في المجلس الذي يتشكل منه البرلمان، وما كان للملك إلا أن يوافق عليها، وبالتالي تصبح من التشريع البريطاني القائم.

---

[1]- عصام سليمان، **"الأنظمة البرلمانية بين النظرية والتطبيق"**، منشورات الحلبي الحقوقي، بيروت، 2010، ص 81.

[2]- فتاح شباح، **"السلطة التنفيذية في الأنظمة السياسية التعددية: دراسة مقارنة بين النظامين السياسيين الجزائري واللبناني"**، أطروحة الدكتوراه، جامعة باتنة، كلية الحقوق والعلوم السياسية، موسم 2016/2015، ص 65.

[3]- الحاج قاسم محمد، **"القانون الدستوري والمؤسسات السياسية: المفاهيم الأساسية والنظم السياسية"**، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 2009، ص 140.

[4]- طه حسين وآخرون، **"الحياة والحركة الفكرية في بريطانيا"**، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2014، ص 47.

[5]- الحاج قاسم محمد، نفس المرجع السابق ص 140.

وبشكل تدريجي توسعت سلطاته التشريعية، وازدادت عدد التشريعات التي يصادق عليها، إلا أن الملك حافظ على مكانته التشريعية من خلال حقه في اعتماد القوانين، وبالتالي وجود فاعلين أساسيين في السلطة التشريعية تتمثل في الملك والبرلمان وحتى الحكومة من خلال القوانين التي يأذن البرلمان للحكومة بإصدارها[1].

وفي النصف الثاني من القرن السابع عشر، عرفت بريطانيا أحداث مهمة كانت سببا رئيسيا لتخلي الملك على صلاحياته في سن القوانين، حيث ادعى الملوك من عائلة ستيروت (STUART) الحق في فرض الضرائب دون العودة للبرلمان لأجل المصادقة، الأمر الذي قاد لحرب أهلية انتهت بإعدام الملك شارل الأول سنة 1946، وقيام ديكتاتورية كروموال (CROMWEL) التي استمرت حتى سنة 1658 والتي لم يوافق عليها الشعب البريطاني. وعادت الملكية بعد ذلك بقيادة شارل الثاني ثم الملك جاك الثاني، لكن لم تلتزم الملكية بالشروط المفروضة عليها، مما أدى إلى هروب الملك جاك الثاني سنة 1688 واللجوء إلى فرنسا.

وفي سنة 1689 اعتلى العرش غيوم دورانج بقرار استثنائي من البرلمان بعد موافقته بلائحة الحقوق (BILL OF RIGHT) التي وضعها البرلمان، والتي نصت كذلك على منع الملك من ممارسة التشريع نهائيا، وجعله اختصاصا حصريا للبرلمان شريطة موافقة الملك على القوانين، مما يعني أنه أصبح للملك حق نقض القوانين وصلاحية إصدار المراسيم التنظيمية. أما على مستوى الضرائب فبقيت كما كان عليه الحال كاختصاص حصري للبرلمان[2].

أما الاختصاصات الحالية للبرلمان البريطاني فتتوزع بين اختصاصات مجلس العموم واختصاصات مجلس اللوردات. حيث يختص هذا الأخير في قدرته على تأخير إصدار القوانين، توسيع مجال النقاشات من خلال تزايد عدد أعضاءه المعينين مدى الحياة والمختارين من قبل الشخصيات الأكثر كفاءة في البلاد، الأمر الذي يزيد من نوعية النقاشات والمؤدية إلى إدخال تعديلات واسعة في مضمون العديد من مشاريع القوانين[3]. فيما تنحصر صلاحيات مجلس العموم في مراقبة العمل الحكومي، فهو يمتلك القدرة على حجب الثقة، ونظرا لامتداد البرلماني في الحكومة فإنه نادرا ما يتم ذلك. إضافة إلى صلاحية إعداد التشريع وخصوصا التشريع المالي، حيث لا يمكن إقرار أي ضريبة إلا بعد إقرار البرلمان لها، أي وجوب موافقة البرلمان[4].

يعتمد البرلمان في عمله كذلك على نظام اللجان، وهي ثلاثة أنواع لجنة المجلس بأكمله، اللجان الدائمة واللجان الأخرى. اللجنة الأولى تضم كل أعضاء المجلس وتختص بالشؤون المالية وكذلك الشؤون المتعلقة بالميزانية، إضافة عن اختصاصها بفحص مشاريع القوانين التي يقرر رئيس المجلس إحالتها على اللجنة. أما اللجان الدائمة فعددها عشرة إلا أنها لا تحمل اسم معين وإنما يشار إليها بالحروف الابجدية. ومن ثم فهي لا تختص بمجالات معينة ومحددة، وإنما تدرس كل ما يحال عليها من قبل المجلس. وفيما يخص اللجان الأخرى فدورها محدود وتضم أعضاء من المجلسين. كذلك هناك لجان الجلسات تختص بترتيب الإجراءات والمساطر الضرورية ومنهج العمل في كل جلسة[5].

---

[1]- عصام سليمان، **"الأنظمة البرلمانية بين النظرية والتطبيق"**، مرجع سابق، ص 82.

[2]- المرجع نفسه، ص 83.

[3]- عصام سليمان، **"الأنظمة البرلمانية بين النظرية والتطبيق"**، المرجع نفسه، ص 97.

[4]- المرجع نفسه، 98.

[5]- حميد حنون خالد، **"الأنظمة السياسية"**، المكتبة القانونية، بغداد، ط3، 2010، ص 78.

أما على مستوى النظام الحزبي، فيتنفس النظام السياسي البريطاني على إيقاع الثنائية الحزبية، الأمر الذي مكنها من تطبيق تناوب سياسي سلس بين الحزبين الأكثر هيمنة، ألا وهما حزب العمال، وحزب المحافظين[1].

برز حزب العمال نتيجة لعاملين أساسيين، عامل أول متعلق بالحزب المحافظ والليبرالي، اللذان كان يعبران أساسا عن مصالح الملاكين العقاريين والرأسمالية الجديدة، في حين أنهما لم يعبران عن الطبقة العاملة. والعامل الثاني يمثل في كون النظام الرأسمالي والثورة الصناعية خلقا طبقة جديدة (طبقة العمال) كانت ممثلة بشكل خاص في النقابات العمالية. أما حزب المحافظين فيرتكز على تنظيمات محلية أساسها خلايا متنوعة الأصول تنتهي إلى تنظيمات جهوية ووطنية. لكن قيادته كانت تمارس السلطات من الأعلى، حيث يتسيد فيها رئيس الحزب ويأخذ المسؤولية الأكبر والصلاحيات الأوسع من نظيره في الحزب العمالي.[2]

أدى تبني نظام الثنائية الحزبية إلى ظهور ما يطلق عليه بحكومة الوزراء، وهو التطور الذي جعل من الوزير الأول يتمتع بسلطات واسعة باعتباره زعيم الأغلبية الحكومية والحاكمة، مما جعله قابضا على أمور تدبير الشأن العام، بالمقابل أضعف العمل البرلماني من خلال تقليص آليات مراقبة العمل الحكومي، وأخل بالتوازن المطلوب بين السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية.[3]

إن الهدف المركزي في تبني نظام الثنائية الحزبية هو الحفاظ على التوازن بين السلطتين التنفيذية والتشريعية، إلا أنه في بريطانيا ومن خلال الممارسة الفعلية للسلطة، والعلاقة العملية بين السلطتين جعلت من الحكومة مهيمنة على البرلمان باعتبارها تتوفر على أغلبية برلمانية في مجلس العموم. وبهذا الأمر تصبح السلطة التشريعية والتنفيذية تحت سيطرة الحزب الحاكم، ويجعل منها هيئة واحدة من الناحية العضوية. إضافة إلى ذلك فالوزراء في الحكومة لا تقوم غالبا المسؤولية عليهم أمام مجلس العموم من الناحية العملية، لأن الحزب الحاكم لن يغامر بمصالحه بطرح الثقة من الحكومة[4]. الأمر الذي دفع ويليام انسون WILIAM ANSON القول " إن الوزير الأول يحتكم إلى الأمة لتتولى كلمتها إزاء حل البرلمان وإجراء انتخابات جديدة، مما يوحي بأن الحكومة تكون مسؤولة مباشرة أمام الأمة لا أمام البرلمان"[5].

وعليه فإن الحكومة تتمتع بسلطات واسعة وهي المسؤولة عن تدبير شؤون الدولة الداخلية والخارجية، وبما أنها تمثل زعامة الحزب الحائز على أغلبية المقاعد في مجلس العموم، فإنها تمارس صلاحياتها بكل ثقة مستند على تأييد أغلبية أعضاء البرلمان. إذن يمكن القول إن الحكومة هي صاحبة القرار السياسي فعليا، في المقابل يجد البرلمان نفسه ضعيفا أمامها[6].

إن النظام السياسي البريطاني على شكله الحالي، وبخصائصه التي بناها بممارسة القواعد الدستورية العرفية العملية والواقعية وليس على الافكار الفلسفية كما تقدر سالفا، جاء نتيجة تطور تاريخي طويل وبناء على نتائج الصراع بين الملك والبرلمان[7]. إن الملاحظة الأساسية التي يجب ذكرها من خلال تحليل خصائص النظام البريطاني، أن السلطتين التنفيذية والتشريعية كلاهما يتشكلان من جهازين يشتغلان في سلطة واحدة، وبعبارة أخرى تتشكل السلطة التنفيذية من الملك والحكومة، بينما تتشكل السلطة

---

[1]- محمد زين الدين، **"الأنظمة السياسية المقارنة"**، مرجع سابق، ص 41.

[2]- محمد زين الدين، ا**"الأنظمة السياسية المقارنة"**، مرجع سابق، ص 42.

[3]- المرجع نفسه، ص 43.

[4]- المرجع نفسه، نفس الصفحة.

[5]- William Anson, **"The Law and custom of the Construction"**, Vol 1, 1909, p380.

[24]- محمد زين الدين، **"الأنظمة السياسية المقارنة"**، مرجع سابق، ص 35.

[7]- عادل ثابت، **"النظم السياسية، دراسة للنماذج الرئيسية الحديثة ونظم الحكم في البلدان العربية وللنظام السياسي الإسلامي"**، مرجع سابق، ص 102.

التشريعية من مجلس العموم ومجلس اللوردات. هذه الثنائية تشتغل بشكل ديناميكي، فكل فاعل يمتلك صلاحيات واختصاصات يشتغل بها، هذا الاشتغال لا يكون بمعزل عن الفاعل الآخر في نفس السلطة، وإنما يشكلان وحدة متكاملة ومنسجمة، سواء على مستوى السلطة التنفيذية، أو على مستوى السلطة التشريعية.

إن الفصل بين السلطتين التشريعية والتنفيذية في بريطانيا نظري وليس له علاقة في الواقع، ما يؤدي إلى التأثير سلباً على آليات النظام البرلماني. فالسلطتين التشريعية والتنفيذية في قبضة واحدة هي قبضة حزب الأغلبية، فليس هناك فصل بين السلطتين إنما تركيز للسلطة في حزب واحد، يحتكر عملياً وإلى حد كبير المبادرات التشريعية، من خلال مشاريع قوانين تأتي من الحكومة، ويضع السياسات التي تعتمدها هذه الأخيرة وتنفذها من خلال برامج فالحكومة، وفي هذه الحالة لا يمكن الحديث على تعاون بين السلطتين التشريعية والتنفيذية لأنه ليس في الواقع سلطتان منفصلتان ليتعاونا[1].

ورغم ذلك فالمبدأ الأساسي في الممارسة العملية هو الرضا بحكم الأغلبية، واحترام المعارضة لحكم الديمقراطية، وفي نفس الوقت احترام الأغلبية لرأي المعارضة بمنطق الإقناع وليس بالخضوع والتسليم، وتمكينها من التمتع بكامل حرياتها في إبداء رأيها وتأييده، ليكون الحكم في النهاية برضا الجميع، ولكي تتخذ القرارات الصفة القومية لا الصفة الحزبية.[1]

2.2- دور المؤسسات السياسية البريطانية في صنع السياسة الخارجية

تعتبر صناعة السياسة الخارجية للمملكة المتحدة عملية هامة ومعقدة في تدبير الشأن العام الخارجي للبلاد. اعتبارا لتميز المملكة المتحدة بتاريخها الطويل والعريق في الساحة الدولية، وهي من الدول الرئيسية التي تلعب دورا مهما في تشكيل السياسة العالمية، وتشتغل السياسة الخارجية للمملكة المتحدة على مجموعة من الأهداف لتحقيقها، والمبادئ التوجيهية التي تستند عليها، بغية حماية وتعزيز مصالحها الداخلية والخارجية، سواء على المستوى الاقتصادي والسياسي. وتسعى كذلك للعمل على تعزيز السلام والأمن العالميين من خلال عضويتها الدائمة في مجلس الأمن، ودعم حقوق الإنسان، وتعزيز الديمقراطية وسيادة القانون[2].

هناك فرق كبير بين مما كانت عليه معالم السياسة الخارجية البريطانية في الماضي وبين ما هو كائن حاليا، حيث كانت تعد تحت رقابة السلطة التنفيذية والمقربون من التاج البريطاني أو من هم في حكمهم. بينما حاليا تعد تحت رقابة السلطة التشريعية المنبثقة من إرادة الشعب. إلا أن إعدادها وتنفيذها ما زال في يد السلطة التنفيذية، واقتصار دور البرلمان في بعض الصلاحيات المرتبطة بالمراقبة والمصادقة على بعض التشريعات في بعض الحالات.

إن العرف الدستوري السائد في بريطانيا أن الملك هو المسؤول عن السياسة الخارجية البريطانية، ويمارس هذا الدور اليوم وزراء التاج وهم الحكومة، والوزراء يتولون مناصبهم بالاستناد إلى ثقة أكثرية مجلس العموم، ولكنهم يتحملون بالفعل مسؤولية وضع السياسة الخارجية وتنفيذها ولا تعتبر هذه السياسة وليدة النقاش البرلماني في مجلس العموم بل حيت تضعها الحكومة للمناقشة قصد كسب التأييد البرلماني.

---

[1]- عصام سليمان، **"الأنظمة البرلمانية بين النظرية والتطبيق"**، مرجع سابق، ص100.

[2]- Grant Wyn & Graham Wilson, **"The Consequences of the Global Financial Crisis : The Rhetoric of Reform and Regulation"** Oxford University Press. 69. 2012, P

وعليه فإن صناعة السياسة الخارجية لبريطانيا تتم عبر آليات متعددة تشمل صلاحيات الملك، وأخرى خاصة بالبرلمان، واختصاصات مشتركة مع الحكومة. حيث يلعب البرلمان البريطاني دورًا هامًا في إعداد وتشكيل السياسة الخارجية بشكل غير مباشر من خلال مراقبة ومراجعة أداء الحكومة في هذا الصدد.

فيما يخص صلاحيات الملك فتتجلى في حق إعلان الحرب والسلام، وإبرام المعاهدات الدولية، وكذلك الاعتراف بالدول والحكومات الأجنبية وإرسال واستقبال المبعوثين الدبلوماسيين ورغم هذه الصلاحيات الموكولة للملك إلا أنه لا يمارسها بشكل مطلق، حيث يمارسها انطلاقا من اقتراحات الحكومة باعتبار الملك لا يسود ولا يحكم[1].

إن المسؤولية الخاصة في القضايا الكبرى تستند لوزير الخارجية، لكن لا يقوم بوظائفه بشكل مستقل، بل يخضع لأوامر الحكومة والقرارات المنبثقة منها كذلك هناك طرف اخر في صنع السياسة الخارجية والمتمثلة في الأسلاك الدبلوماسية، وهي أداة حكومية لصناعة وتنفيذ سياستها الخارجية. حيث يعمل رجال السلك الدبلوماسي بتزويد وزير الخارجية بالمعلومات والمعطيات الخاصة بكل بلد، إضافة إلى إبداء الآراء والملاحظات والمقترحات التي من شأنها أن تعطي الإضافة النوعية للدور الدبلوماسي لوزير الخارجية[2].

إن هذه العملية تتم وفق معايير وجدولة محددة، تتمثل في[3]:

- النقاش والتوجيه العام: يتم مناقشة قضايا السياسة الخارجية في البرلمان بشكل منتظم ويتم عقد جلسات نقاش وطرح أسئلة لأعضاء الحكومة حول القضايا الخارجية الهامة والسياسات المتعلقة بها، كما يمكن لأعضاء البرلمان توجيه التوصيات والتوجيهات للحكومة في هذا الصدد.
- اللجان البرلمانية: يوجد عدد من اللجان البرلمانية المختصة في الشؤون الخارجية، مثل لجنة العلاقات الخارجية. تقوم هذه اللجان بدراسة القضايا الخارجية بتفصيل ومراجعة سياسات الحكومة في هذا المجال، يمكن للجان البرلمانية إصدار تقارير وتوصيات تؤثر على صياغة السياسة الخارجية.
- الموافقة على الاتفاقيات الدولية: يجب على الحكومة الحصول على موافقة البرلمان على بعض الاتفاقيات الدولية المهمة قبل أن تدخل حيز التنفيذ، ويتطلب ذلك عرض الاتفاقية على البرلمان والسماح لأعضاء البرلمان بمناقشتها والتصويت عليها.
- المراقبة والمراجعة: يقوم أعضاء البرلمان بمراقبة أداء الحكومة في تنفيذ السياسة الخارجية وتحقيق الأهداف المنشودة.

كذلك ارتباطا بدور البرلمان البريطاني في صناعة السياسة الخارجية، يتشارك البرلمان بمعية الحكومة في الآليات المشتركة الآتية[4] :

---

[1]- الحاج قاسم محمد، **"القانون الدستوري والمؤسسات السياسية: المفاهيم الأساسية والنظم السياسية"**، مرجع سابق، ص138.

[2]- زياد مصطفى وتي، **"صناعة السياسة الخارجية البريطانية"**، تم الاطلاع عليه بتاريخ 2023/05/03، على الرابط التالي:.https://2u.pw/wu0qdi

[3] - Oliver Daddow,**" British Foreign Policy: The New Labour Years".** Routledge 2016, p 45.

[4] - Oliver Daddow, Op.cit, p 46.

- الوثائق والتقارير: تعد الحكومة تقارير ووثائق تفصيلية تشرح سياساتها الخارجية وأهدافها. يتم تقديم هذه الوثائق إلى البرلمان لمناقشتها واستعراضها من قبل أعضاء البرلمان. يتيح هذا الإجراء لأعضاء البرلمان تقييم سياسات الحكومة وتوجيه الأسئلة والتعليقات حولها.

- التصويت على السياسة الخارجية: في بعض الحالات يمكن للبرلمان التصويت على قرارات ومقترحات تتعلق بالسياسة الخارجية. يعني ذلك أن أعضاء البرلمان يمكنهم التعبير عن رأيهم والمساهمة في صياغة السياسة الخارجية من خلال التصويت على القضايا ذات الصلة.

- الجلسات الاستجوابية: يحق لأعضاء البرلمان توجيه الأسئلة إلى أعضاء الحكومة والوزراء المعنيين بالشؤون الخارجية خلال الجلسات الاستجوابية. يتيح ذلك لأعضاء البرلمان استجواب الحكومة حول قراراتها وسياساتها الخارجية وطلب المزيد من المعلومات والتوضيحات.

- المناظرات البرلمانية: تتيح المناظرات البرلمانية المنتظمة فرصة لأعضاء البرلمان لمناقشة القضايا الخارجية وطرح الأفكار والآراء. يمكن أن تتضمن هذه المناظرات جلسات نقاش مفتوحة حول السياسة الخارجية ومناقشة الخيارات والتوجهات المستقبلية[1].

رغم الصلاحيات المتعددة للبرلمان في مجال صناعة السياسة الخارجية البريطانية، إلا أنها غير كافية انطلاقا من هيمنة الأغلبية الحكومية على هذا المجال، وحيث أن الحكومة لها امتداد برلماني من خلال الأغلبية البرلمانية، فإنه لا يمكن لأعضاء البرلمان أن ينتقدوا أعضاء الحكومة المشكلة من حزبهم، لهذا يبقى فقط لأعضاء المعارضة البرلمانية أن يتفاعلوا في النقاش الخاص بمواضيع صناعة السياسة الخارجية بشكل متواضع، سواء تعلق الأمر بمراقبة تنفيذ السياسة الخارجية وآثارها على البريطانيين، أو تعلق الأمر بالتشريع من خلال المصادقة على الاتفاقيات الدولية التي تستوجب مصادقة البرلمان.

بشكل عام، تهدف السياسة الخارجية للمملكة المتحدة إلى الحفاظ على مكانتها كقوة عالمية والمساهمة في السلام والأمن العالميين، وتعزيز التعاون الدولي لمواجهة التحديات العالمية المشتركة مثل التغير المناخي، والإرهاب، بالإضافة إلى ذلك، تحاول المملكة المتحدة تعزيز التجارة الدولية والاستثمار وتوسيع شبكة العلاقات الثنائية والمتعددة مع الدول الشريكة. حيث تولي الحكومة البريطانية اهتمامًا كبيرًا لتوسيع قاعدة الشراكات الاقتصادية وتعزيز التبادل التجاري من خلال إبرام اتفاقيات تجارية مع الدول الرئيسية وتعزيز الروابط مع الدول الناشئة والنامية.

تقوم السياسة الخارجية البريطانية على تعزيز المصالح الوطنية للبلاد والدفاع عن الحرية والإنصاف والمسؤولية من خلال توسع نفوذها الإقليمي والدولي، وأن تكون نشيطة وحيوية في عالم متصل بالشبكات، باستخدام دبلوماسيين لتأمين ازدهار البلاد، وبناء علاقات ثنائية ومتعددة الأطراف معززة بشكل كبير بريطانيا، ويؤثر على جاذبية الثقافة البريطانية وتراثها العالمي وتعزيز قيمته، بما في ذلك حقوق الإنسان.

وقد أكد وزير الخارجية البريطاني على أن البلاد لها فرص وفيرة في القرن الحادي والعشرين، وحدد أولويات شاملة متمثلة في: "حماية الأمن الوطني لبريطانيا، وبناء ازدهارها، ودعم المواطنين البريطانيين في جميع أنحاء العالم من خلال خدمات قنصلية حديثة وفعالة. وتستند بريطانيا لتحقيق كل هذه الأهداف انطلاقا من مكنتها كبلد غني وقوي عسكريا، وتاريخها الطويل في التأثير

[1]- Oliver Daddow, ," **British Foreign Policy: The New Labour Years**", Op.cit, p 47.

على الشؤون العالمية، والشركات والتحالفات التي تربطها مع الدول في مختلف المناطق، سواء تعلق الأمر بالاتحاد الأوروبي أو العلاقات التي تربطها مع الدول دائمي العضوية في مجلس الأمن، وأعضاء حلف الناتو. إضافة إلى العلاقات ذات الطابع التجاري مع منظمات دولية قارية إقليمية ودولية، كمنظمة التعاون الاقتصادي والتنمية، مجموعة الثماني، مجموعة العشرين من الدول الصناعية الرائدة، والبنك الدولي، وصندوق النقد الدولي وما إلى ذلك[1].

3- السياسة الخارجية الاسبانية بين الحكومة والكورتيس

إن البحث في السياسة الخارجية الإسبانية يتطلب أولا الخوض في طبيعة النظام السياسي الاسباني و سياقه التاريخي المتمثل في إرساء نظام سياسي ديمقراطي، حيث يتبين بوضوح أن السياسة الخارجية في ظل الحكومات الأولى[2] برئاسة أدولف سواريز وكالفو سوتيلو، كانت ضعيفة للغاية إذا ما قورنت بنظيرتها في الفترة بين 1982- 1989 برئاسة فيليبي غونزاليس، ويكمن السبب الأساسي في رغبة القوى السياسية آنذاك في بناء نظام سياسي ديمقراطي، وصياغة دستور جديد ، وتحقيق اتفاقيات اقتصادية واجتماعية تهدف إلى تحقيق مفهوم التوافق، بمعني تأسيس الدولة و دمقرطة مؤسساتها بدل الاهتمام بالعلاقات الخارجية لإسبانيا.

ويمكن تقسيم السياسة الخارجية الاسبانية إلى مرحلتين: مرحلة ما قبل سنة 1982 ومرحلة ما بعد 1982.[3] حيث أبانت السياسة الخارجية خلال العقد 1982-1992 أنها تعمل باتفاق برلماني رفيع المستوى، مع وجود بعض الاستثناءات (الشيوعيون وحلف شمال الأطلسي بين عامي 1982 و1986)، التي لم تؤثر إلا على أقلية من القوى السياسية الممثلة في البرلمان، وفقط على بعض القضايا المحددة، حيث كانت تعمل الحكومة بطابع موضوعي تشترك فيه الأغلبية العظمى في البرلمان.

لذلك في تلك السنوات، حتى في أصعب مناقشات السياسة العامة، أو في الحملات الانتخابية المتتالية، لم يستطيع اليمين المتطرف، ولا المعتدل، ولا الأقليات الكتالونية والباسكية في مجلس النواب، مهاجمة السياسة الخارجية أو اقتراح الحد الأدنى من مواقف في العلاقات الخارجية. وتأسيسا على ذلك وقبل التطرق لدور البرلمان في السياسة الخارجية، لا بد من البحث في طبيعة هذا النظام وفهم مرتكزاته القانونية والدستورية.

وسيتم تناول السياسة الخارجية الاسبانية بين الحكومة والكورتيس من خلال:

الفقرة الأولى: خصوصية النظام السياسي الاسباني

الفقرة الثانية: دور البرلمان الإسباني في صنع السياسة الخارجية

3.1- خصوصية النظام السياسي الاسباني

النظام السياسي الإسباني هو نظام ملكي دستوري برلماني، يقوم على مبدأ الفصل بين السلط، والتعددية السياسية والإدارية، والملك فيليب السادس هو رئيس الدولة والقائد الأعلى للقوات المسلحة، ورئيس الوزراء هو رئيس الحكومة.

---

[1]- HM government, "**Review of the Balance of Competences between the United Kingdom and the European**" Union Foreign Policy, July 2013, p 13.

[2]- Pere vilanova, "**el sistema político y la política exterior: el ciclo formal**", universitat de barcelona working paper n.94 barcelona 1994.p: 3.

[3]- Pere vilanova, Op.cit p 11.

يتألف البرلمان من مجلسين: مجلس النواب ومجلس الشيوخ، وتنقسم إسبانيا إلى 17 منطقة حكم ذاتي ومدينتين تتمتعان بالحكم الذاتي، تعتمد اسبانيا على نظام المجموعات المستقلة حيث تعتبر من بين الدول الرائدة في الجهوية المتقدمة، ويمكن تقسيم المراحل التي مر منها النظام السياسي الاسباني إلى ثلاث مراحل: [1]

امتدت المرحلة الأولى بين سنتي 1975-1992، وهي فترة ما بعد الفرانكوية والمرحلة الثانية هي المرحلة الانتقالية باعتماد دستور 1978 ودخوله حيز النفاذ، أما الفترة الثالثة فهي التي ابتدأت منذ الانتخابات العامة سنة 1982، واتسمت ببداية مسار التاريخ الإسباني المعاصر إلى يومنا هذا.

ولم يخرج النظام الدستوري الإسباني عما اعتمدته بريطانيا، فكرس في دستوره لسنة 1978 النظام البرلماني بكل مقوماته[2]، حيث اختارت إسبانيا بموجب دستورها "نظاما برلمانيا تقليديا" كشكل للنظام السياسي، حيث ورد مصطلح "النظام السياسي للدولة" في المادة الأولى من الفقرة 3 من الدستور، وقام بتوضيحه بإضافة عبارة أكثر دقة "الملكية البرلمانية"، لتصبح صياغة الفقرة كما يلي" النظام السياسي للدولة الإسبانية هو نظام الملكية البرلمانية ".[3]

وفي هذا السياق نص الدستور الاسباني في المادة 56 "بأن الملك هو رئيس الدولة.."، ورمز وحدتها ودوامها ويعهد إليه فيما يخص بتسيير المؤسسات وتنظيمها، والممثل الأعلى للدولة الإسبانية في كل علاقاتها، كما ينتقل عرش إسبانيا بالوراثة إلى الوريث الشرعي للأسرة الملكية. فالملكية البرلمانية الاسبانية هي من نوع خاص، تحتفظ للملك بدور أساسي، ومحوري، وحيوي في مجال وحدة الدولة الاسبانية، ومجال الاتفاقيات الدولية، ومجال إعلان الحرب والسلم.

كما تنص المادة 66 على أن "البرلمان يمثل الشعب الإسباني الذي هو مصدر لكل سلطات الدّولة "، وهذان الجهازان هما اللذان يُحدّدان الشكل السياسي للدولة، خاصة إذا أضفنا إليهما الحكومة التي توقع بالعطف على أعمال الملك، وتكون مسئولة عنها، كما أنها توجه السّياسة الدّاخلية والخارجية، وتُمارس الوظيفة التنفيذية التي تقع تحت ظلّ السّلطات الرمزية للملك. أما البرلمان فهو يتألف من مجلسين ويعرف باسم "كورتيس خينيراليس".[4] وهو ممثل الشعب[5]، يمارس السلطة التشريعية في الدولة، خاصة مجلس النواب الذي يتكون من 300 نائب كحد أدنى و400 نائب كحد أقصى، ويتم انتخاب أعضاء هذا المجلس بواسطة الاقتراع العام المباشر، الذي يتم بسرية وبحرية وبالتساوي، وذلك حسب المقتضيات والإجراءات التي يحددها القانون الانتخابي.

---

[1]- Pere vilanova, **"el sistema político y la política exterior: el ciclo formal"**, Op.cit, p 2.

[2]- من مقومات النظام البرلماني: انعدام التكافؤ في صلاحيات مكونات السلطة التنفيذية إي اسمية/شكلية سلطة رئيس الدولة/الملك، وفعلية سلطة الحكومة، والمقوم الثاني هو المسؤولية السياسية للحكومة أمام البرلمان، أما المقوم الثالث فهو حق الحكومة في حل البرلمان.

[3]- الجيلالي رفيق، " **أسس ومرتكزات النظام السياسي الإسباني: نظرة على التسلسل الهرمي للدولة الإيبيرية**"، تم الاطلاع عليه بتاريخ 2023/06/12 على الرابط التالي: https://zawayablog.com/18299

[4]- **ابراهيم دراجي، "التجربة الإسبانية/ الدستور والمحكمة الدستورية في إسبانيا" ،14 دجنبر 2017. مركز المواطنة المتساوية - التجربة الإسبانية الدستور والمحكمة الدستورية في إسبانيا، تم الاطلاع عليه بتاريخ 2023/05/18، في equalcitizenshipcentre.com**

[5]- الفقرة الأولى من المادة 66 من الدستور الإسباني 1978.

تجري الانتخابات في كل دائرة تطبيقا لمعايير التمثيلية النسبية، من قبل كل الناخبين الإسبان المتمتعين بحقوقهم السياسية، سواء في الداخل أو خارج التراب الوطني الإسباني حيث الدولة ملزمة طبقا للقانون بتسهيل الاقتراع بالنسبة للإسبان المتواجدين خارج الوطن.

وينتخب مجلس النواب لمدة أربع سنوات، ولا يجوز للنائب أن يكون عضوا داخل مجلس الشيوخ أو أن يجمع بين عضوية المجالس ذات الحكم الذاتي وعضوية مجلس النواب، ويضم مجلس النواب حاليا 350 نائبا حسب القانون الانتخابي العام، كما يعتبر مجلس الشيوخ غرفة للتمثيلية الترابية[1] représentation territoriale ويسمى مجلس التمثيل الترابي أو مجلس المستشارين. كما ينص الدستور الإسباني في المادة 69 في الفقرة الثانية "أن كل محافظة تختار أربعة مستشارين بواسطة انتخاب عام حر، عادل مباشر وسري وفقا لما ينص عليه القانون".

وما دامت هناك 50 محافظة في المملكة الإسبانية، فإن مجلس الشيوخ يتكون من 208 عضوا منتخبين بالاقتراع العام المباشر، ويمثلون الجماعات المستقلة والأقاليم ولمدينتي سبتة ومليلية عضو لكل منهما.

إضافة إلى عضو لكل إقليم متمتع بالاستقلال الذاتي وعضو من كل مليون نسمة[2]، يختص النظام الأساسي للإقليم المستقل في تحديد الجهة المختصة أو الهيئة التي تسهر على تعيين من يمثلون الإقليم في مجلس الشيوخ، مع وجوب احترام معيار النسبة التي تعني احترام قوة الأحزاب أو الفرق السياسية في الإقليم المستقل[3].

وقد أسند النظام الأساسي الكتالاني مثلا تعيين أعضاء مجلس الشيوخ إلى الجمعية التشريعية مع مراعاة "النظام النسبي" في توزيع المقاعد على الفرق البرلمانية "تناسبا" يوافق قوتها العددية، ويقال هؤلاء عند فقدان العضوية في الجمعية التشريعية، ونفس الشيء كرسه النظام الأساسي الباسكي[4]. كما ينتخب مجلس الشيوخ لمدة أربع سنوات، وتنتهي ولايته بعد انقضاء أربع سنوات على انتخابه أو يوم حله.

وبخصوص تنظيم الكورتيس العام، فإن النواب والشيوخ يتمتعون بحصانة الآراء المدلى بها أثناء ممارسة مهامهم، ويتمتعون بالحصانة خلال مدة وظيفتهم كنواب أو مستشارين، ولا يتم اعتقالهم إلا في حالة التلبس بالجريمة، ولا يمكن اتهامهم أو اعتقالهم إلا بإذن من المجلس الذي ينتمون إليه، وفي حالة وجود قضايا ضد النواب أو الشيوخ فإن محاكمتهم تقام في المحكمة العليا[5].

يجتمع مجلسي النواب والشيوخ كل سنة في دورتين عاديتين تبدأ الأولى من سبتمبر إلى ديسمبر، أما الثانية فتبدأ من فبراير إلى يونيو، وتكون الجلسات عامة ما عدا إذا قررت الأغلبية المطلقة لأحد المجلسين عكس ذلك. ويمكنهما الاجتماع في دورة استثنائية

---

[1]- امحمد المالكي، **"القانون الدستوري والمؤسسات السياسية –الجزء الثاني- النظم السياسية المعاصرة- النظام البرلماني البريطاني، النظام الرئاسي الأمريكي، النظام السياسي للمملكة الإسبانية"**، دار وليلي للطباعة والنشر، مراكش 1997، ص282.

[2]- المادة 69 من الدستور الإسباني لسنة 1978.

[3]- أحمد السوداني، **"نظام الاقتراع النسبي وتطبيقه في انتخاب الكورتيس العام الاسباني: دراسة"**، 2002، ص 91.

[4]- المرجع نفسه، ص 91.

[5]- المادة 71 من الدستور الإسباني لسنة 1978.

إما بطلب من الحكومة، أو بطلب من الأغلبية المطلقة لأعضاء أحد المجلسين، وفق جدول أعمال محدد وتنتهي الدورة بدراسة النقاط المدرجة ضمن جدول الأعمال[1].

وحسب منطوق المادة 74 من الدستور فإن مجلس النواب ومجلس الشيوخ، بإمكانهما الاجتماع في دورة مشتركة من أجل البث في الاختصاصات التشريعية حسب أحكام الباب الثاني[2]، وللكورتيس العام دور تشريعي وآخر رقابي بالإضافة إلى ممارسته لبعض الاختصاصات المتعلقة بالسياسة الخارجية للدولة. حيث تم اعتماد القانون 2014/2 بشأن العمل والسلك الخارجي للدولة. والذي بموجبه تنص المادة 7 على دور الدبلوماسية البرلمانية في الإشارة إلى أن «الكورتيس العام يعزز علاقات الصداقة والتعاون مع الجمعيات البرلمانية وبرلمانات الدول الأخرى، وفقًا للمبادئ الواردة في هذا القانون».[3]وتنص الفقرة الثانية من هذا القانون على أنه "يجوز للحكومة أن تطلب مساعدة البرلمان لأداء البعثات البرلمانية وللمشاركة في الاجتماعات البرلمانية الدولية، حيث يكون من الصواب الدفاع عن مصالح الدولة في الخارج، في إطار العمل الخارجي للدولة، أو لتحسين الامتثال للمبادئ التوجيهية للسياسة الخارجية ومقاصدها وأهدافها."

3.2- دور البرلمان الإسباني في صنع السياسة الخارجية

يفترض تحليل دور البرلمان في بلورة السياسة الخارجية، من حيث المبدأ، فهم الإطار النظري والديناميكي المرن للدولة.[4] فمنذ الثورتين الأمريكية والفرنسية، تضمنت جميع دساتير الدول قواعد عمل تتعلق بكيفية إبرام المعاهدات والاتفاقيات وبالتركيز على الدول الديمقراطية والبرلمانية، فإن معظمها يفضل نظاما يضم مختلف هيئات الدولة، ويكرس في العمل الخارجي فكرة الفصل بين السلطات والسيطرة التي ينبغي أن تمارس فيما بينها. وقد كان إبرام المعاهدات تقليدا مخصصا للبرلمانات والحكومات، حيث كانت الأولى مسؤولة عن الإذن بالمعاهدات التي تفاوضت عليها السلطة التنفيذية[5]. وقد عمدت الدساتير الديمقراطية على استثناء الاتفاقيات والمعاهدات التي من شأنها ترتيب أثار مالي في حالة موافقة رئيس الدولة وحده، وجعلتها من اختصاص البرلمان حتى وإن كان تدبير شؤون الخارجية يبقى حكرا على رئيس الدولة[6] وقد مرت الدبلوماسية البرلمانية الاسبانية بثلاث مراحل: مرحلة العودة إلى الساحة الدولية 1977-1986 ومرحلة توسع العلاقات البرلمانية1986-2010 ومرحلة توطيده من 2010 إلى الان.[7]

فمنذ المجلس التشريعي الأول بإسبانيا، أبدى الكورتيس العام اهتمامه بتفسير المادتين 66 و97 ولم يشكك في اختصاص الحكومة للتفاوض على المعاهدات، لكنه لم يتخل عن فكرة الدفاع عن سلطته في توجيهها، مما يلزم الحكومة حدودا للتفاوض.

---

[1]- الحاج قاسم محمد، **"القانون الدستوري والمؤسسات السياسية: المفاهيم الأساسية والنظم السياسية"**، مرجع سابق، ص: 159.

2- تتعلق أحكام الباب الثاني فيما يخص دور البرلمان بمسألة توارث العرش في إسبانيا وبعض الاختصاصات الملكية.

[3]- Fernando Galindo elola-olaso; Cuarenta años de diplomacia parlamentaria op. cit p 20

[4]- Sánchez, leandro enrique" el rol del parlamento en la política exterior: instrumentos analíticos para su estudio"v congreso de la asociación latinoamericana de ciencia política. instituto de investigaciones en historia y ciencias sociales (idihcs); centro de reflexión en política internacional (cerpi) del iri28 al 30 de julio de 2010.p 1.

[5]- Raúl Ignacio Rodríguez Magdalen op.cit p 35.

[6]- عبد الرزاق الخاوي **"محدودية الاختصاص المالي للبرلمان الاسباني"**، تم الاطلاع عليه بتاريخ 2020/06/10، على الرابط التالي: https://www.droitetentreprise.com/20101/

[7]- Fernando Galindo Elola-Olaso ؛Cuarenta años de diplomacia parlamentaria op. cit p p 621.

وبالإضافة إلى الآليات المحددة صراحة بالدستور المتعلقة بالسياسة الخارجية يجب أيضًا إيلاء الاهتمام لاستخدام الكورتيس لسلطة التوجيه والرقابة غير الواضحة في الدستور، مثل امتلاكه للسلطة التوجيهية للسياسة الخارجية كما هو منصوص في المادة 97 وإمكانية تدخله في التفاوض بشأن المعاهدات[1]وتتمتع السلطة التشريعية بسلطة توجيه الرقابة بموجب المادة 66 من الدستور[2] والتي تضفي الطابع الديمقراطي على العمل الخارجي في مجال يتسم بالأسرار ومصالح الدولة.

وفي مواجهة هذا التحفظ التقليدي للحكومات والبرلمانات في السياسة الخارجية، والتدخلات في ممارسة سلطة التوجيه والتحكم ظهر اهتماما متزايدا من جانب البرلمان والأحزاب السياسية بالسياسة الخارجية، كما يشير لذلك ج. رولدان بيبرو[3]. ونتيجة لهذا التغيير، فإن المفهوم التقليدي للسياسة الخارجية كسياسة لدولة قائمة على توافق الآراء قد أفسح المجال للسياسة الخارجية ليكون فيها الاختلاف ممكنا بناء على مصلحة الحزب كما يوضح سي ديل أرينال.

تنص المادة 94 من الدستور الاسباني على تفويض بعض الاختصاصات المتعلقة بالسياسة الخارجية للبرلمان كالمصادقة على المعاهدات الدولية وذلك راجع أولا لاعتبارات سياسية وثانيا إلى أهمية المعاهدات الدولية لدى الدولة،[4] كما ينص في المادة 97 على أن الحكومة مسؤولة عن السياسة الخارجية. وتُخفف قوة التوجيه من خلال قوة توجيه السيطرة التي منحها الدستور نفسه للكورتيس العام حسب المادة 66.

وفي هذا السياق حدد الدستور الإطار العام للسياسة الخارجية للدولة، الخاضعة لتوجيهات ورقابة الكورتيس. إلى جانب هذا الإطار العام، تضمن الدستور نفسه سلسلة من الأحكام الخاصة التي تقتصر على جوانب معينة من العمل الخارجي للدولة. وقد عمدت الدساتير الديمقراطية على استثناء الاتفاقيات والمعاهدات التي من شأنها ترتيب أثار مالي في حالة موافقة رئيس الدولة وحده، وجعلتها من اختصاص البرلمان حتى وإن كان تدبير شؤون الخارجية يبقى حكرا على رئيس الدولة[5].

---

[1]- المادة 97 من الدستور الاسباني تنص على أنه:

يحتاج إبداء الدولة موافقتها على الالتزام بواسطة معاهدات أو اتفاقيات إلى إذن مسبق من البرلمان وذلك في الحالات التالية:

-المعاهدات ذات الطابع السياسي.

-المعاهدات أو الاتفاقيات ذات الطابع العسكري.

-المعاهدات أو الاتفاقيات التي تؤثر على وحدة أراضي الدولة أو الحقوق والواجبات الأساسية المنصوص عليها في الباب الأول.

-المعاهدات أو الاتفاقيات التي يترتب بموجبها التزامات مالية على الخزينة العامة.

-المعاهدات أو الاتفاقيات التي ينجم عنها إلغاء قانون أو فرض اتخاذ إجراءات تشريعية لتطبيق أحكامها.

يتم إبلاغ مجلس النواب ومجلس الشيوخ مباشرة بإبرام باقي المعاهدات والاتفاقيات.

[2]- المادة 66 من الدستور الاسباني.

[1]- Fernando Galindo Elola-Olaso, Cuarenta años de diplomacia parlamentaria op. cit p 625.

[4]- المادة 94 من الدستور الاسباني تنص على انه: يحتاج إبداء الدولة موافقتها على الالتزام بواسطة معاهدات أو اتفاقيات إلى إذن مسبق من البرلمان وذلك في الحالات التالية:

المعاهدات ذات الطابع السياسي.

المعاهدات أو الاتفاقيات ذات الطابع العسكري.

المعاهدات أو الاتفاقيات التي تؤثر على وحدة أراضي الدولة أو الحقوق والواجبات الأساسية المنصوص عليها في الباب الأول.

المعاهدات أو الاتفاقيات التي يترتب بموجبها التزامات مالية على الخزينة العامة.

المعاهدات أو الاتفاقيات التي ينجم عنها إلغاء قانون أو فرض اتخاذ إجراءات تشريعية لتطبيق أحكامها.

[5]- AUGUSTO DIEGO LAFFERRIERE, rôle del parlamento en la politica exterior nacional: un analisis del rol institucional del congreso nacional y su participacion como actor en la politica exterior nacional,en interaccion con el poder ejecutivo nacional,durante el periodod 2002-2003. diciembre 2008.ISBN 978-987-05-4671-9

وتشكل المعاهدات الدولية أحد الخصوصيات التي تمتاز بها السياسة الخارجية للدولة، ممثلة في السلطة التنفيذية ويعود ذلك إلى الرغبة في تركيز العلاقات الخارجية في يد سلطة واحدة، و إلى توفير الأمن القانوني للدول الأخرى بمعرفتها المستقلة للسلطة المختصة في المجال،[1] وعلى غرار ذلك فإن الممارسة البرلمانية العالمية تؤكد محدودية السلطة التشريعية في مجال السياسة الخارجية عموما، رغم تطلع هذه الأخيرة إلى تقوية حضورها و يعزى ذلك الى العديد من المحددات المرتبطة بخصوصية السياسة الخارجية، أو إلى تعقيد مجال اشتغالها، او إلى صعوبة إدراك أعضاء البرلمان لخباياها، فمن الممكن أن يكون البرلمان ليس مؤهلا لأن يلعب دورا أساسيا في صنع السياسة الخارجية، غير أنه لا يمكن أن يترك البرلمان بعيدا عن نشاط الدبلوماسي للدولة.

ويتضمن الدستور الاسباني شأنه شأن باقي الدساتير الأخرى مجموعة من القواعد التي تنظم هذا المجال، حيت نص الدستور على أنه يجب أن تبدي الدولة موافقتها على الالتزام بواسطة معاهدات أو اتفاقيات إلى إذن مسبق من البرلمان، وتحديدا المادة 94-1من الدستور الاسباني حيت نصت على أن المعاهدات و الاتفاقيات التي يترتب بموجبها الالتزامات المالية على الخزينة العامة تبقى حصرا من اختصاص البرلمان، غير أن الحكومة تتدخل أحيانا لطلب ترخيص من البرلمان طبقا للمادة 154 من النظام الداخلي لمجلس النواب التي تنص على أن إبرام المعاهدات و الاتفاقيات يتطلب موافقة مسبقة من قبل البرلمان في الحالات المنصوص عليها في نطاق الفقرة الاولى من المادة 94 من الدستور الاسباني.[2]

أخيرا، كما تم توضيح ذلك سابقا، خصصت المادة 93 من الدستور دورا خاصا للبرلمان في تنفيذ المعاهدات. ونظرا لعدم تطوير هذا الاختصاص من خلال أدوات محددة لمشاركة الكورتيس، فقد استخدمت الدوائر إجراءات الرقابة على التوجيه والإجراء التشريعي عند العمل في نطاق عملية التكامل الأوروبي. وفي هذا السياق، ذهب البرلمان إلى تجاوز دوره من مجرد المصادقة على المعاهدات، إلى ما يسمى ب «إضفاء الشرعية» الذي ساهم في تحسين "العجز الديمقراطي". وعلى وجه التحديد، سيتم تطوير القانون الدولي بالضرورة على هذه الخلفية المزدوجة: الإطار القانوني العام والإطار القانوني الخاص لمشاركة الكورتيس في السياسة الخارجية للدولة.[3]

إن إعداد أجندة عمل السياسة الخارجية في بعض البلدان مثل الأرجنتين هو من اختصاص السلطة التنفيذية، حيث إن رئيس الدولة في معظم الحالات هو الذي يحدد القضايا ذات الأولوية في أجندة السياسة الخارجية.[4] وذلك لامتلاكه آليات العمل في الشؤون الخارجية أكثر فاعلية.

وكما هو الحال في الأنظمة الرئاسية، خصوصا في معظم بلدان أمريكا اللاتينية، فإن مبدأ فصل السلطات وتقسيمها، والانتخاب المنفصل لرئيس الحكومة ومجلس النواب والاستقلالية المؤسسية، توفر المزيد من الحوافز لتركيز التحليل على الرقابة البرلمانية، التي تُفهم بالمعنى التقليدي أكثر على أنها وظيفته الأساسية؛ وهذا يعني من جهة معاقبة المسؤولين وعزلهم؛ ومن ناحية

---

[1]- AUGUSTO DIEGO LAFFERRIERE, rôle del parlamento en la politica exterior nacional, op.cit.

[2]- عبد الرزاق الخاوي، **"محدودية الاختصاص المالي للبرلمان الاسباني"**، مرجع سابق، ص 96.

[3]-Raúl ignacio rodríguez magdaleno **"la participación de las cortes generales en la acción exterior del estado"**(1979-2007) tesis doctoral. Universidad de oviedo departamento de derecho público oviedo, 14 de abril de 2010, p 19.

[4]- Sánchez, Leandro Enrique**" El rol del Parlamento en la política exterior: Instrumentos analíticos para su estudio"**V Congreso de la Asociación Latinoamericana de Ciencia Política. Instituto de Investigaciones en Historia y Ciencias Sociales (IdIHCS); Centro de Reflexión en Política Internacional (CeRPI) del IRI28 al 30 de julio de 2010, p 9.

أخرى، أن البرلمان يشمل شخصيات قانونية يمكن أن تساهم في مجال صنع القرار. هذا، بطريقة ما، يقلل من حقيقة أن تصميم الأجندة الدولية يتضمن مجموعة من المصالح التي تستجيب إلى حد كبير لعلاقة القوى في المجتمع والتي يتم التعبير عنها في مجالات مختلفة، والبرلمان هو الأكثر تمثيلا للجميع.

إن الحفاظ على السياسة الخارجية والموافقة عليها وتنفيذها ومراقبتها، كما هو الحال في أي نشاط حكومي آخر، ملازم لصلاحية النظام الديمقراطي. كما أن حقيقة بعض هذه الآليات - من بينها السيطرة البرلمانية المفترضة - لا يمكن أن تغير المركز المتحكم في عملية صنع القرار في السلطة التنفيذية، من أهميتها فيما يتعلق بعملية صنع القرار.[1]

ثانيا، إن التداخل في صنع القرار في السياسة الخارجية واضح لصالح السلطة التنفيذية، وبشكل أدق داخل ديناميكية واضحة للرئاسة والتي يمكن أن نجدها في العديد من الأنظمة البرلمانية الأخرى تتزايد بشكل واضح.[2]حيث يتم اتخاذ القرارات ليس فقط على مستوى السلطة التنفيذية، ولكن في خلية عمل تقتصر على السيد الرئيس، ووزير الدفاع ووزير الخارجية والناطق الرسمي باسم الحكومة.[3]

وتبقى هناك ثلاث مجالات رئيسية يمكن للبرلمان الاسباني التدخل فيها والمتعلقة بالسياسة الخارجية، وهي: إبرام المعاهدات، والعلاقة مع الاتحاد الأوروبي، واستخدام القوة. ولهذه المجالات الثلاثة كيانها الخاص بها استناداً إلى القواعد الدستورية القانونية، والتي منحت للكورتيس دوراً خاصاً في كل منها، وفقاً للمواد 63 و93 و94 من الدستور.[4]

وعليه، فإن الحكومة تضطلع بدور محوري في صياغة السياسة الخارجية وتنفيذها وهذا ما لوحظ في موقفها الأخير المتعلق بقضيتنا الوطنية و بمغربية صحرائنا حيث صوت البرلمان الاسباني ب 168 صوت، لصالح قرار دعوة السيد رئيس الحكومة Pedro Sanchez إلى تدارك موقفه ،لكنه لم يحظى بأي وزن سياسي و دولي نظرا للاستشارة المسبقة مع ملك البلاد وأخذ موافقته، ومباركته لقرار الاعتراف بمغربية الصحراء. 5 وهو الموقف الذي أحدث نقطة تحول كبير في العلاقات المغربية-الاسبانية كان لها الوقع الكبير على تطور هذه العلاقات اقتصاديا و ثقافيا و تجاريا.

وبما أن الملك وحسب منطوق الدستور يحتكم إليه في تسيير المؤسسات وتنظيمها، وهو الممثل الأعلى للدولة في العلاقات الدولية، وخصوصا في العلاقات مع الأمم، فإن تجاوز السيد Pedro Sanchez للحكومة التي يحدد الفصل 97 من الدستور دورها في السياسة الخارجية، لا يشكل خرقا للدستور الاسباني. وأنه بالتشاور مع الملك الذي يعتبره الدستور الممثل للدولة الاسبانية في العلاقات الدولية، يكون Sanchez قد احترم الدستور، ويكون موقفه الذي وافق عليه الملك الاسباني، الموقف الرسمي للدولة والحكومة رغم أنها لم تقرر فيها الأحزاب المشكلة للحكومة والبرلمان، وهذا ما يفسر فكرة مونتسكيو الذي يعتبر أن البرلمان يملك

[1]- Pere vilanova, **"el sistema político y la política exterior: el ciclo formal"**, op.cit, p 13.

[2]- Ibid p 14

[3]- ibid p 14

[4]- Raúl Ignacio Rodríguez Magdalena.op.cit, p 653.

فقط سلطة المنع وليس سلطة القرار ويقصد بالمنع أحقية البرلمان في التصدي الى القوانين والقرارات التي تتخذ من لدن سلطة أخرى، أما سلطة القرار فتعني حق المبادرة وحق تصحيح ما تم اتخاذه من لدن سلطة أخرى.[1]

خاتمة:

يشكل العمل الدبلوماسي للبرلمانات الوطنية أحد أبرز مظاهر تطور الأداء المؤسساتي في العلاقات الدولية الحديثة، حيث لم تعد الدبلوماسية مقتصرة على الجهاز التنفيذي، بل أصبحت البرلمانات فاعلا مكملا وأحيانا مؤثرا في صياغة السياسات الخارجية، والدفاع عن القضايا الوطنية في المحافل الدولية. ومن خلال تحليل النموذجين البريطاني والإسباني، تبين أن لكل منهما خصوصياته في ممارسة هذا الدور، سواء من حيث الإطار القانوني والدستوري، أو من حيث الآليات المعتمدة، أو حتى من حيث التفاعل مع السياقات السياسية الداخلية والخارجية.

ففي الحالة البريطانية، يستند العمل الدبلوماسي البرلماني إلى تقاليد عريقة ومؤسسات مستقرة، ويتميز بقدر عال من التنظيم والاحترافية، خاصة من خلال لجان العلاقات الخارجية ولجنة شؤون الكومنولث. ويعد البرلمان البريطاني فاعلا نشطا في المنظمات البرلمانية الدولية وفي مبادرات الوساطة والتأثير في الملفات ذات الأولوية للمملكة المتحدة. كما يستفيد من التنسيق الوثيق بين السلطة التشريعية والتنفيذية، رغم ما يتمتع به من استقلال نسبي.

أما في الحالة الإسبانية، فقد شهدت الدبلوماسية البرلمانية تطورا ملحوظا بعد الانتقال الديمقراطي، مع تعزيز دور البرلمان في مجال العلاقات الخارجية، خاصة مع الدول الناطقة بالإسبانية وأمريكا اللاتينية. ويعتمد البرلمان الإسباني على لجان متعددة وآليات للتواصل الثنائي والمتعدد الأطراف، لكنه يواجه تحديات ترتبط أحياناً بضعف التنسيق مع الحكومة أو بتقلب الأوضاع السياسية الداخلية.

وإذا كانت تجربة البلدين تبرزان أهمية إشراك البرلمان في الجهود الدبلوماسية، فإن المقارنة بينهما تكشف تفاوتا في مستوى النضج المؤسساتي، وفي الإمكانيات البشرية واللوجستية، وفي الأثر الفعلي على القرار السياسي الخارجي. غير أن الاتجاه العام في أوروبا والعالم يشير إلى تنامي دور الدبلوماسية البرلمانية كرافعة للتأثير الدولي، وكساحة لتعزيز الحوار بين الشعوب، وتوسيع دائرة الفاعلين في العلاقات الخارجية.

انطلاقا من المعطيات السابقة، يمكن التأكيد على أن تطوير العمل الدبلوماسي البرلماني يستلزم:

- تعزيز التنسيق بين البرلمان والحكومة لضمان تكامل الأدوار وعدم التداخل أو التناقض في المواقف الخارجية.
- تكوين النواب في مجال العلاقات الدولية وتمكينهم من مهارات التفاوض والدبلوماسية البرلمانية الحديثة.
- توسيع الانخراط في الشبكات البرلمانية الدولية من أجل دعم القضايا الوطنية وتبادل الخبرات.
- تحسين البنية المؤسسية والإدارية المكلفة بالدبلوماسية داخل البرلمان لضمان فعالية الأداء.

[1]- عبد الرزاق الخاوي، **"محدودية الاختصاص المالي للبرلمان الاسباني"**، مرجع سابق ص 105.

- ترسيخ تقاليد المراقبة والتقييم لعمل البعثات البرلمانية في الخارج، لضمان الشفافية والنجاعة.

في الختام، يظل العمل الدبلوماسي البرلماني مجالا خصبا للتطوير والتفاعل مع التحولات الدولية، بما يجعله رافعة أساسية للدفاع عن المصالح العليا للدول وتعزيز حضورها في المنتديات العالمية، شريطة أن يحظى بالدعم السياسي والمؤسساتي اللازم.

المراجع المعتمدة:

المراجع بالعربية:

- الدستور الإسباني لسنة 1978 .مدريد: الجريدة الرسمية للدولة.(BOE) .
- محمد زين الدين، **"الأنظمة السياسية المقارنة"**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1 2018.
- عادل ثابت، **"النظم السياسية، دراسة للنماذج الرئيسية الحديثة ونظم الحكم في البلدان العربية وللنظام السياسي الإسلامي"**، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، 2017.
- عصام سليمان، **"الأنظمة البرلمانية بين النظرية والتطبيق"**، منشورات الحلبي الحقوقي، بيروت، 2010.
- الحاج قاسم محمد، **"القانون الدستوري والمؤسسات السياسية: المفاهيم الأساسية والنظم السياسية"**، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 2009.
- طه حسين وآخرون، **"الحياة والحركة الفكرية في بريطانيا"**، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2014.
- حميد حنون خالد، **"الأنظمة السياسية"**، المكتبة القانونية، بغداد، ط3، 2010.
- امحمد المالكي، **"القانون الدستوري والمؤسسات السياسية –الجزء الثاني- النظم السياسية المعاصرة- النظام البرلماني البريطاني، النظام الرئاسي الأمريكي، النظام السياسي للمملكة الإسبانية"**، دار وليلي للطباعة والنشر، مراكش 1997.
- أحمد السوداني، **"نظام الاقتراع النسبي وتطبيقه في انتخاب الكورتيس العام الاسباني: دراسة"**، 2002.
- فتاح شباح، **"السلطة التنفيذية في الأنظمة السياسية التعددية: دراسة مقارنة بين النظامين السياسيين الجزائري واللبناني"**، أطروحة الدكتوراه، جامعة باتنة، كلية الحقوق والعلوم السياسية، موسم 2016/2015.

المراجع باللغات الأجنبية:

- Bogdanor, V. (2009). The British Constitution. Oxford University Press.
- Carlos García Rivero, introducción al Sistema politico español 1 joaquín martín cubas (coord.), 2023.
- William Anson, "**The Law and custom of the Construction**", Vol 1,1990
- Grant Wyn & Graham Wilson, **"The Consequences of the Global Financial Crisis: The Rhetoric of Reform and Regulation**". Oxford University Press 2012.
- Oliver Daddow**," British Foreign Policy: The New Labour Years".** Routledge 2016.

- HM government, "**Review of the Balance of Competences between the United Kingdom and the European**" Union Foreign Policy, July 2013.
- Pere vilanova, **"el sistema político y la política exterior: el ciclo formal"**, universitat de barcelona working paper n.94 barcelona 1994.
- Raúl ignacio rodríguez magdaleno **"la participación de las cortes generales en la acción exterior del estado**"(1979-2007) tesis doctoral. Universidad de oviedo departamento de derecho público oviedo, 14 de abril de 2010.
- Sánchez, Leandro Enrique**" El rol del Parlamento en la política exterior: Instrumentos analíticos para su estudio"**V Congreso de la Asociación Latinoamericana de Ciencia Política. Instituto de Investigaciones en Historia y Ciencias Sociales (IdIHCS); Centro de Reflexión en Política Internacional (CeRPI) del IRI28 al 30 de julio de 2010.
- Fernando Galindo Elola-Olaso ِCuarenta años de diplomacia parlamentaria
- AUGUSTO DIEGO LAFFERRIERE, rôle del parlamento en la politica exterior nacional: un analisis del rol institucional del congreso nacional y su participacion como actor en la politica exterior nacional,en interaccion con el poder ejecutivo nacional,durante el periodod 2002-2003. diciembre 2008.ISBN 978-987-05-4671-9

ويبوغر افيا:

- عبد الرزاق الخاوي، **"محدودية الاختصاص المالي للبرلمان الاسباني"**، مجلة القانون والأعمال الدولية، يونيو 2020، تم الاطلاع عليه بتاريخ 2023/03/12، على الرابط التالي: https://www.droitetentreprise.com/20101
- زياد مصطفى وتي، **"صناعة السياسة الخارجية البريطانية"**، تم الاطلاع عليه بتاريخ 2023/05/03، على الرابط التالي: https://2u.pw/wu0qdi.
- الجيلالي رفيق، **" أسس ومرتكزات النظام السياسي الإسباني: نظرة على التسلسل الهرمي للدولة الإيبيرية"**، تم الاطلاع عليه بتاريخ 2023/06/12 على الرابط التال https://zawayablog.com/18299
- ابراهيم دراجي، **"التجربة الإسبانية/ الدستوروالمحكمة الدستورية في إسبانيا"** ،14 دجنبر 2017. مركز المواطنة المتساوية - التجربة الإسبانية الدستور والمحكمة الدستورية في إسبانيا، تم الاطلاع عليه بتاريخ 2023/05/18، على الرابط equalcitizenshipcentre.com